بسم الله الرّحمن الرّحيم

مجلة جامعة بحري
للآداب والعلوم الإنسانية

السنة الخامسة ـ العدد العاشر – ديسمبر 2016م

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. حسّان بشير حسّان

سكرتير التحرير

د.عمّار بشير نور الدائم

أعضاء مجلس التحرير

1. بروفسير: حمدي عبد الرحمن حسن - مصر
2. د. محمد يحيى قايد الدريب - بروناي
3. د. أنيس طاهر العبسي - اليمن
4. أ. حسن النقيب - فلسطين
5. د. واصل حسن العاقب - السودان
6. د. أسماء حسين محمد آدم - السودان
7. د. الشامى عبد الهادي آدم - السودان
8. د. النعمة إبراهيم عوض الكريم - السودان
9. د. محجوب حسن عبد الجليل - السودان
10. د. حمد عمر حاوي - السودان
11. د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه - السودان
12. د. محمد أبوبكر عمر - السودان

السكرتارية

بشرى بشير كلول

سهير نصر محجوب

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

موجهات عامة للنشر في مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية

1- تعريف عام

- مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية مجلة علمية محكمة تصدر نصف سنوية تحت إشراف عمادة البحث العلمي.
- تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم المبتكرة والمقالات الاستعراضية (مقالات المراجعة Review Articles)، وعرض الكتب، والمقالات القصيرة التي تغطي مجالات الآداب والعلوم الإنسانية.
- تنشر المجلة البحوث التي تتسم بالأصالة والجدة والتي تسهم في تطوّر المعرفة الإنسانية بإضافة الجديد إليها.
- تنظر هيئة التحرير، بالاشترك مع جهات الاختصاص، في البحوث المقدمة للنشر بالعربية والإنجليزية.
- المواد المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها أو أن تكون مقدمة للنشر إلى جهة أخرى.
- لا تنشر المواد إلا بعد التحكيم، وفي حالة قبولها للنشر لا يسمح بنشرها بالشكل نفسه بأية لغة في أي جهة أخرى إلا بتصريح كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- تعبّر المواد المقدمة للنشر في المجلة عن آراء ونتائج مؤلفيها فقط.

2 - التقديم للنشر:

- تقدّم المواد من أصل وصورتين باللغة العربية (Simplified Arabic) وحجم خط 14 أو الإنجليزية أو الفرنسية (Times New Romans) وحجم خط 12 منسوخة بواسطة الحاسب الآلي ببرنامج MS-Word متوافق IBM وعلى وجه واحد فقط مزدوج المساحة وعلى ورق مقاس A4 مع ترك 3 سم لكل هامش ومرقمة ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الأشكال والجداول. يشترط أن تقدّم

المستخلصات، والجداول وعناوين الأشكال والتعليق عليها والمراجع في صفحات مستقلة.

- إرفاق عنوان المقال، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان المؤلف (أو المؤلفين) بالكامل بما في ذلك موقع العمل والتلفون والبريد الإلكتروني في صفحة منفصلة.
- إرفاق مستخلص في حدود 250 كلمة (باللغتين العربية والإنجليزية).
- يمكن إرسال المادة العلمية من خلال البريد الإلكتروني للمجلة Bahrijournal@gmail.com منسوخة بواسطة برنامج Microsoft Word أو كمرفق على قرص مدمج CD.

3 – الكتابة (Manuscript):

يبوب المقال على النحو التالي :

- عنوان المقال، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان المؤلف (أو المؤلفين بنفس الترتيب) في صفحة منفصلة.
- إرفاق مستخلص في حدود 250 كلمة (باللغتين العربية والإنجليزية).
- **المتن:** ويستعمل فيه ثلاثة مستويات من العناوين أو أقل مع تجنب التذييلات إن أمكن.
- يحدد في المتن مواقع الجداول والأشكال.
- يجب تعريف الحروف المستخدمة كرموز في الموقع الأول لظهورها ويجب ترتيبها هجائياً في الملحق .
- الأرقام المستخدمة لتعريف المصطلحات الرياضية تكتب داخل أقواس هلالية () وعلى الحد الملاصق للهامش الأيمن.

4 - الجداول (Tables):

ترقم الجداول ترقيماً متسلسلاً مستقلاً عن ترقيم الأشكال خلال المتن، ويكون لكلّ منها عنوانه أعلى الجدول ومصدره أسفله.

5 - الاشكال (Figures):

- تدخل ضمن المتن أو تقدّم في ورقة منفصلة مع مراعاة عدم طيها.
- يشار إلى مواضع الأشكال في هامش المتن أو يلصق صورة منها في أماكنها المحددة أو تضمن في المتن بالحاسب الآلي.
- تقدم الأشكال الخطية مرسومة أما بالحاسب الآلي ضمن المتن أو بالحبر الصيني على ورق لماع مقاس 13 × 18 سم (أو أضعافه أو أنصافه) مع مراعاة سمك الحروف والرموز والخطوط خاصة في حالة التصغير والتكبير.
- تقدم الصور الظلية (الفوتغرافية) مع نسخ أصلية مطبوعة على ورق لماع مقاس 13×18 سم (أو أضعافه أو أنصافه). ويشار إلى مكانها في المتن.
- لا تقبل الصور الملونة إلا إذا كان للون دلالة علمية.
- تُرقم الأشكال ترقيماً متسلسلاً خلال المتن ويكون لكل منها عنوانه ومصدره أسفل الشكل.

6 – الاختصارات (Abbreviations) :

يجب استخدام اختصارات عناوين الدوريات العلمية كما هو وارد في The World List of Scientific Periodicals تستخدم الاختصارات المقننة دولياً في النظام المتري الدولي (SI) بدلاً من كتابة الكلمات كاملة مثل سم، مم، كم، ٪، وفي حالة استخدام وحدات أخرى يكتب المعادل المتري لها بين أقواس مربعة.

7 – المراجع (References) :

يشار إلى المراجع بداخل المتن بذكر اسم المؤلف (الاسم العائلي مع ذكر السنة). تقدم المراجع جميعها تحت عنوان المراجع في نهاية البحث، وترتب ترتيباً هجائياً وترقم تسلسلياً ويكتب كل مرجع كالآتي: اسم المؤلف مبتدئاً باسم العائلة ثم الأسم الأول فالأوسط. يلي ذلك إن وجد أسماء المؤلفين الأول فالأوسط فالعائلة، ثم تكتب سنة النشر بين قوسين، يليها عنوان الموضوع واسم المجلة، رقم العدد (المجلد، العدد، الصفحات) مثال: الحاج، محمد الغالي (2003). الصلاة الإسلامية ودورها في التقوية البدنية. مجلة جامعة أمدرمان الإسلامية 5:48- 50. وفي حالة الكتب تذكر جهة

النشر، الدار والمدينة. في حالة وجود أكثر من مؤلفين يكتفي بذكر الأول فقط مع اضافة كلمة وآخرين ولا يجوز استخدام هذه الطريقة في قائمة المراجع.

8- الحواشي (Notes):

تستخدم لتزويد القارئ بمعلومات توضيحية، ويشار إليها في المتن بأرقام مرتفعة عن السطر بدون أقواس، ترقم الحواشي متسلسلة داخل المتن ويمكن الإشارة إلى المرجع داخل الحاشية - في حالة الضرورة - عن طريق استخدام رقم المرجع بين قوسين () بنفس طريقة استخدامها في المتن، تكتب التعليقات (الحواشي) آخر المتن مرقمة وقبل المراجع.

9 – المراجعة النهائية (Proof Reading): يراجع المؤلف الصورة النهائية قبل الطبع على ألا تستغرق المراجعة أكثر من أسبوع، ويحظر على المؤلف الإضافة أو الحذف أو التعديل في هذه المرحلة.

10 - الاشتراك والتبادل (Subscription and Exchange): عن طريق هيئة التحرير.

11- عدم اتباع هذه التعليمات يؤدي إلى تأخير النشر.

12- يرجى مراجعة هذه القواعد للإصدارات اللاحقة بالمجلة للوقوف على التعديلات التي قد تحدث.

13- المراسلات: توجه جميع المراسلات على العنوان التالي:

جامعة بحري، عمادة البحث العلمي، قسم النشر

العمارات ش 53 الخرطوم

هاتف: 249154912528+

بريد إلكتروني: Bahrijournal@gmail.com

كلمة العدد

القارئ الكريم:

إنّه يسعدنا أن نضع بين يديك العدد العاشر من هذه المجلة التي أصبحت محل ثقتك لالتزامها بضوابط وشروط علمية متميزة، كما أنها تطرح قضايا علمية مهمة محلياً وعالمياً، ويحرص القائمون عليها على نشر أعدادها في المواقيت المحددة، وذلك لإيمانهم بأهمية البحث العلمي، وسعيهم الدؤوب إلى توطيده بين الباحثين في داخل الجامعة وخارجها، مما ينعكس خيره على الجامعة والمجتمع.

إن أهم ما يميز هذا العدد أن السودان كان المحور الأساس لأغلب دراساته، فقد ناقشت سبع منها قضايا سودانية متنوعة تربوية ونفسية واجتماعية وإعلامية، وقدمت لها الحلول. واشتمل هذا العدد أيضاً على دراستين الأولى تاريخية أوضحت أسباب طرد المسلمين من الأندلس، والثانية تربوية أوضحت مشكلات التعليم في نيجيريا، نأمل أن يكون في تنوع هذه الموضوعات ما يلبي حاجتك وحاجة المجتمع.

إننا نرحب بكافة الباحثين من داخل جامعة بحري ومن خارجها وندعوهم للمشاركة بجهودهم العلمية والفكرية الراقية وأن يسهموا في حل قضايا البحث العلمي الشائكة لإثراء أعداد المجلة القادمة.

،،، لكم الشكر

رئيس التحرير

مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية

العدد العاشر	ISSN_1858_6473	ديسمبر 2016م

المحتويات

ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه بين أبناء المجتمعات النور عبد الرحمن محمد خير.	30 -1
رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور الإسلامي أنور أحمد عيسى راشد ، وإسماعيل عثمان حسن أحمد.	64 -31
مدى استفادة مجال العلاقات العامة في السودان من وسائل الإعلام الجديد دراسة تطبيقية على عينة مواقع الاتصالات على الفيسبوك للفترة من 2013- 2014م معاوية مصطفى بابكر.	102 -65
الهجرة والتغير الاجتماعي بولاية الخرطوم دراسة حالة: العاصمة القومية الخرطوم 2000- 2016م فاطمة علي وقيع الله.	134 -103
دور جودة المعلومات المحاسبية في الحد من ممارسات إدارة الأرباح في السودان "دراسة استطلاعية على عينة من المصارف السودانية" مختار إدريس أبو بكر آدم، وهلال يوسف صالح.	162 -135
طرد الموريسكيين من إسبانيا: الدوافع والأسباب (1609- 1614م) خديجة خيري عبد الكريم خيري.	184 -163
إنتاج البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية محمد بكري أحمد الشيخ.	226 -185

ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه بين أبناء المجتمعات

النور عبد الرحمن محمد خير، كلية التربية، جامعة بحري

مستخلص

تناولت هذه الدراسة موضوع ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه بين أبناء المجتمعات، وهو من الموضوعات المهمة في عصر أصبح فيه الجميع يبحث عن حقه في التعليم من أجل بلوغ مراكز اجتماعية رفيعة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تلقي المعرفة والعلم، فأصبحت المجتمعات تنادي بديمقراطية التعليم الذي من خلاله يتحقق مبدأ تكافؤ فرص التعليم للأفراد، تأتي أهمية هذه الدراسة من ايضاحها للعلاقة الدائرية المتبادلة بين التعليم والديمقراطية باعتبار أن نجاح كل منهما وتحقيقه يتوقف على نجاح وتحقيق الآخر ويتأثر به، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. تهدف هذه الدراسة إلى توضيح العلاقة بين ديمقراطية التعليم والديمقراطية العامة، كما تهدف إلى توضيح العلاقة بين مفهوم تكافؤ فرص التعليم وديمقراطية التعليم. خلصت الدراسة إلى أن التعليم لا ينمو ويزدهر وتزداد فرصة إلا في ظل نظام ديمقراطي كما أن الديمقراطية نفسها لا تنجح إلا في مجتمعات متعلمة ومستنيرة. وأن مصطلح ديمقراطية التعليم يتسع ويستوعب معاني مصطلحات تربوية كثيرة تنادي بتحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمع منها: العدالة في التعليم، التعليم للجميع، المجتمع المتعلم وغيره. أوصت الدراسة بضرورة توفير الإمكانات والمساعدات للتعليم ليتوسع نوعاً وكماً، لما له من دور إيجابي في نجاح الديمقراطية التي بدورها تقود إلى تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم، وضرورة العمل الجاد على تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم لتحقيق فرص الحياة الهانئة ومتطلبات العدالة الاجتماعية لكافة أبناء المجتمعات الإنسانية.

Abstract

This study dealt with the issue of democracy in education and equal opportunities amongst children in the society. The issue is an important one in an age where all people look for their right to secure a better social status which can only be obtained through means of receiving better education and knowledge. Therefore, many societies call for democracy in education that guarantees the principle of equal opportunities in education for their members. The study is important because it explained the cyclic relationship between democracy and education since the success of the first depends on the second and is affected by it. The study used the descriptive analytical method. The study aimed to explain the relation between the concept of equality of opportunity and democracy in education. Findings revealed that education does not grow and develop with ample opportunities for all anywhere other than in a democratic system. Moreover, democracy itself does not succeed except in educated and enlightened communities. Besides, the term democratic education espouses a lot of educational terms that call for availing equal opportunities for children within societies, justice in education, education for all and literacy among others. The researcher recommended that there is a necessity for providing the means and assistance required for qualitative and quantitative expansion in education due to its role in aiding democracy. And, democracy will likewise lead to equality of opportunity. In addition to that, there is a need for exerted efforts to attain the goal of equality of opportunity in education that fosters better life and social justice for all children of human communities.

مقدمة

في إطار الحديث عن ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه، سوف يتم مناقشة بعض الموضوعات المهمة التي تدخل في موضوع ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه بين أبناء المجتمعات، منها المفهوم العام للديمقراطية وعلاقته بديمقراطية التعليم، باعتبار أن التدرج المنطقي لفهم الموضوع يتطلب مناقشة وفهم هذه الجزئية، حيث إنه لا يمكن من الناحية المنطقية أن نفهم ديمقراطية التعليم إلا إذا تم فهم الديمقراطية بمعناها العام، فهماً عميقاً وصحيحاً لأن ديمقراطية التعليم ما هي إلا جانباً تطبيقياً للديمقراطية العامة، ومن بعد يتم تناول مفهوم وأبعاد ديمقراطية التعليم حيث إن هناك علاقة وثيقة وقوية بين الديمقراطية والتعليم، وكل من يتحدث عن ديمقراطية التعليم لا يتحدث عن شيء مختلف عن الديمقراطية العامة إلا من حيث

العموم والخصوص، فديمقراطية التعليم أحد الفروع الأساسية للديمقراطية العامة التي تطبق فيه قيم، ومبادئ، ومفاهيم الديمقراطية العامة في مجال التعليم، ويرتبط مفهوم ديمقراطية التعليم في مفهومه مع مفاهيم أخرى كثيرة متشابهة في معانيها ومدلولاتها معه، مثل حرية التعليم، العدالة في التعليم، التعليم للجميع، تكافؤ فرص التعليم، المجتمع المتعلم، ولكن جميع تلك المصطلحات تتلاقى مع مصطلح ديمقراطية التعليم في المعنى وتدخل جمعيها في مظلته، هذا بالإضافة إلى أن لديمقراطية التعليم فلسفة تقوم على الإيمان بأهمية التعليم كأهم أدوات التغيير والتطوير والتنمية الشاملة للمجتمعات، وأن اتجاهاته تعمل على تعميم التعليم الأساسي وجعله إلزامياً لجميع من هم في سن التعليم. ثم يأتي الحديث عن تكافؤ فرص التعليم مفصلاً وطويلاً على الرغم من توضيحنا سابقاً أنه ضمن المصطلحات التربوية الأخرى التي تتلاقى في المعنى مع ديمقراطية التعليم، وذلك لأهميته التي تتمثل في ارتباط مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية بالتكافؤ في فرص الحياة وجميع متطلبات العدالة الاجتماعية، وهو وسيلة مهمة جداً للوصول إلى المراكز الاجتماعية العليا، لذلك أصبح التعليم يشغل حيزاً كبيراً في تفكير جميع أبناء المجتمعات، باعتباره أداة للخروج من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا، فسيتم التعرض لمفاهيمه ومعانيه العديدة ومن ثم التعرف على المعوقات والصعوبات والتحديات المختلفة التي تقف دون تحقيقه والجهود المبذولة لإنجازه واقعاً معيشاً بين أبناء المجتمعات.

تتمثل مشكلة الدراسة في عدم تعاطي بعض المجتمعات الإنسانية إيجاباً، مع مبادئ وقيم الديمقراطية وإنزالها إلى واقع حياتها، مما انعكس سلباً على التعليم وتوفر فرصه، حيث لا ينمو التعليم ويتطور إلا في ظل الديمقراطية، كما أن الديمقراطية نفسها لا تنجح إلا في المجتمعات المتعلمة، فهذه العلاقة الدائرية

والمتبادلة غير واضحة لكثير من المجتمعات، وبذلك يكون تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم لأبناء المجتمعات من التحديات الكبيرة التي يواجهها، بالإضافة إلى وجود غموض ولبس في استيعاب مفهوم ديمقراطية التعليم وعلاقته بالديمقراطية العامة، وغموض كذلك في مفاهيم تكافؤ فرص التعليم وعلاقته بديمقراطية التعليم. تنبع أهمية هذه الدراسة، في أنها تسلط الضوء على ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه بين أبناء المجتمع، من حيث شرح العلاقة بين الديمقراطية والتعليم، باعتبار أن التعليم لا يتطور ويتقدم إلا في ظل الديمقراطية وقيمها التي يجب أن تسود في المجتمعات. كما أن أهميتها تنبع من حيث ارتباط تكافؤ فرص التعليم بتكافؤ الفرص في الحياة وجميع متطلبات العدالة الاجتماعية، وأن التعليم له علاقة وثيقة بالحراك الاجتماعي، وهو وسيلة مهمة للوصول إلى المراكز الاجتماعية العليا ولذلك وجب العمل على توفيره بالتساوي للجميع. كما أنه تهدف إلى الآتي:

1. تحديد العلاقة بين الديمقراطية والتعليم.
2. توضيح العلاقة بين ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرص التعليم.
3. توضيح الجهود التي تبذل من الجهات المختصة التي تعمل على إزالة العوائق التي تحول دون تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمع.
4. توضيح أن التعليم لا يزدهر ولا ينمو إلا في ظل نظام ديمقراطي.

تتحقق تلك الأهداف من خلال تقديم محتوى معرفي يجيب على الأسئلة التالية:

1- ما العلاقة بين ديمقراطية التعليم والديمقراطية العامة.
2- ما العلاقة بين ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرص التعليم.
3- ما ديمقراطية التعليم من حيث المفهوم والأبعاد والفلسفة والاتجاهات.
4- ما تكافؤ فرص التعليم من حيث المفهوم والأبعاد التاريخية والمعوقات.

لمعالجة هذه الحيثيات استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظواهر وتحليلها والوصول إلى النتائج وعلى التسلسل المنطقي للأفكار، وذلك من خلال الوقوف على مفهوم ديمقراطية التعليم وتوضيح العلاقة بينه وبين مفهوم تكافؤ فرص التعليم. كما أن هناك مفردات ومصطلحات تحتاج إلى شرح لمعانيها ودلالتها تتمثل في الآتي:

ديمقراطية التعليم: تعني الاعتراف بحرية الإنسان في اختيار الفرص التعليمية المناسبة لإمكاناته واستعداداته وقدراته، وحقه كذلك في تحرير عقله من الجهل.

مفهوم تكافؤ فرص التعليم: يعني توفير فرص تعليمية متكافئة ومتساوية، لتنمية قدرات واستعدادات كل فرد إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه بصرف النظر عن الأحوال المادية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للفرد.

ديمقراطية التعليم ومتعلقاته

علاقة ديمقراطية التعليم بالمفهوم العام للديمقراطية

إن الحديث عن ديمقراطية التعليم يدعو بالضرورة إلى الحديث عن الديمقراطية بمعناها العام، لأن الفهم الصحيح لديمقراطية التعليم لا يكون إلا بالفهم العميق والصحيح للديمقراطية بمفهومها العام، ذلك أن ديمقراطية التعليم ليست إلا جانباً تطبيقياً وعملياً للديمقراطية العامة مثلها في ذلك مثل الديمقراطيات الأخرى المرتبطة بمجالات الحياة المختلفة، كالديمقراطية السياسية، الديمقراطية الثقافية، الديمقراطية الاجتماعية، الديمقراطية الصحية، الديمقراطية الإدارية، وغيرها من ديمقراطيات يمثل كل جانب منها مجالاً من مجالات الحياة تطبق فيها مبادئ، وقيم، ورؤى الديمقراطية العامة، إذ لا بد من الإشارة إلى أن الديمقراطية في بداياتها قد غلب على مفهومها وتطبيقاتها البعد السياسي، ولكن لاحقاً تطور مفهومها حيث أصبح في وقتنا الحاضر يشمل جميع مجالات الحياة وجميع العلاقات الاجتماعية

بين أبناء المجتمعات الإنسانية، فإذا تناولنا الديمقراطية بمعناها العام الجديد فإنها تعني في أبسط معانيها (أسلوب ممارسة الحرية) وهناك مفهوم أخر للديمقراطية يشير إلى (أنها شكل من أشكال الحكم والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي) أو هي طريقة في الحياة تشمل جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية، أو هي كذلك (طريقة في الحياة يعيشها الفرد ويعيشها المجتمع ولا تقتصر على ناحية واحدة من نواحي المجتمع ولا على جانب من جوانب الشخصية وإنما هي شاملة لجميع نواحي المجتمع موضحة طريقة تشكيل حياته وأسلوبه للعمل الاجتماعي)، (الدجيلى، 1992: 54) فالديمقراطية بهذا المفهوم الواسع تشمل الديمقراطية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وهي تمثل نمط سلوك حياتي وصيغة للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وهي كذلك ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحريات، ولا يعني هذا الارتباط الوثيق بالحريات أن مفهوم الديمقراطية، مفهوماً مطلقاً، بل هو أمر نسبي، وسيظل هكذا باستمرار أمراً نسبياً ذلك لأن الديمقراطية المطلقة مثلها مثل الحرية المطلقة، أمر يصعب تحقيقه، نضيف إلى ما مضى ليقودنا ذلك أن الديمقراطية لا يمكن إقامتها في فراغ، وهي كذلك لا تمارس ضد واقع اجتماعي معين، وهذا بالضرورة يقودنا إلى الاستنتاج التالي: حتمية مراعاة قيم الأمة وتراثها عند تطبيق الديمقراطية، بالإضافة إلى مراعاة معطيات الحداثة والمستجدات في الوقت الراهن وتجارب الأمم الأخرى، حتى يتحقق لها الربط بين حيثيات الحاضر الذي تعيش فيه، والمستقبل الذي تريد أن تستشرفه، والمزج كذلك بين الأصل والعصر. وبما أننا مازلنا في طور توضيح العلاقة بين الديمقراطية بمعناها العام وديمقراطية التعليم موضوع بحثنا هذا، وجب علينا إلقاء مزيد من الضوء على جزئيات أخرى من الديمقراطية بشيء من العمق والتفصيل، للفهم السليم والصحيح لديمقراطية التعليم، حتى يتم التعاطي معه بصورة أكثر إيجابية وصولاً لما هو

منشود من أهداف لهذه الدراسة. كذلك نشير إلى أن الديمقراطية من حيث أنها فلسفة عامة لها مقومات وتقوم على مبادئ رئيسة، لا بد لنا من الإشارة إلى تلك المبادئ والقيم التي تساعد بصورة جلية في توضيح مفهوم وأبعاد ومرتكزات الديمقراطية بمفهومها العام والتي بدورها تقودنا إلى فهم سليم لديمقراطية التعليم موضوع الدراسة. (أحمد، 1979: 23) تتلخص تلك المبادئ والقيم في – الاعتراف بأن الإنسان أداة التنمية وغايتها على السواء وله دور فعال وقوي في التقدم والتطور، ومواجهة التحديات مع التأكيد على الإيمان بقيمة الإنسان، وأهميته وكرامته واحترام آدميته دون أي اعتبار لجنسه، ولونه ومركزه الاجتماعي والاقتصادي، ومن هذا المبدأ نستنتج النقطة التالية: وهي أن الديمقراطية تعد الإنسان هو المكون الأول لمفهومها، تستمد منه واقعيتها، وتصرف كل جهدها وقواها لرفع مستواه، وتعد احترامه وتأكيد أهميته وقيمته البعد الأساسي والأصل الذي ترتكز عليه الدولة – الاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية والعمل على صيانتها وعدم المساس بها والمتمثلة في – حقه في الحياة، حقه في توفير الأمن الشخصي، والحماية والمعاملة العادلة، حقه في الدفاع عن نفسه أمام قضاء نزيه وعدم أخذه بجريرة غيره، حقه في التحرر من الخوف الداخلي، حقه في الحرية الشخصية الملتزمة، وحرية التفكير والتعبير عن رأيه، حقه في حرية الانتقال والتنقل بين بلده والأقطار الأخرى، حقه في المشاركة في شؤون مجتمعه، وفي صنع القرارات والسياسات، حقه في تكوين الرأي الصحيح الناضج، بتوفير المعلومات الدقيقة له التي تمكنه من ذلك، حقه في التعليم والتدريب، والثقافة والعمل، وفي الفرص المتكافئة والفرص المتاحة لغيره، وغيرها كثير من حقوق إنسانية، وحريات ترتبط بكرامة الإنسان وقيمه، (الناصر، 1983: 32) بعد طرح كافة الحقوق التي يجب أن تتوافر للإنسان وفق مفهوم الديمقراطية، يمكننا الإشارة إلى النقاط التالية:

1- لا تتحقق للإنسان أي كرامة ولا تكون له قيمة، ولا يكون للديمقراطية أي معنى من دون توفير تلك الحقوق أو على الأقل توفير الحد الأدنى منها، وأن أي اعتداء على تلك الحقوق أو العمل على نقصانها هو اعتداء بالدرجة الأولى على الديمقراطية.

2 - أهمية النظر إلى الإنسان على أنه غاية في حد ذاته وليس وسيلة لتحقيق غايات أخرى لا علاقة له بها، مع أهمية مراعاة مصالحه ومطالبه في الحياة الكريمة، وأن يكون له نصيب عادل من التنمية التي يساهم فيها، كما يجب أن يستفيد من التنمية جميع أبناء الشعب وفئاته المختلفة.

3- الاعتراف بذكاء الإنسان وقدرة عقله على الإبداع والاختراع، وقدرته كذلك على المشاركة الفعالة في شؤون مجتمعه وعلى تطوير ذاته وبيئته وتشكيل مستقبله، وأن مجموع ذكاء الأشخاص أكثر فاعلية من ذكاء فرد واحد، وأن جميع أبناء المجتمع متساوون في المكانة والمنزلة، ولا يجوز التمييز بينهم إلا على أساس الخلق والعلم والكفاءة ، وإذا حدث غير ذلك فإنه يعد خرقاً لروح الديمقراطية وهزيمة لقيمها.

4- مساواة جميع أبناء المجتمعات في الحقوق والواجبات، وباقتران الحقوق بالواجبات واقتران المسؤولية بالسلطة، مع ضرورة تكافؤ الفرص أمام إمكانات الفرد وقدراته وإمكانات مجتمعه، مع ضرورة تمكينهم من الاستفادة من الفرص المتاحة لهم، والتأكيد على أن قيمة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية إنما تقاس بالفرص المتكافئة التي توفرها لجميع أبناء المجتمع من أجل تحقيق الحياة الكريمة، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن تكافؤ الفرص لا يعني تكوين أنماط متساوية من الأفراد، بل يعني أن تتاح لكل فرد الفرصة التي تتمشى مع

قدراته وإمكاناته وظروفه، وأن تتاح له أسباب التقدم والنجاح فيها بالقدر الذي تسمح له به إمكاناته وقدراته.

5- الاعتراف بالاختلاف والتنوع بين أبناء المجتمعات، وأن تلك الاختلافات والتنوعات، يمكن أن تكون مصدر تقدم ونماء وتطور لأبناء المجتمع إذا ما أحسن توجيهها وتوظيفها بأمثل الطرق، ومن واجب المجتمعات أن تهيئ الفرص المناسبة لأبنائها كل حسب قدراته وإمكاناته، وأن تساعدهم على النمو وفقاً لذلك مع وضعهم في المكان المناسب حسب قدراتهم وخصائصهم ورغباتهم.

6- اتخاذ الأسلوب العلمي في التفكير أساساً لحل المشكلات واتخاذ القرارات، والالتزام بكل ما يتطلبه من موضوعية بعيدة عن التحيز والذاتية والأمانة العلمية وما إلى ذلك من شروط ومطالب الأسلوب العلمي.

7- الاعتراف بالتوازن العادل بين مصالح الأشخاص، ومصالح المجتمع وبين حقوقهما بحيث يرعى كل منهما مصالح وحقوق الآخر، مع سعي كل منهما كذلك لتنمية وتقدم ورفاهية الآخر، حيث إن التنمية الشاملة والتحولات المرغوبة في المجتمع وتأكيد سلطة الشعب وسيادته، لا تعني التفريط في حقوق الفرد وحرياته ومصالحه.

8- الاعتراف بقيمة التعليم في تقدم المجتمعات ونهضتها ورفاهيتها وزيادة الوعي الديمقراطي فيها، وإحداث التغير المرغوب فيها وفي تلبية احتياجاتها من العناصر البشرية المدربة وفي إعداد أفرادها لأدوارهم ومسؤولياتهم الاجتماعية، فالتعليم في منظور الديمقراطية هو مفتاح التغيير وأدائه وهو حق وواجب في الوقت نفسه لكل شخص ولا يمكن للديمقراطية أن تنجح أو تنتشر في مجتمع يسوده الجهل والأمية، (هلال، 1987: 12).

من الطرح السابق نخلص إلى أن تلك هي أهم المبادئ التي ترتكز عليها الديمقراطية في معناها العام وتمثل الجانب المهم والأكبر في فلسفتها وفي نفس الوقت تلقي الضوء على مفهومها وآفاقها واتجاهاتها، ولتلك المبادئ والمعتقدات تطبيقات كثيرة في مختلف نشاطات ومجالات الحياة لأي مجتمع يريد ويرغب في اتخاذ الديمقراطية فلسفة له وأسلوباً لحياته وعلاقته، فالمجال التعليمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي جمعيها مجالات تطبق فيها قيم ومبادئ الديمقراطية، وغيرها من مجالات حياتية أخرى لكن ارتباط الديمقراطية بمجال التربية والتعليم أشد وأقوى، حتى أنه نستطيع التأكيد على عدم تحقيق الديمقراطية في أي مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد وانتشر فيه التعليم وعمت فرصه وتوافرت لجميع أبنائه وثبت فيه حق التعليم للجميع، إلى ذلك كذلك نشير إلى أنه كلما اتسع التعليم في مجتمع من المجتمعات زاد تمسكه بالحرية والديمقراطية، وأن من أهم حقوق الإنسان الثقافية والاجتماعية حق التعليم، ومن أهم صفات الإنسان الديمقراطي صفة التعليم، وأن الديمقراطية من يؤيدها هم أبناء المجتمعات المستنيرين والمجتمع المتعلم هو من أهم شروط نجاح الديمقراطية، حيث لا يمكن لأي دولة تدعي الديمقراطية أن تترك أبناءها دون تعليم، كما أن نجاح الديمقراطية كذلك وازدهارها يرتبط بوجود بيئة اقتصادية واجتماعية ملائمة، وبوجود ممارسات ديمقراطية على مستوى المؤسسات الأسرية والتعليمية والمهنية، فالشخص إن لم يمارس السلوك الديمقراطي في أسرته وفي مدرسته، وفي عمله لا يتوقع منه أن يكون ديمقراطياً، مما مضى يمكننا الوصول إلى الاستنتاجات التالية، هي أن علاقة الديمقراطية بالتعليم ليست علاقة من جانب واحد بل هي علاقة دائرية متبادلة يتوقف كل منهما على الآخر، ويتأثر كل منهما بالآخر، وأن الديمقراطية الحقيقة لا تتحقق إلا في مجتمع متعلم وبأشخاص متعلمين، وأن التعليم لا يزدهر ولا تتسع فرصه إلا في

ظل نظام ديمقراطي، وأن التعليم إن لم يعتمد على الديمقراطية ويطبقها في فلسفته واتجاهاته فإنه يكون نوعاً من المظهرية.

مفهوم ديمقراطية التعليم: أبعاده، فلسفته، اتجاهاته.

مفهوم وأبعاد ديمقراطية التعليم

نسبة للرباط القوي والوثيق بين الديمقراطية والتعليم، فإن الحديث عن ديمقراطية التعليم لا يختلف في شيء كثير عن الديمقراطية العامة إلا من حيث العموميات والخصوصيات والكليات والجزئيات (عصفور، 1997: 34) فديمقراطية التعليم هي جزء من الديمقراطية وفرع من فروعها، تطبق مبادئ واتجاهات الديمقراطية العامة في مجال من مجالات الحياة، هو مجال التعليم، فديمقراطية التعليم مثلما أوضحنا في صدر هذه الدراسة مثلها مثل بقية الديمقراطيات الأخرى، كالديمقراطية السياسية التي تطبق قيم ومبادئ الديمقراطية في المجال السياسي، وهذا المجال هو الأصل الذي طبق فيه مبادئ الديمقراطية أولاً ثم من بعد تطورت منه الديمقراطية في المجالات الأخرى للحياة، بالإضافة إلى الديمقراطية الثقافية التي تطبق قيم ومبادئ الديمقراطية العامة في مجال الثقافة، وهكذا يسري القول على الديمقراطية الاجتماعية، والاقتصادية والإدارية، وغيرها من ديمقراطيات تطبيقية تتبع جميعها من الديمقراطية العامة وتحاول تطبيق قيمها ومبادئها واتجاهاتها في مجال معين من مجالات الحياة، وبما أن محور حديثنا هنا ديمقراطية التعليم دون الديمقراطيات الأخرى، فنؤكد أنها أحد الفروع الأساسية للديمقراطية العامة التي تطبق فيها نفس القيم والمبادئ. ويرتبط مصطلح ديمقراطية التعليم بعدد من المصطلحات ذات الدلالة المشابهة له في المعنى منها، حرية التعليم، العدالة في التعليم، تكافؤ فرص التعليم، التعليم للجميع، المجتمع المتعلم، إلى غير ذلك من المصطلحات التربوية المطروحة في الأدب التربوي الحديث المهتمة بالحديث عن تطبيقات المبدأ

الديمقراطي في مجالات التعليم، فجميع تلك المصطلحات ذات معان ودلالات متقاربة فيما بينها، ولا تختلف في معانيها إلا من حيث العموميات والخصوصيات، ولعل ديمقراطية التعليم أعم وأشمل تلك المصطلحات إذ تدخل في مظلته جميع المصطلحات السابقة. لذلك يمكننا القول بالمفهوم الشامل لذلك المصطلح وفق الآتي: ديمقراطية التعليم تعني الاعتراف بحرية الإنسان في اختيار الفرص التعليمية المناسبة لإمكاناته، واستعداداته وقدراته وحق الإنسان في تحرير عقله من الجهل، ديمقراطية التعليم تعني تحقيق العدل والمساواة في مجال التعليم، بحيث يتساوى جميع الأشخاص في الحقوق التعليمية والتربوية، ويتساوون كذلك في واجباتهم نحو الانتفاع بما يتاح لهم من فرص تعليمية ونحو النهوض بمجتمعهم، وهي تعني تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في مجال التعليم، والاعتراف بحق كل إنسان في المجتمع أن تكون له فرص تعليمية متكافئة مع ما لغيره من فرص تتناسب مع استعداداته، وإمكاناته وقدراته وميوله وحاجاته، وهي تعني، تعميم التعليم وجعله حقاً عاماً لجميع أبناء المجتمعات، وجعل القدر الأساسي منه إلزامياً وتسهيل سبله بحيث يستطيع الجميع الاستفادة من فرصه ومواصلة السير فيه إلى أقصى درجة ممكنة، فالجميع يجب أن يكونوا متساويين في حق التعليم المناسب لاستعداداتهم، وقدراتهم، وإمكاناتهم، ولا يجوز أن يحرم من هذا الحق أي فرد من أفراد المجتمع قادراً على التعليم بسبب لونه، أو جنسه، أو أصله أو إعاقته أو فئته الاجتماعية أو سنه أو منطقة سكنه –مفهوم ديمقراطية التعليم في المجتمعات الديمقراطية التي تأخذ بالاتجاهات التربوية المعاصرة لا ينطوي ذلك على مجرد توفير الفرص المناسبة للالتحاق بالتعليم، بل أنه يأخذ أبعاداً أخرى من أهمها إتاحة الفرص المناسبة للاستمرار في التعليم في إطار التربية المستدامة والتعليم مدى الحياة. (بوبطانة ومعوض، 1983: 11) مما مضى من طرح فيما يتعلق بمفهوم مصطلح ديمقراطية

التعليم، يمكننا الإشارة إلى الاستنتاجات التالية: أن مصطلح ديمقراطية التعليم يشمل في مفهومه الواسع الكبير جميع المصطلحات التي أشرنا إليها سابقاً وهي، حرية التعليم، العدالة في التعليم، تكافؤ فرص التعليم، التعليم للجميع، المجتمع المتعلم وغيرها من مصطلحات ذات صلة، كما أن جميع تلك المصطلحات لا تعدو أن تكون في معانيها ومفاهيمها إلا أبعاداً وأهدافاً لديمقراطية التعليم في معناه الكبير، إن أي تعريف أو تفسير شامل لديمقراطية التعليم لا بد أن يتضمن بالضرورة معاني جميع المصطلحات سابقة الذكر من حيث الربط والتكامل بينها في معنى واحد، لذا نستصحب كل تلك الحيثيات المتعلقة بديمقراطية التعليم لنشير إلى الاستنتاج الرئيس التالي في إطار الشرح العميق لمفهوم ديمقراطية التعليم وهو أن ديمقراطية التعليم تعني، الاعتراف بحرية الفرد وبحقه في التعليم المناسب الذي يمكنه من تنمية شخصيته المتكاملة، وتأكيد مبدأ العدالة والمساواة في توزيع وتوفير الفرص والخدمات التعليمية، وجعل التعليم حقاً عاماً لجميع أبناء المجتمعات، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بمعناه الوافي وصولاً إلى تكوين الفرد الديمقراطي المتشبع، بروح وقيم الديمقراطية والملتزم بمبادئها في سلوكه وعمله، وإلى بناء المجتمع الديمقراطي الذي تسود فيه وتطبق القيم والمبادئ الديمقراطية، وإلى بناء نظم تعليمية ديمقراطية تطبق فيها المبادئ والمفاهيم والاتجاهات الديمقراطية في جميع جوانبها، مع ضرورة إدراك أن ديمقراطية التعليم ليست مجرد شعار يذكر أو جمل ترددولكنها مبادئ تطبق وقيم وواجبات ومسئوليات يلتزم بها، وجهود تبذل، وفرص تعليمية تهيأ وعلاقات تمارس على أرض الواقع تعكس جمعيها قيم الديمقراطية وأساليبها، وتستهدف بناء الفرد والمجتمع الديمقراطي، والنظام التعليمي الديمقراطي، فبناء الفرد الديمقراطي، والمجتمع الديمقراطي، والنظام الديمقراطي، هو المقياس لنجاح ديمقراطية التعليم من عدمه (البسام والعاني، 89:1982).

فلسفة واتجاهات ديمقراطية التعليم

إذا كانت فلسفة التربية تعني في أبسط معانيها، مجموعة المعاني والمعتقدات العامة التي حددت بوضوح في شكل متكامل ومتناسق لتكون المرشد والموجه لعمليات التعليم ومختلف نشاطاته، فإن فلسفة ديمقراطية التعليم أو الفلسفة التربوية ذات التوجه الديمقراطي ينبغي أن تقوم على المبادئ التالية:

1- الإيمان بأهمية التعليم باعتباره أهم أدوات التغيير والتطوير والتنمية الشاملة لكل أبناء المجمعات الإنسانية.

2- الإيمان بحق أبناء المجتمعات في التعليم المناسب وفقاً لقدراتهم وإمكاناتهم، وأن تتاح لهم حرية الاختيار لنوع التعليم الذي يتمشى مع تلك القدرات والإمكانات، لأن حق التعليم هو من أهم الحقوق التي ينبغي أن يتمتع بها أفراد المجتمع الإنساني باعتباره المفتاح لنيل بقية الحقوق الأخرى.

3- الإيمان بأن تطوير التعليم وحل مشكلاته والنهوض به هو حجر الزاوية ونقطة البداية في نهوض المجتمعات الإنسانية وتقدمها، وتطوير حياتها وحياة أبناءها في كافة المجالات.

4- التأكيد على أن تطوير التعليم ينبغي أن يتم في إطار القيم والمبادئ الديمقراطية، التي تؤكد أصالتها الذاتية وقيمها المتعددة.

5- ضرورة إعطاء أهمية خاصة للتعليم الفني والتقني لصلته المباشرة بالتنمية الاقتصادية الحديثة، وفائدته الكبرى في تحسين مستوى المعيشة ونوعية الحياة لأبناء المجتمعات.

6- الإيمان بالتغير الاجتماعي كحقيقة واقعة وملموسة في الحياة وعلى أبناء المجتمع الإنساني الإيمان بهذه الحقيقة، وأن يسلموا بها ويتكيفوا معها بل يجب عليهم الإسهام في عملياتها لأن التعليم بنوعيه العام والتقني له الصدارة في عمليات

التغيير الصالحة المرغوبة وفي مواجهة كافة المشكلات النفسية والاجتماعية والاقتصادية الناتجة عنه.

7- الإيمان بأن الإنسان هو العنصر الأول في التنمية وبناء الحضارة، وعمليات التغيير والتطوير التي تحدث في المجتمعات فهو منطلق التنمية، ومحركها وهدفها وغايتها والعامل الحاسم في عملية التغيير، لذلك فالأخذ بمبدأ ديمقراطية التعليم والاعتراف بكل المبادئ سالفة الذكر يعد أهم مكونات فلسفة التوجه الديمقراطي في التعليم، ويقتضي ذلك أن تسير سياسات التعليم وعمليات تطويره وتحسينه وفق الاتجاهات التالية:

تعميم التعليم الأساسي لجميع أبناء المجتمعات، بحيث يستطيع كل فرد بقطع النظر عن جنسه أو سنه أو حالته الصحية أو مستواه العقلي أو الاقتصادي، وأن يتمتع بحقه في التعليم، وأن يكون هذا الحق حقاً عاماً مشتركاً لجميع أبناء المجتمعات، وفي سبيل تدعيم هذا الاتجاه التربوي الديمقراطي يجب على الدول أن تجعل هذا القدر الأساسي من التعليم أمراً إلزامياً بالقانون، وأن تجعله مجانياً، وأن توفر له الوسائل والتسهيلات والإمكانات كافة التي تسهل الالتحاق به والاستمرار فيه، وأن توفر له على وجه الخصوص المدارس التي تكفي لاستيعاب جميع من هم في سن الإلزام واستيعاب المتسربين من السنوات السابقة، وأن تزيد من عدد هذه المدارس باستمرار لمسايرة الزيادة السنوية في عدد الذين يصبحون في سن الإلزام الدراسي من الأطفال (المقدم، 1978: 65).

تكافؤ فرص التعليم ومتعلقاته

تكافؤ فرص التعليم، مفاهيمه، وأبعاده التاريخية

حيث تنبع أهمية التكافؤ في فرص التعليم في ارتباطه بالتكافؤ في فرص الحياة وجميع متطلبات العدالة الاجتماعية، وأن التعليم ذو علاقة وثيقة بالحراك

الاجتماعي، وهو وسيلة مهمة للوصول إلى المراكز الاجتماعية المرموقة، لذلك أصبح التعليم يشغل حيزاً كبيراً في تفكير الأفراد باعتباره أداة للخروج من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا في المجتمع، وتاريخياً ظهرت الدعوة إلى ضرورة تحقيق الفرص التعليمية المتساوية بين أبناء المجتمعات منذ أواخر القرن التاسع عشر، وأصبح مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية بين أبناء المجتمعات شائعاً في مختلف بلدان العالم المتقدمة منها والنامية، كما بدأت الحركات العمالية والطلابية والمعارضة خاصة تركز عليه بشكل كثيف منذ عام 1958م، تاريخ تبني هيئة الأمم المتحدة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والذي تضمن مادتين ينصان على التالي: الأولى: لكل شخص حق المشاركة بحرية في الحياة الثقافية للمجموعة. الثانية: لكل شخص الحق بالتربية والتعليم اللذين يجب أن يكونا مجانيين في الأقل فيما يخص التعليم الأساسي. فهناك عدد من التعاريف التي طرحها عدد من العلماء والباحثون لمفهوم تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمعات لارتباطه بمبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية، ومنها ما يلي: تعريف، (هندام وجابر، 1978: 23)، أنه إتاحة الفرصة لكل فرد ليقوم بدوره في المجتمع ويختار نوع العمل أو المجال الذي يعمل فيه بقدر ما تؤهله استعداداته العقلية وميوله وخبراته. كما عرفه، (نحلة، 1988: 11): أنه المساواة في نسب النجاح المدرسي والمهني بشكل خاص بين مختلف الطبقات، إذ أن الاقتصار على النجاح المدرسي لا يحل المشكلة إلا جزئياً، كما عرفه، (الشيباني، 1986 :89): أن يكون لكل فرد في المجتمع فرصة تعليمية متكافئة مع ما لغيره في بداية الانطلاق ثم في التقدم والنجاح والارتقاء بنفسه من خلال الخدمات التعليمية المتاحة له، بينما فسر، (صيداوي، 1981: 56) مفهوم تكافؤ فرص التعليم له عدة تفسيرات ومنحته معاني كثيرة منها ما يلي:

1- أن معني التكافؤ في فرص التعليم أنه يتوجب تحقيق التكافؤ بين المتعلمين عندما يذهبون إلى المدرسة، لأول مرة أو يدخلون مرحلة تعليمية لأول مرة.

2- أن معنى المساواة في الفرص التعليمية مسألة عملية توجب تحقيق التكافؤ بين المتعلمين.

3- أن تحقيق التكافؤ يكمن في نتائج التعليم أو مخرجاته لا في فرص التعليم، وهي نقلة نوعية واسعة لإحداث التكافؤ في نتائج التعلم لدى معظم المتعلمين تحت ظروف وشروط معينة، كما عرف حسن سلامة الفقي تكافؤ الفرص التعليمية –على أنه العمل على بناء مجتمع الجدارة الذي يتيح الفرصة لكل فرد لينمي قدراته إلى أقصى حد يمكن أن يصل إليه، ومن ثم يتيح الفرصة له ليمثل المكانة الخاصة به في مواقع العمل والمسؤولية بما يتفق وقدراته واستعداداته، بصرف النظر عن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها من خلال تحقيق المساواة في المراحل التعليمية المختلفة، أما حمدي علي، فيرى أن مفهوم تكافؤ فرص التعليم يعني توفير فرص تعليمية متكافئة ومتساوية لتنمية قدرات واستعدادات كل فرد إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه، بصرف النظر عن الأحوال المادية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للفرد، فقد تطور مفهوم تكافؤ الفرص وحدثت أزمة كبيرة في تفسيره. حيث أثار هذا المفهوم أسئلة كثيرة لدى الباحثين منها، ماذا نعني بالتكافؤ؟ هل هي المساواة في الحقوق، بمعنى أن لكل شخص الحق في الحصول على تعليم مجاني لا حد له، وبحسب رغبته أم يعنى بذلك المساواة في النتائج؟ بمعنى أن لا يكون هناك اختلاف كبير بين أفراد المجتمع في الثروة والجاه والنفوذ، وعلى ذلك يتم تطبيق المفهوم بتضييق الفجوة بين نتائج التحصيل الدراسي، وبين طلاب الطبقات الدنيا والمتوسطة، وبين الأجناس والألوان البشرية المختلفة، أم أن المفهوم يعني علينا فقط أن نوفر تنافساً عادلاً بين أفراد المجتمع، ينال من خلاله كل شخص فرصة

متساوية لكي يكون مختلفاً ومتميزاً عن غيره، أم أن التكافؤ لا يعني التساوي في الفرص التعليمية التي تنمي قدرات واستعدادات كل فرد إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه، بصرف النظر عن مستواه الاجتماعي والاقتصادي. لقد وجد مفهوم تكافؤ الفرص في بداياته قبولاً كبيراً من المجتمعات الإنسانية، ولكنه كان عرضة لكثير من التأويلات في تفسيره حيث ظهرت تأويلات متعددة في تفسيره منها: أن المراد بمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية هو فتح المدارس وإتاحة التعليم المجاني لكل شخص من دون تفرقة، وقد اختلف في القدر الكافي من التعليم والذي بموجبه يتحقق التكافؤ، هل هو القدر المتساوي من التعليم أم هو القدر الكافي من التعليم، بحيث يسمح لكل فرد الوصول إلى تحقيق قدراته الكامنة. وبقراءة جيدة لحيثيات التأويل والتفسير السابق لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية يمكننا الوصول إلى الاستنتاجات التالية وهي: أن المفهوم يركز على أهمية نشر التعليم وإتاحته لكل من يطلبه بدون حدود، والاعتقاد بأن التعليم هو المفتاح الرئيس لرفعه القيمة الاجتماعية للفرد لتنمية قدراته، وأن التعليم له القدرة على تجنب المجتمع للمشكلات التي تواجهه. كما يمكننا أيضاً التأكيد على نقطة أخرى مهمة هي أن التعليم المفتوح لا يحقق مفهوم تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمعات والشاهد على ذلك هو أنه ليس كل الأطفال الذين أتيحت لهم فرص متساوية في دخول المدارس المفتوحة والمجانية التحقوا بها، حيث لوحظ أن أولياء أمور الأطفال الفقراء لم يسمح لهم بالدخول لتلك المدارس لحاجة أسرهم لهم في العمل معهم لتحسين ظروف الأسرة وسعياً لكسب الرزق. لذلك كانت هناك صعوبات وانتقادات كثيرة جعلت المهتمين بالتعليم يدعمون أي تأويل وتفسير مستقبلي لمفهوم تكافؤ فرص التعليم بتصور عملي تطبيقي مستند إلى حقائق ودراسات علمية، يمكن بتبنيه أن يتحقق مبدأ تكافؤ فرص التعليم، ويحاول معرفة أسباب قلته بين أبناء المجتمعات، بالرغم من فتح

التعليم المجاني لكل فرد من دون تفرقة، وبالرغم من الدعم المادي والمعنوي الكبير والمتواصل لمؤسسات التعليم، ومن أهم تلك التأويلات والتفسيرات حول مفهوم تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمعات على المستوى التنفيذي والعملي التي تم تبنيها: (الفقى، 1983: 32).

1- أن المراد بالمفهوم هو التكافؤ في المنهاج ويقصد بذلك إيجاد مناهج وأنظمة دراسية مختلفة في المدرسة، بحيث يكون للفرد عدة خيارات تعليمية يختار منها ما يناسب قدراته ويحقق رغباته، وسمي ذلك بنظام المسارات الذي يتم فيه تصنيف الطلاب في المدرسة إلى إعداد عام تقني ومهني.

2- أن المراد بالمفهوم هو توفير تعليم متساو على مستوى المنطقة الواحدة، ومعنى هذا أن تكافؤ فرص التعليم يمكن تحقيقه، من خلال توفير تعليم متساو على نطاق كل منطقة وذلك تبعاً لقدراتها على دعم التعليم

3- أن المراد بالمفهوم هو التكافؤ في البيئة التعليمية ومدخلاتها حيث يقصد بها مجموعة متغيرات مثل تكلفة التلميذ الواحد والتي تقاس بقسمة المخصصات المالية للمدرسة على عدد تلاميذها وكذلك نوعية المناهج، ومؤهلات المدرسين، وعددهم، وسنوات خبرتهم، نوعية البناء المدرسي، وجود مكتبات، وجود معامل، وجود ملاعب رياضية، ساحات في المدرسة.

4- أن المراد بالتكافؤ هي المخرجات التعليمية، ويقصد بذلك التقارب في نتائج التحصيل الدراسي بعد كل مرحلة تعليمية غير متصلة بالتعليم أو بمتغيرات غير أخلاقية كالجنس أو الدين، أو الأصل الاجتماعي أو العرقي أو الجغرافي.

5- أن المراد بالمفهوم إتاحة الفرص لتلقي أي قدر من التعليم، حيث يقصد بذلك إتاحة الفرصة لكل شخص ليتلقى أي قدر من التعليم كل حسب ما يلائمه بالتساوي حسب نوعية الحياة العلمية التي يرغبها. في إطار سردنا هذا وصولاً إلى ما هو

متفق عليه بشأن مفهوم تكافؤ فرص التعليم لاحظنا أن هناك اختلافات عديدة في تفسيراته بالتالي وجب علينا كذلك تناول مفاهيم أخرى تساعدنا في إيجاد معاني ومفاهيم مشتركة لتكافؤ فرص التعليم. والتي منها التالي:

1- المفهوم المحافظ لتكافؤ الفرص التعليمية ومفاده، أن الله سبحانه وتعالى قد منح كل فرد الاستعدادات التي تتلاءم مع الفئة أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها منذ ولادته وعلى كل فرد أن يستفيد من ما وهبه الله ويرضى به وهو ببساطة يطالب ببقاء المرء في طبقته الاجتماعية ويوظف كفاءته التي منحها له الله سبحانه وتعالى.

2- المفهوم الليبرالي ومفاد هذا المفهوم هو أن كل فرد يولد ولديه مقدار شبه ثابت من الكفاءة والذكاء، ويجب تصميم النظام التعليمي بطريقة تزول معه العوائق الخارجية والاقتصادية والجغرافية التي تمنع الطلاب القادرين من أبناء الطبقة الدنيا من الاستفادة من ذكائهم الموروث الذي يؤهلهم بحق للترقي الاجتماعي.

3- المفهوم الراديكالي حيث ظهر هذا المفهوم نتيجة النقد الشديد الذي وجه للمفهوم الليبرالي وهو مفهوم ينحصر في ثلاث اتجاهات هي: الأول، اعتماد تربية تعويضية خصوصاً في إطار دور الحضانة ورياض الأطفال، واعتمد هذا الاتجاه على نتائج البحوث الحديثة، ومفاده أنه لا يكفي تسهيل الدروب المؤدية إلى دخول المؤسسات التعليمية بل لا بد من تحقيق مزيد من التكافؤ وبوجه خاص في إطار دور الحضانة ورياض الأطفال من جهة وفي سائر المدارس من جهة أخرى. أما الاتجاه الثاني فهو يدعو إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، باعتبار أن الإصلاحات التربوية لا يمكن أن تنجح وتؤتي ثمارها إلا إذا حدثت تغييرات ديمقراطية عميقة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع ترافق التغيير التربوي. والاتجاه الثالث يقوم على فكرة رئيسة مفادها البحث على تقديم مساندة تربوية شاملة على

طول السلم التعليمي لا سيما في بداية كل مرحلة دراسية حتى بلوغ درجة الإتقان المنشود (الحامد، 2003: 12).

تكافؤ فرص التعليم، معوقاته، وجهود تحقيقه

لوحظ أن هناك مجتمعات وجدت فيها عوامل محددة أسهمت في عدم انتشار مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبنائه، ومن هذه العوامل التالي:

1- المعوقات الاقتصادية: وتتمثل في عجز الأشخاص عن الحصول على الخدمة التعليمية ذات التكلفة العالية، ونتيجة لذلك يصبح أصحاب الثروات المالية والنفوذ الاقتصادي، هم فقط القادرون على الاستفادة من التعليم، وبذلك يوظفون التعليم لصالحهم من خلال احتكار الوظائف والأعمال التي تتطلب الدراية والخبرة المتخصصة، وهذه الظاهرة منتشرة في المجتمعات الرأسمالية التي يسيطر فيها أصحاب المال على الأحوال الاقتصادية والسياسية والتعليمية، ومن ثم يرسمون السياسات التعليمية بما يتفق ومصالحهم.

2- المعوقات الاجتماعية: ويقصد بذلك الحواجز والصعوبات والقيود التي يضعها المجتمع أمام بعض فئاته وطوائفه للحصول على فرص تعليمية، وتتصل تلك القيود بالتركيب الطبقي في المجتمع الذي تنتظم فيه فئات المجتمع وفق مميزات تتمتع بها فئة دون أخرى، حيث تمثل مميزات الطبقة على أساس من الثروة الموروثة أو المركز الاجتماعي أو المهني، وهذه الظاهرة أيضاً منتشرة في أوساط المجتمعات الرأسمالية، التي تتخذ من أبناء الطبقات الاجتماعية أساساً لتوزيع فرص التعليم، فيحصل عليها أبناء الطبقات الاجتماعية المسيطرة، وبذلك تضمن لها وظائف عليا بسبب سيطرتها وتسليحها بالعلم بينما يحرم أبناء المجتمعات الفقيرة من العلم والتعليم والوظائف العليا.

3- المعوقات التمييزية: ويقصد بذلك العراقيل التي تضع أمام بعض أبناء المجتمع الذين ينتمون إلى جماعات تمثل عنصراً معيناً أو قومية معينة أو جالية أجنبية أو يقصد بها كذلك أن تيسر بعض المجتمعات الخدمات التعليمية لأبنائها بينما تجعلها صعبة وعسيرة على أبناء العاملين فيها من المستوطنين أو القادمين إليها للعمل.

4- معوقات تتعلق بالجنس: ويقصد بذلك المجتمع التقليدي الذي يحرم التعليم على البنت بينما يمنحه للولد مبرراً ذلك بأن مكان البنت هو البيت، وقد تسبب هذا الاتجاه الرجعي المتخلف في حرمان نصف المجتمع من أن ينال حظه في التعليم، وبذلك عطل الإمكانات والطاقات الفكرية للمرأة في المجتمع، ذلك أن تعليم المرأة مهم للغاية ويسهم بدور كبير في تطوير المجتمع، وتقدمه، وازدهاره من خلال زيادة الطاقة الإنتاجية، ومن خلال التربية الصحيحة التي تمارسها المرأة المتعلمة في تربية أبنائها، كي يكونوا مواطنين صالحين ومؤثرين في المجتمع الذي يعيشون فيه (سرحان، 1981: 67)، وبالرغم من تلك الصعوبات والمعوقات التي أصبحت تحول دون تحقيق التكافؤ في فرص التعليم بين أبناء المجتمعات الإنسانية، إلا أن هناك مجهودات كبيرة بذلت من بعض المجتمعات من أجل تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم، حيث إن هناك مجتمعات كثيرة حاولت النهوض بالتعليم لتصل إلى مجتمع الجدارة الذي تتوافر فيه فرصاً تعليمية لجميع أفراده بالتساوي وبسهوله ويسر، وهي تحاول ذلك بالرغم من الاختلافات في الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية إتاحة فرص التعليم لكل شخص لينمي قدراته، ومواهبه إلى أقصى الحدود بصرف النظر عن وضعه المادي أو الطبقي، أو أي عوامل أخرى، وبذلك يستطيع أصحاب القدرات والمواهب الصعود في السلم الاجتماعي بما يتفق مع قدراتهم ومواهبهم، ولتحقيق تكافؤ الفرص في التعليم أخذت مجتمعات كثيرة باستراتيجية قوامها تعميم التعليم في المراحل الأولى، وجعله إلزامياً ونشره بكافة

الطرق والوسائل في الأوساط المجتمعية، مع توفير الرعاية الصحية للأطفال ذوي القدرات العقلية المحدودة، أو الإعاقات البدنية أو الظروف الأسرية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة، وبالرغم من تأثر عدد كبير من المجتمعات، بالدعوى المطروحة والداعية إلى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين أبنائها، باعتبار أن ذلك من أهم المبادئ التي تقوم عليها التربية في المجتمع الديمقراطي، إلا أن هناك مصاعب وتحديات كثيرة واجهت تلك المجتمعات في سبيل توفير فرص التعليم لأبنائها، مما يوضح أن تلك المجتمعات لم تستطيع تحقيق الحد الأدني من تكافؤ فرص التعليم لأبنائها، وهذا الأمر واضح من خلال التالي:

1 – وجود نسبة كبيرة جداً من المحرومين من التعليم من الأطفال الصغار.

2– وجود نسبة ضخمة من الأميين الكبار.

3– وجود نسب كبيرة من المتسربين في كافة مراحل التعليم .

وهذا كله يلقي بمسئوليات كبيرة على المسئولين عن التعليم في تلك المجتمعات ليبذلوا جهداً كبيراً في معالجة تلك المشكلات التي تحول دون تحقيق التكافؤ في فرص التعليم بين الأبناء. ولتحقيق المعنى الكلي والشامل لمبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمعات الإنسانية لا بد من التأكيد على النقاط التالية:

1– أن يتوافر للتعليم جميع الإمكانات التي تساعد على التوسع الكمي والنوعي في جميع مظاهره وجوانبه، وأن تطور جميع جوانبه في ضوء المبادئ التي تقوم عليها ديمقراطية التعليم، والاتجاهات التي تعرضها والتي في حقيقتها إشارات إلى إصلاحات وتحسينات مقترحة في نظم التعليم، وغايتها توسيع وتحسين فرص التعليم وتحقيق التكافؤ فيها أمام كل أبناء المجتمع.

2– الأخذ في الاعتبار أن التحسينات والتغييرات المرغوبة والتي يتطلبها تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بمعناه الكبير والواسع الشامل لا يدخل جميعها في نطاق

مسؤوليات الجهات التعليمية فقط في تلك المجتمعات، بل يدخل كثير منها في نطاق جهات ومؤسسات أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية، وذلك مثل التحسينات المرتبطة بتقليل الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين المواطنين، وتحسين الأحوال الثقافية والاقتصادية والسياسية للمواطنين، مع توفير الخدمات المختلفة لهم، وربط الجهود المبذولة في التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالجهود المبذولة في التعليم، مع العمل على توفير الأموال اللازمة لبناء المدارس التي تحقق الاستيعاب الكامل بالنوعية المطلوبة لأبناء المجتمع، مع تحسين وتطوير النظم الإدارية وسن التشريعات واللوائح التي تمنع تشغيل الأطفال واليافعين الذين هم في سن التعليم الإلزامي، إلى غير ذلك من التحسينات المطلوبة التي يقع تنفيذها على عاتق الجهات التعليمية، والجهات غير التعليمية من مؤسسات إدارية واقتصادية وثقافية وسياسية واجتماعية، كلها تسهم بقدر كبير في إنجاز ما يليها من واجبات بالإضافة إلى الواجبات التي ينبغي أن تقوم بها الجهات التعليمية في إنجاز ما يليها، وبذلك نستطيع التأكيد على أن جهود جميع تلك الجهات التعليمية وغيرها تصب في صالح تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم وتوفيره لأبناء المجتمعات الإنسانية.

الخاتمة

من الطرح السابق لحيثيات ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه، نخلص إلى أن ديمقراطية التعليم ليست إلا جانباً تطبيقياً وعملياً للديمقراطية العامة، التي كانت في بداياتها قد غلب على مفاهيمها وتطبيقاتها البعد السياسي فقط، ولكن لاحقاً تطور مفهوم الديمقراطية العامة وتطورت كذلك تطبيقاته، فأصبحت تشمل جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية والتعليمية وغيرها، ومن ثم ذكرنا تعريفات عديدة للديمقراطية العامة، التي تعني في أبسط تعريفاتها أسلوب ممارسة الحرية، ثم تلي ذلك حديث موجز عن مقومات ومبادئ الديمقراطية التي كان أهمها: أن الإنسان أداة التنمية وغايتها وله دور فعال في إحداث التقدم والتطور للمجتمع الذي يعيش فيه، مما قادنا ذلك إلى توضيح العلاقة بين الديمقراطية والتعليم والذي تمثل في: أنها علاقة دائرية متبادلة بينهما، باعتبار أن الديمقراطية الحقيقة لا تتم إلا في مجتمع متعلم وبين أفراد متعلمين، وأن التعليم لا يزدهر ويتقدم ولا تتسع فرصه، إلا في ظل نظام ديمقراطي، هذا بالإضافة إلى أن مصطلح ديمقراطية التعليم يرتبط بمصطلحات أخرى مشابهة له في المعنى والدلالة مثل، العدالة في التعليم، الحرية في التعليم، التعليم للجميع، المجتمع المتعلم، تكافؤ فرص التعليم، وجميع تلك المصطلحات ذات معاني متقاربة ومتداخلة فيما بينها إلا أن أعم تلك المصطلحات وأشملها هو مصطلح ديمقراطية التعليم الذي تدخل في مظلته كل تلك المصطلحات السابقة، وفي أطار شرح وتوضيح فلسفة واتجاهات ديمقراطية التعليم، أشرنا إلى أهمية أن تقوم فلسفة ديمقراطية التعليم على مبادئ كثيرة ، أهمها:

1- اعتبار التعليم أهم أدوات التغيير والتطوير والتنمية الشاملة لكافة أفراد المجتمعات.

2- وأن اتجاهاته يجب أن تصب في العمل على تعميم التعليم الأساسي لجميع أبناء المجتمعات، بصرف النظر عن الجنس أو اللون، أو السن، أو الحالة الصحية أو غيره، بمعنى أن يصبح حقاً مشتركاً وعاماً بين جميع أبناء المجتمع. كما كان هناك أيضاً حديث طويل ومفصل عن تكافؤ فرص التعليم بالرغم من أننا أوضحنا من قبل أنه إحدى المصطلحات التي تلتقي في المعنى مع مصطلح ديمقراطية التعليم ولكن مع ذلك أفردنا له مساحة خاصة باعتبار أهميته المتمثلة في ارتباطه بالتكافؤ في فرص الحياة وجميع متطلبات العدالة الاجتماعية، ثم قبل الحديث عن المعوقات والصعوبات التي تحول دون تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمع والجهود التي تبذل في سبيل إنجازه، أوردنا تصورات تطبيقية وعملية مستندة إلى دراسات علمية دعمت تأويلات وتفسيرات مستقبلية لمفهوم تكافؤ فرص التعليم حيث بتبنيها يمكن أن يتحقق مبدأ التكافؤ في الفرص التعليمية لأبناء المجتمع، ومن أهم تلك التفسيرات والتأويلات: هو أن المراد بالمفهوم، التكافؤ في المنهاج، التكافؤ في الموارد الدراسية، التكافؤ في المخرجات التعليمية، ثم أشرنا من بعد ذلك إلى مفاهيم أخرى تساعد في إيجاد معان مشتركة لمفهوم تكافؤ فرص التعليم منها، المفهوم المحافظ، المفهوم الليبرالي، والمفهوم الراديكالي، إلى أن جاء الحديث عن المعوقات التي حالت في كثير من الأحيان وما زالت إلي يومنا هذا دون تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم ومنها، المعوقات الاقتصادية والاجتماعية والعنصرية وأخرى تتعلق بالجنس. وآخر ما قمنا بشرحه هو جهود الجهات المختصة في تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم والتي تشير إلى وجوب توفير كافة الإمكانات والمساعدات التي تساعد التعليم على التوسع الكمي والنوعي في جوانبه المختلفة وإتاحته بالتساوي لجميع أبناء المجتمع الإنساني.

النتائج

1. للتعليم دور كبير في تطور المجتمعات وزيادة الوعي الديمقراطي فيها، وتلبية احتياجاتها من العناصر البشرية المدربة وإعدادها لمسؤولياتها وأدوارها الاجتماعية.
2. علاقة الديمقراطية بالتعليم علاقة دائرية متبادلة حيث لا يزدهر التعليم وتزداد فرصه إلا في ظل نظام ديمقراطي، كما لا تنجح الديمقراطية إلا في المجتمعات المتعلمة.
3. سعة مصطلح ديمقراطية التعليم واستيعابه لمعاني مصطلحات تربوية أخرى تهتم بتطبيق المبدأ الديمقراطي في مجال التعليم مثل العدالة في التعليم، تكافؤ فرص التعليم، التعليم للجميع وغيرها.
4. تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمع يقود الى تحقيق فرص الحياة، وجميع متطلبات العدالة الاجتماعية لهم.
5. مفهوم تكافؤ فرص التعليم يركز على نشر التعليم وتوفيره بالتساوي لكل فرد وفقاً لقدراته وإمكاناته واستعداداته بدون حدود.
6. وجود معوقات وصعوبات اقتصادية واجتماعية وعنصرية تحول دون تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمع الإنساني.
7. التزام بعض جهات الاختصاص بتعميم التعليم في المراحل الأولية وجعله إلزامياً ونشره بكافة الوسائل وذلك في سبيل سعيها الرامي لتحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبنائها.

التوصيات

1. العمل الجاد على تطبيق قيم ومبادئ الديمقراطية لدورها الفعال في النهوض بالتعليم وزيادة فرصه وتوفيره بالتساوي لكافة أبناء المجتمعات
2. توفير الإمكانات والمساعدات للتعليم، ليتوسع كماً ونوعاً لما لـــه مـــن دور إيجابي في نجاح الديمقراطية والتي بدورها تقود إلى تحقيق مبـــدأ تكـــافؤ فرص التعليم.
3. العمل الجاد على تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم لتحقيق فـــرص الحيـــاة الهانئة ومتطلبات العدالة الاجتماعية لكافة أبناء المجتمعات الإنسانية.
4. العمل على إزالة كافة المعوقات والتحديات المختلفة التي تحول دون تحقيق مبدأ تكافؤ فرص التعليم بين أبناء المجتمع الإنساني.
5. على المجتمعات العمل الجاد على نشر التعليم الأساســـي وجعلـــه إلزاميـــاً لجميع الأطفال ونشره بمختلف الطرق من أجل تحقيق مبدأ تكافؤ فـــرص التعليم.

المراجع

أحمد، نازلي صالح (1979) الديمقراطية والتربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.

البسام، عبد العزيز؛ والعاني، نزار (1982) نحو تنفيذ استراتجية تطور التربية العربية، المجلة العربية للتربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

بوبطانة، عبد الله؛ ومعوض، هدى (1983) الاتجاهات السائدة في العالم حول سياسية الالتحاق بالتعليم العالي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

الحامد، محمدين معجب (2003) المنظور الاجتماعي لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية

الدجيلى، حسن (1992) الدولة والتعليم، العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الطبعة الثانية، بغداد، العراق.

سرحان، منير موسى (1981) في اجتماعيات التربية، ط2، دار النهضة المصرية، القاهرة.

الشيبانى، عمر محمد التومي (1986) ديمقراطية التعليم في الوطن العربي، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا.

صيداوى، أحمد (1981) تطور مفهوم التكافؤ في الفرص التعليمية، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان.

عصفور، محمد (1997) في الديمقراطية وحقوق الإنسان، ط1، عمان، الأردن.

الفقى، حسن سلامة (1983) تكافؤ الفرص التعليم ومجتمع الجدارة، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد11، العدد4، جامعة الكويت.

المقدم، مهى سهيل (1978) مقومات التنمية الاجتماعية وتحدياتها، تطبيقات على الريف اللبناني، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان.

الناصر، خالد (1983) أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، ط2، بيروت، لنبان.

نحله، وهبه (1981) تكافؤ الفرص التعليمية: معناه ومعايير اكتشافه، مجلة الفكر، المجلد 24، العدد33.

هلال، على الدين (1987) الديمقراطية وهموم الإنسان العربي المعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.

هندام، يحيى حامد؛ وجابر، جابر عبد الحميد (1978) المناهج، أسسها، تخطيطها، تقويمها، ط7، دار النهضة، القاهرة.

رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور الإسلامي

أنور أحمد عيسي راشد، كلية التربية، جامعة البطانة

وإسماعيل عثمان حسن أحمد، كلية التربية جامعة البطانة

مستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور الإسلامي من أجل إظهار ريادة التربية الإسلامية وسبقها لأنواع التربيات الأخرى، وذلك بغرض إنزال نظرة الإسلام لهذه الفئة وتوجيهاته إلى أرض الواقع بغية المساهمة في الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة ومحاولة تحسين واقعهم. استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها أنه توجد رعاية من الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة تمثلت أبرز مظاهرها في رعاية ذوي الإعاقات الحركية والبصرية والسمعية والعقلية، كما أن نظرة الإسلام للإعاقة تدعم الخلفية النفسية الصحية لهؤلاء الأشخاص وتساعد المجتمع في تقبلهم والتعامل معهم. أوصت الدراسة بضرورة الرعاية النفسية والروحية لذوي الاحتياجات الخاصة بكافة أشكالها، وإبراز رعاية الإسلام لهم في المناهج الدراسية.

Abstract

The study aimed to investigate care for people with special needs from the Islamic perspective in order to show the leadership of the Islamic Education and preceded to other types of Educations, in order to apply the view of Islam to this category and guidance to the ground with a view to contribute to the interest in people with special needs and try to improve their reality. The study used historical and descriptive approach. The study found the results of which there are auspices of Islam for people with special needs represented the most prominent manifestations in the care of people with physical disabilities in visual, auditory and mental, and the view of Islam disability supports the psychological background of health to these people and help society to accept them and deal with them. The study recommended the need for psychological and spiritual care for people with special needs in all its forms, and to highlight the auspices of Islam to them in the curriculum.

مقدمة

لقد عني الإسلام بالإنسان في كل أحواله وفي جميع مراحل عمره وفي صحته وفي مرضه وكرّمه علي كافة خلقه وجعله سيد المخلوقات، وقد كان المجتمع الجاهلي يقاطع ذوي الاحتياجات الخاصة ويعزلهم ويمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعية، كحقهم في الزواج والاختلاط بالناس، فقد كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبي صلي الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعرج ولا أعمي ولا مريض، وكان الناس ينظرون إليهم نظرة التقزز والنفور، فجاء الشرع الإسلامي السمح ليحرم السخرية من الناس عامة ومن أصحاب ذوي الإعاقات بشكل خاص وأنزل قرآناً وآيات تتلي حتى الوقت الحاضر تؤكد تحريم ذلك، فأنزل قوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ" (النور:61)، وهكذا نزل القرآن على ذوي الاحتياجات الخاصة ليواسيهم ويساندهم نفسياً ويخفف عنهم وينقذهم من أخطر الأمراض النفسية التي تصيب المعاقين جراء عزلتهم أو فصلهم عن الحياة الاجتماعية (المصطفي، 2014).

ولعل هذا يشير إلى اهتمام الإسلام بهذه الفئة والتي تعد من الفئات الفعالة في المجتمع، والنظر إليها بأنها والأفراد العاديين على سواء بغض النظر عن نوع الإعاقة أو شكلها.

مشكلة الدراسة

لاحظ الباحثان أنه وفي الآونة الأخيرة ظهر اهتمام كبير بالأفراد المعاقين في الغرب والعناية بشؤونهم ووضع القوانين والتشريعات الخاصة بذلك والحقوق المدنية والأكاديمية وغيرها من الخدمات كما في الغرب، مما أدى إلى تغيير أسمائهم إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، بل المنع من إطلاق أسماء تحط من قدرهم

مثل: المعاقين، العرج، الصم، البكم وغيرها، الأمر الذي دفع بالباحثين للتساؤل هل هنالك رعاية لذوي الاحتياجات الخاصة في الإسلام؟

وبالتالي يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: هل هنالك رعاية لذوي الاحتياجات الخاصة في الإسلام؟ وتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

1. هل رعى الإسلام ذوي الإعاقة الحركية؟
2. هل رعى الإسلام ذوي الإعاقة السمعية؟
3. هل رعى الإسلام ذوي الإعاقة البصرية؟
4. هل رعى الإسلام ذوي الإعاقة العقلية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. التعرف على الرعاية الإسلامية لذوي الإعاقة الحركية.
2. التعرف على الرعاية الإسلامية لذوي الإعاقة السمعية.
3. التعرف على الرعاية الإسلامية لذوي الإعاقة البصرية.
4. التعرف على الرعاية الإسلامية لذوي الإعاقة العقلية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية المتغيرات التي يتناولها، ولبيان الدور الإسلامي في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بكافة فئاتهم، ويتوقع الباحثان أن تكون هذه الدراسة إضافة للمكتبة السودانية في مجال التأصيل، خاصة وأنه ظهرت في الآونة الأخيرة كثير من التجارب لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد سُنت القوانين والتشريعات التي تنادي بضرورة الاهتمام بهذه الفئة سواء في السودان أو الدول العربية والغربية، مثل: دمجهم مع الطلاب العاديين في المدارس، وإيجاد فرص عمل لهم بنسب محددة، وإعفائهم من رسوم المواصلات. إلا أن كل هذه التشريعات

لم تزل نظرة الشفقة والازدراء إليهم بوصفهم بالطرش والمتخلفين..، الأمر الذي يؤكد وبجلاء خلو هذه الإجراءات من الجانب الروحي الذي يجعل التعامل معهم أصيلاً من العقيدة والإيمان. لذا تأتي أهمية هذا الدراسة من أهمية إبراز هذا الجانب وبيان مدى الرعاية الإسلامية لهذه الفئة أو الشريحة في المجتمع.

حدود الدراسة

تتحدد هذه الدراسة بالآتي:

المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع مع التركيز على القرآن الكريم وكتب السنة النبوية، ويتحدد زمانياً بالعام(2014- 2015)، ومكانياً بالسودان، ويتحدد موضوعياً الإعاقات الحركية والبصرية والسمعية والعقلية.

مصطلحات الدراسة

1. رعاية الإسلام: يعني بها الباحثان الطرق والوسائل التي تناولها الإسلام لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بكافة فئاتهم من القرآن الكريم والسنة النبوية والأقوال المأثورة.
2. ذوي الاحتياجات الخاصة: يعرفهم الباحثان بأنهم هم أولئك الأفراد الذين يختلفون عن الأفراد العاديين في بعض السمات الشخصية سواء كانت جسمية أو حسية سواء كانت هذه الاختلافات فطرية أم مكتسبة وبالتالي يحتاجون إلى رعاية خاصة تختلف عن تلك التي تقدم للأفراد العاديين.

الإطار النظري

وُجدت قضية الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة بوجود الإنسان، فهي قضية قديمة واجهها الإنسان وما زال يواجهها. إذ تعد من التحديات المهمة التي تواجه المجتمعات المعاصرة إذ لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود نسبة لا يُستهان بها من ذوي الاحتياجات الخاصة، سواء طرأت عليهم الإعاقة، أو الذين لديهم

إعاقات منذ ولادتهم، فهؤلاء الأفراد هم جزء من المجتمع يعاني عجزاً سمعياً أو بصرياً أو عقلياً..، وهذه الفئة وجدت نفسها بعيدة عن التفاعل مع المجتمع بسبب الحواجز الاجتماعية سواء أكانت من المجتمع المحيط أو من الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة ذاتهم. وبقيت هذه الحالة تتأرجح من مجتمع لآخر حتى جاءت الديانات السماوية فوضعت حداً لهذه الممارسات وبدأت تأمر بني البشر- متبعي تلك الديانات- بمعاملة ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل أفضل وبشيء من الرحمة والرعاية والمساواة بينهم وبين أقرانهم في الحقوق والواجبات، وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نشأت بعض المؤسسات لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة (الشخص، 1987). وفي نهاية كل من الحرب العالمية الأولي والثانية وما نجم عنها من إصابات وإعاقات، ارتفعت نسبة الإعاقة عالمياً أضعافاً مضاعفة، لا سيما الإعاقة الجسمية، فكان لا بد من تعزيز الخدمات التربوية والتأهيلية لهذه الفئات. وما كان يقدم لهم في عصر الظلمات هو تركهم ليموتوا وحدهم أو القيام بقتلهم في سبيل التخلص منهم، وهذا عدا تبني اتجاهات لا تمت للواقع الإنساني بصلة (الخطيب، 1997).

إن نمو وتطور ميدان التربية الخاصة في القرن العشرين في أوروبا كان تتابعاً وتطوراً في التيارات التربوية والطبية والسياسية والنفسية وكذلك التقدم في ميدان علم النفس والاجتماع والطب والقانون. كل ذلك كان له الأثر في التقدم بموضوع التربية الخاصة (الدوسان، 2001).

تعريف ذوي الاحتياجات الخاصة

يوجد في كل مجتمع من المجتمعات فئة خاصة تتطلب تكيفاً خاصاً مع البيئة التي يعيشون فيها، نتيجة لوضعهم الصحي الذي يوجد به خلل ما. وهذا التكيف لا يأتي من قبلهم بل يقع تحت عاتقه على من يحيطون بهم بتوجيه الاهتمام لهم مثل أي

شخص طبيعي يمارس حياته (طرابية، 2011). وقد أُطلق علي ذوي الاحتياجات الخاصة فيما مضي المقعدون، ثم أطلق عليهم ذوو العاهات، وبعدها تطور هذا التعبير إلي اصطلاح المعوقين، ثم العاجزين، أي كل من به صفة تجعله عاجزاً في أي جانب من جوانب الحياة (القمش والسعايدة، 2008).

عرّف مصطفى ومعاوية (1982) ذا الاحتياجات الخاصة بأنه الشخص الذي ليست لديه مقدرة على ممارسة نشاط أو عدة أنشطة أساسية للحياة العادية نتيجة إصابة وظائفه الجسمية أو العقلية أو الحركية إصابة ولادية أو لحقت به بعد الولادة.

وعرّف القريطي (1996) ذوي الاحتياجات الخاصة بأنهم الأفراد الذين ينحرفون عن المستوي العادي أو المتوسط في خصيصة ما من الخصائص، أو أكثر من جوانب الشخصية، إلى الدرجة التي تحتم احتياجهم إلى خدمات خاصة، تختلف عما يقدم للأفراد العاديين، وذلك لمساعدتهم على تحقيق أقصى ما يمكنهم بلوغه من النمو والتوافق.

وأشار القمش والسعايدة (2008) إلى أنهم تلك الفئة التي تنحرف انحرافاً ملحوظاً عن المتوسط العام للأفراد العاديين في نموهم العقلي والحسي والانفعالي والحركي واللغوي، مما يستدعي اهتماماً خاصاً من المربين بهذه الفئة من حيث طرائق تشخيصهم ووضع البرامج التربوية واختيار طرائق التدريس الملائمة لهم.

ولما سبق من تعريفات يرى الباحثان أنه يمكن أن تتفق كل هذه التعريفات في أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم أولئك الأفراد الذين يختلفون عن الأفراد العاديين في بعض السمات الشخصية سواء كانت جسمية أو حسية سواء كانت هذه الاختلافات فطرية أم مكتسبة، وبالتالي يحتاجون إلى رعاية خاصة تختلف عن تلك التي تقدم للأفراد العاديين.

أنواع الإعاقات لذوي الاحتياجات الخاصة

مما لا شك فيه أن الإعاقات التي تصيب ذوي الاحتياجات الخاصة تتباين وتختلف، ويمكن تقسيمها إلى الآتي:

1. التخلف العقلي

أوردت شاش (2002) أن الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي عرفته بأنه نقص جوهري في الأداء الوظيفي الراهن، يتسم بأداء ذهني وظيفي دون المتوسط يكون متلازماً مع جوانب قصور في اثنين أو أكثر من مجالات المهارات التكيفية التالية: التواصل، والرعاية الشخصية، والحياة المنزلية، والمهارات الاجتماعية، والاستفادة من المجتمع، والتوجيه الذاتي، والصحة، والسلامة، والجوانب الأكاديمية الوظيفية ووقت الفراغ. ويظهر التخلف العقلي قبل سن الثامنة عشرة.

تضيف شاش (2002) أيضاً تعريف منظمة الصحة العالمية للتخلف العقلي بأنه حالة توقف النمو العقلي أو عدم اكتماله، وتتميز بشكل خاص باختلال في المهارات التي تظهر أثناء دورة النمو، وتؤثر في المستوي العام للذكاء، أي القدرات المعرفية واللغوية والحركية والاجتماعية، وقد يحدث مع أو بدون اضطراب نفسي أو جسمي آخر.

2. الإعاقة الحركية

عرّف شواهين وآخرون (2010) الإعاقة الحركية بأنها الإعاقة التي تصيب الجهاز العصبي المركزي أو الهيكل العظمي أو العضلات أو أي إصابات صحية تحرم ذويها من القدرة على القيام بوظائفهم الجسمية والحركية.

يضيف سيسالم (2010) تعريفا آخر للإعاقة الحركية بأنها عجز أو قصور يؤثر على قدرة الفرد على الحركة والتنقل ويؤثر على قدرته على تناسق حركات الجسم،

أو التخاطب والتواصل مع الآخرين سواء باللغة المنطوقة أو المكتوبة، أو عدم القدرة على التعلم أو التوافق الشخصي.

3. الإعاقة السمعية

يعرف بحراوي والتل (2012) المعاق سمعياً بأنه هو الشخص الذي يعاني من عجز سمعي إلي درجة تحول دون اعتماده علي حاسة السمع في فهم الكلام، سواء باستخدام السمّاعات أو بدونها حيث تصل درجة الفقد السمعي (70 ديسبل فأكثر). وتقسم عيد (2000) الإعاقة السمعية إلي:

أ. تقسيم كمي: وهو يشير إلي العجز السمعي على أنه درجة فقدان السمع التي يمكن قياسها بطريقة الأديوميتر والتي يعبر عنها (بالديسبل) ويشار في فقدان السمع إلى الخلل أو القصور في إحدي الأذنين.

ب. تقسيم وظيفي: يعتمد على مدى تأثير الفقدان السمعي على إدراك وفهم اللغة المنطوقة.

4. الإعاقة البصرية

عرّف فهمي (2000) الإعاقة البصرية بأنها التي لا يستطيع صاحبها أن يجد طريقه دون دليل في بيئة غير معروفة لديه، أو كانت قدرته على الإبصار غير كافية، بحيث يعجز صاحبها عن ممارسة عمله العادي.

وصنفتها أبو زيد (2001) إلى:

أ. مجموعة الإعاقة البصرية الكلية: حيث تكون حدة الإبصار (عشر/200) في العين الأقوي.

ب. مجموعة الإعاقة البصرية الجزئية: وتكون حدة الإبصار (عشرين/200) ولكنه في(عشرون، سبعون) بعد التصحيح، وهم ممن ولدوا أو أصيبوا قبل سن الخامسة لا في مرحلة متأخرة.

مما سبق من هذه التقسيمات يرى الباحثان أنها تشير إلى عجز في جانب من جوانب شخصية الإنسان سواء كانت حسية أو جسمية أو عقلية تحول دون ممارسة الفرد لنشاطه العادي إلا باستخدام أدوات مساعدة، الأمر الذي قد يترتب عليه اضطراب أو سوء توافق نفسي أو اجتماعي أو مهني في المحيط الذي يعيش فيه.

رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور الإسلامي

اهتم الإسلام من خلال مصدريه الرئيسيين –القرآن والسنة– بالإنسان، فقد ذكرت كلمة "إنسان" في القرآن حوالي ستين مرة، وتناولت مصادر الإسلام الإنسان في كل أحواله ودلت على تكريمه واحترامه ورعايته تحت كل الظروف حيثما كان وكيفما كان، يقول الله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" (الإسراء: 70)، ويرى الباحثان أن تكريم الإنسان –وإن كان محضة منة من الله– يشتمل على ملاحظة ضعفه وما يعتريه من قصور وما يحتاجه من رعاية، ومن هذا المنطلق فإن ذوي الاحتياجات أكثر ضعفاً وأكثر حاجة لهذه الرعاية وذاك التكريم، و"لقد ضرب الإسلام أروع صور الإنسانية في معاملة ذوي الحاجات الخاصة وكان القدوة بين الديانات الأخرى في حسن معاملتهم والاعتناء بهم وتقديم الرعاية لهم فقد دعا الإسلام إلى الرفق بالمرضى وعدم إرهاقهم" (الخضر، 2003). ولقد جاء الإسلام رحمة للبشر وقدم أنموذجاً شاملاً ومتكاملاً في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، قال تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ" (النور: 61)، وقال تعالى معاتباً نبيه صلى الله عليه وسلم: "عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى"(عبس: 1-4)، وروي أنه بعد نزول هذه الآية كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما رأى عبد الله بن أم مكتوم هش له ورحب به وقال: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي" (القرطبي، 1353). وهكذا تبدو عناية

الإسلام بذوي الإعاقة سواء أكانت إعاقة حركية أو سمعية أو بصرية أو عقلية أو خلافه، لتدعيم التوافق النفسي والاجتماعي لشخصياتهم حتى تنمو بطريقة تتوافق وتتلاءم مع البيئة. وفيما يلي يقوم الباحثان بإيراد أبرز مظاهر هذه الرعاية، وذلك كالآتي:

رعاية ذوي الإعاقة الحركية

الرعاية لها صور عديدة منها الاهتمام، وحسن الحديث، والملاطفة، وتلبية الرغبات، والذكر بالخير، والتخفيف أو رفع الحرج .. إلى غير ذلك من أنواع وأشكال الرعاية بالإنسان. وتتجلي أظهر مظاهر رعاية الإسلام لذوي الإعاقة الحركية خاصة في قول الله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى **الْأَعْرَجِ** حَرَجٌ" (النور: 61)، جاء في التفسير أن" الحرج المنفي عن أهل العذر هو في القعود عن الجهاد وغيره مما رخص لهم فيه" (أبو حيان، 1993)، وورد أيضاً "أن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، **وعن الأعرج** فيما يشترط في التكليف به القدرة الكاملة على المشي على وجه يتعذر الإتيان به مع العرج" (الشوكاني، 1414)، وهكذا فقد رفع الله الحرج- أي الإثم- عن الأعرج مراعاة لحالته فلا يطالب بالتكليف الشرعي الذي يحتاج فيه إلى المشي أو الوقوف الطويل أو كل ما يتعارض مع حالته أو حتى ربما يرهقه، كما أنه لا يطالب بالجهاد. ثم أن في تفسير هذه الآية وجه ثان من أوجه المراعاة، حيث إن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بمؤاكلة ذوي الإعاقات- ومنهم ذوي الإعاقة الحركية- وألا يستقذرونهم ولا يتقززون منهم، فقد ذكر ابن الجوزي في تفسير الآية السابقة "يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرج أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على» بمعنى «في»" (ابن الجوزي، 1422)، والذي يراه الباحثان أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- وإن كانوا بشراً- لا يتوقع منهم

الاشمئزاز ممن هم دونهم على الجملة، وإنما كان مبعث حرجهم في عدم مؤاكلة هؤلاء هو الإشفاق عليهم وخوف أن يظلموهم حال المؤاكلة مراعاة للحالة النفسية لهم، وإلى هذا المعنى أشار ابن كثير في تفسيره فقال "المراد أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعرج؛ لأنه لا يتمكن من الجلوس، في فتات عليه جليسُه، فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم، فأنزل الله هذه الآية رخصة في ذلك" (ابن كثير، 1999). فهذا التفسير أقرب إلى أخلاق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى ما فيه من اهتمام الصحابة الكرام لأمر حال إخوانهم من أهل الابتلاء. ووجه للمراعاة آخر في أن الله تعالى رخص لذوي الإعاقة في الأكل من بيوت الأقارب والأصدقاء وإن لم يكن أهلها موجودين فيها، فقد روي أنه "كان الرجل يذهب بالأعمى أو الأعرج أو المريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه، أو بيت أخته، أو بيت عمته، أو بيت خالته. فكان الزَّمنى–أصحاب الآفات– يتحرجون من ذلك، يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصةً لهم. وكان الرجل يدخل بيت أبيه، أو أخيه أو ابنه، فتُتْحفه المرأة بالشيء من الطعام، فلا يأكل من أجل أن رَبَّ البيت ليس ثَمّ. فقال الله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ) إلى قوله:(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا)"(سورة النور: 61) (ابن كثير، 1999). ومن الرعاية كذلك أن يسمح لذوي الاحتياجات الخاصة بالإسهام –إن أرادوا– بقدر ما يستطيعونه فيما منعهم من أدائه العذر، يقول أبو حيان "ونفي الحرج لا يتضمن المنع من الخروج إلى الغزو، فلو خرج أحد هؤلاء ليعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كلاًّ عليهم، كان له في ذلك ثواب جزيل. فقد كان عمرو بنِ الجموح أعرج وهو من أتقياء الأنصار، وهو في أول الجيش، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن

الله قد عذرك" فقال: والله لأحفرن بعرجتي هذه في الجنة" (أبو حيان، 1993). وفي رواية أخرى كان–الصحابي– عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا غزا . فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك! وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو بن الجموح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله. إن بنيّ هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك. والله إني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –(أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد). وقال لبنيه: (وما عليكم أن تدعوه؟ لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة؟). فخرج مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقتل يوم أحد شهيداً".(البيهقي، 1992)، وقد روي عنه–أي عمرو بن الجموح– قول النبي صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، وإن عمرو بن الجموح منهم، ولقد رأيته يطأ الجنة بعرجته" (ابن سيد الناس، 1996) فهذه الشواهد تدل على احترام وإكرام ذوي الإعاقة الحركية من خلال رفق أبناء عمرو بن الجموح به، ثم تطييب الرسول صلى الله عليه لخاطره، وإجابة طلبه، والثناء عليه ببيان مكانته عند ربه، ثم تبشيره بالجنة، ولعل في هذا تفجير لطاقاته الروحية وحتى يشعر ذوو الإعاقة الحركية بمساواتهم بغيرهم وبالتالي تنتفي عنهم عقدة النقص. وروي أن الصحابي عبد الله بن مسعود كان في بعض الأسفار فصعد شجرة وكان نحيلاً، فنظر الصحابة إلى ساقيه وكانتا دقيقتين؛ فضحكوا، فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تضحكون من دقّة ساقيه؟!، لهما في الميزان أثقل من جبل أحد" (الفوزان، 2002: 14)، وفي هذا إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن مقاييس الآخرة لا علاقة لها بشكل أعضاء الإنسان في

الدنيا، ويمكن للإنسان أن يبدع في مجال آخر غير مجال الإعاقة كتعويض لهذه الإعاقة وهو أحد أبرز وأعظم ماكنيزمات الدفاع كما يشير علماء النفس.

رعاية ذوي الإعاقة البصرية

اهتم الإسلام بذوي الإعاقة البصرية اهتماماً خاصاً، وكان عتاب الله عزَّ وجلَّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في شأن ابن أم مكتوم عنواناً لهذا الاهتمام، بل إن هذا التوجيه اشتمل على لفت أنظار كل الناس–مسلمين وغيرهم– إلى رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة على نحو عام، قال تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى"(عبس: 1-4)، جاء في سبب نزول هذه الآيات "أن ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة، واسمه عمرو بن قيس وكان أعمى وعمى بعد نور (إعاقة مكتسبة) وقيل ولد أعمى ولذا قيل لأمه أم مكتوم، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه، فنزلت، فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يكرمه ويقول إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول: هل لك من حاجة. واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة فكان يصلى بالناس ثلاث عشرة مرة" (الألوسي، 1415)، يظهر من خلال هذه القصة–وفيها روايات عديدة– مدى رعاية الإسلام لهذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة، فلأجل أحدهم:

1– عاتب المولى عزَّ وجلَّ حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم.

2– أنزل الله وحياً يتلى إلى يوم القيامة.

3- أرشد الله إلى ضرورة إكرامهم حتى على مستوى الابتسامة في وجوههم وإن كانوا لا يرونها.

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم –على إثر هذه الحادثة- أكثر من إكرام هذا الصحابي فبدل عبوسه في وجهه مرة إلى ابتسامات متكررة، ومداعبات متنوعة، ثم إنه استخلفه على المدينة وجعله- على حالته- إماماً على الناس، وهذا كله إمعاناً في جبر خاطره، وإشعاراً للناس بمكانته ومن كان على شاكلته، ويرى الباحثان أن هذه الآيات رفعت من شأن أصحاب الإعاقة البصرية على نحو جعلهم يتميزون عن غيرهم من أصحاب الإعاقات الأخرى، ويعمق هذا المنحى ملاحظة أسبقية ذكرهم قبل العرج والمرضى في عدد من آيات القرآن، مثل قوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ" (النور: 61) وقوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ" (الفتح: 17). كما أن القرآن الكريم صور فقد البصر كابتلاء عظيم، فبين أن الفرق شاسع بين الأعمى والبصير، قال تعالى بصيغة الاستفهام الإنكاري: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" (الأنعام: 50)، ونظيره قوله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ" (الرعد: 16)، ثم قرر القرآن هذا المعنى بأسلوب قاطع حيث قال تعالى: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ" (فاطر: 19)، ونظيره قوله تعالى: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ" (غافر: 58). جاء في تفسير الآية الأخيرة "أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار" (ابن كثير، 1999)، ويبدو جلياً للأفهام أن في بيان عظم الابتلاء لأصحاب الإعاقة البصرية تسلية لهم وبشارة حيث ينطوي المعنى على الوعد بعظيم الجزاء والكرامة لهم في الآخرة، وهذا عين

ما أكده الرسول صلي الله عليه وسلم حيث قال: "إن الله عزَّ وجلَّ : أوحى إليّ أنه من سلك مسلكاً في طلب العلم: سهلت له طريق الجنة، ومن سلبت كريمتيه: أثبته عليهما الجنة" (البيهقي، 1992). أما عن رعاية الإسلام لذوي الإعاقة البصرية من ناحية التكاليف الشرعية ف" إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر"(الشوكاني، 1414)، كما أنه– من الناحية الاجتماعية– سمح لهم بمؤاكلة إخوانهم من المسلمين والأكل في بيوتهم حال غيابهم. وفي جانب آخر فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من تضليل الكفيف عن طريقه، فقال: "مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنْ طَرِيقٍ" (ابن حنبل، 1972). وذلك حتى لا يستغل بعض ضعفاء النفوس حال الأعمى فيزدرونه أو ينتقصون حقه، ومن هذا أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ترك السلام على الضرير خيانة" (المناوي، 1356).

رعاية ذوي الإعاقة السمعية

أشارت تعاليم الإسلام إلى أهمية الاعتناء والانتباه في معاملة أصحاب الإعاقة السمعية، وهم بالإجمال يدخلون في حكم المرضى الذين قال الله تعالى فيهم: "وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ" (النور: 61)، فقد تجاوز لهم الشرع ما يعد عند غيرهم تقصيراً لعذرهم، ذكر القرطبي (1353) "إن الله رفع الحرج عن المريض فيما يؤثر المرض في إسقاطه، كالصوم وشروط الصلاة وأركانها، والجهاد ونحو ذلك"، وهاهو أحد أصحاب النبي وهو ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه، كان يعاني من وقر – صمم– في أذنيه، فخشي من رفع صوته في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطمأنه النبي صلى الله عليه وسلم وأزال عنه روعه، فقد روي عن ثابت بن قيس أنه "لما نزلت هذه الآية "لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ" (الحجرات: 2)، قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمرّ به عاصم بن عديّ من بني العَجلان، فقال: ما يُبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية،

أتخوّف أن تكون نزلت فيّ، وأنا صيت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عديّ إلى رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأتى ثابت امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبيّ ابن سلول، فقال لها: إذا دخلتُ بيت فرسي، فشدّي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار، وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم; وأتى عاصم رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فأخبره خبره، فقال: اذْهَبْ فادْعُهُ لي، فجاء عاصم إلى المكان، فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يدعوك، فقال: اكسر الضَّبة، قال: فخرجا فأتيا نبيّ الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال له رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ما يُبكِيكَ يا ثابتُ ؟ فقال: أنا صيت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ (لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) فقال له رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "أما تَرْضَى أنْ تَعيش حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ؟" فقال: رضيت ببُشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبداً على رسول الله، فأنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) (الحجرات: 3)" (الطبري، 2000)، ففي هذه القصة–على تعدد رواياتها– يظهر الإشكال الذي وقع فيه هذا الصحابي بسبب ضعف سمعه وهو إعلاؤه لصوته في حضرة رسول الله صلي الله عليه وسلم، ولا شك أن هذا حدث دون قصده لأن الذي يتحدث يسمع نفسه قبل غيره وهذا أمر طبيعي ومشاهد عند ضعاف السمع، ويظهر في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم رفقه ولطفه بهذا الصحابي، بل تبشيره له بالجنة. وقد روى مسلم عن أنس لما نزلت هذه الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى؟ قال سعد: إنه جاري وما علمت له بشكوى فأتاه سعد فقال: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم إني أرفعكم صوتاً على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل هو من أهل الجنة"، وفي رواية أنه لما نزلت دخل بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأن ثابت؟ قالوا: يا رسول الله ما ندري ما شأنه غير أنه أغلق باب بيته فهو يبكي فيه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فسأله ما شأنك؟ قال: يا رسول الله أنزل الله عليك هذه الآية وأنا شديد الصوت فأخاف أن أكون قد حبط عملي فقال صلى الله عليه وسلم:"لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير" (مسلم، 1992) ويعلق الألوسي (1415) على هذه القصة بقوله: "والظاهر أن ذلك منه رضي الله تعالى عنه كان من غلبة الخوف عليه وإلا فلا حرمة قبل النهي، وهو أيضاً أجلّ من أن يكون ممن كان يقصد الاستهانة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم برفع الصوت، وهم المنافقون الذين نزلت فيهم الآية على ما روي عن الحسن وإنما كان الرفع منه طبيعة لما أنه كان في أذنه صمم وعادة كثير ممن به ذلك رفع الصوت، والظاهر أنه بعد نزولها ترك هذه العادة، فقد أخرج الطبراني والحاكم وصححه أن عاصم بن عدي بن العجلان أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحاله فأرسله إليه فلما جاء قال: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ فقال له عليه الصلاة والسلام: أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟" قال: رضيت ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم". ويلاحظ أن الإعاقة السمعية هي من أكثر الإعاقات الحسية خطورة وذلك لأهمية حاسة السمع فهي التي يُبنى عليها تعليم الفرد وحاجاته وتوافقه، كما أنها قد تتسبب في إخراج الفرد من التعامل والتفاعل مع المجتمع، وقد قّدم القرآن "السمع" على "البصر" في سبعة عشر موضعاً إشعاراً بأهمية الاحتياج لهذه الحاسة.

رعاية ذوي الإعاقة العقلية

هذا النوع من الإعاقة ذو خصوصية فهو وإن كان مرضاً–كالأنواع السابقة– إلا أنه قد يُفقد الإنسان كامل أهليته، ويرفع عنه التكليف بالكلية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ" (أبو داوود، 1989)، وفي رواية أخرى يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الْمَعْتُوهِ أَوْ قَالَ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَشِبَّ" (ابن حنبل، 1972)، فمن هنا تبدو أهمية العناية بأصحاب الإعاقة العقلية متعاظمة، إذ أنهم قد يتسببون في إهلاك أنفسهم أو غيرهم، وهذه العناية تجب على كل أفراد المجتمع المسلم بدءاً بولاة الأمر في أعلى المستويات من قادة وساسة وحكام، وصولاً إلى الأقارب وانتهاءً بالأجانب، وذلك اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس "أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا" (مسلم، 1992)، وهذا من حلمه صلى الله عليه وسلم وتواضعه وصبره على قضاء حوائج ذوي الاحتياجات، وفي هذا دلالة شرعية على وجوب تكفل الحاكم برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، صحياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، والعمل على سد احتياجاتهم. وإلى إعذار مثل هؤلاء ذهب أصحاب النبي رضوان الله تعالى عليهم، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ "أُتِيَ عُمَرُ بِمَجْنُونَةٍ قَدْ زَنَتْ فَاسْتَشَارَ فِيهَا أُنَاسًا فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ مُرَّ بِهَا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا مَجْنُونَةُ بَنِي فُلَانٍ زَنَتْ فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ قَالَ فَقَالَ ارْجِعُوا بِهَا ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ رُفِعَ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ وَعَنْ

النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَعْقِلَ قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا بَالُ هَذِهِ تُرْجَمُ قَالَ لَا شَيْءَ قَالَ فَأَرْسِلْهَا قَالَ فَأَرْسَلَهَا قَالَ فَجَعَلَ يُكَبِّرُ" (أبو داوود، 1989).

ومما سبق يمكن تحديد المبادئ التي قامت عليها رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات فيما يأتي:

المبادئ التي قامت عليها رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة:

1-حفظ كرامة المعاق، وذلك على خلفية أنه إنسان من بني آدم المكرمين، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"(الإسراء: 70)، وأن الصورة التي عليها المعاق ما هي إلا ما أراده الله له، وذلك على سبيل الابتلاء، فلا يؤثر هذا في قيمته الإنسانية على اعتبار أن ميزان التفاضل الوحيد بين الناس هو التقوى، يقول تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات: 13).

2-إعطاء الحق الكامل للمعاق في المساواة والعدل، وذلك بالموازنة بين حقوقه وواجباته، وفقاً لشرع الله، فلا يُظلم ولا يُبخس حقه ولا يُنتقص منه على خلفية ضعفه، وقد تقدم حديث النبي صلي الله عليه وسلم: "ترك السلام على الضرير خيانة" (المناوي، 1356).

3-وجوب الرعاية والاهتمام بالمعاق على الأمة، وهذا الحكم الشرعي- فيما يبدو للباحثين- هو من فروض الكفاية، إذا قام به بعض الأمة سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد كان الجميع آثمين، إذاً فالعميان والصم والمشلولين والمجانين وسائر المعاقين واجب على مجموع الأمة سد احتياجاتهم، ولا شك أن واجب العناية يقع أولاً على الأقارب من الأصول والفروع وكل من أناط به الإسلام كفالة المعاق، فإن عجزوا أو قصروا انتقل الواجب إلى الحاكم ثم إلى سائر أفراد الأمة.

ويأتي اهتمام الأمة بهذه الشريحة من الناس وفقاً للاعتبارات الآتية:

اعتبارات اهتمام الإسلام بذوي الاحتياجات الخاصة

1-اعتبار البشرية، وقد سبقت الإشارة إليه في مبدأ "حفظ كرامة المعاق"، ومن خلال قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" (الإسراء: 70).

2-اعتبار الأخوة الإنسانية، يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" (النساء: 1)، وأصل الأخوة الإنسانية في الآية يرجع إلى أن الناس جميعهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، والى هذا المعنى أشار قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (النساء: 13)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس كلهم بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب" (البيهقي، 1988)، ولا شك أن هذه الأخوة تقتضي الترابط والمؤازرة والمعاونة.

3-اعتبار الأخوة الإيمانية، يقول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"" (الحجرات، الآية: 10)، ويؤكد الرسول صلي الله عليه وسلم هذه الأخوة ويرتب عليها محبة الخير للمؤمنين فيقول:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (البخاري، دون تاريخ)، ويبين صلى الله عليه وسلم موجباتها فيقول: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(مسلم، 1992)، وعليه فالمعاقون هم إخوة مؤمنون يمثلون عضواً من الجسد المسلم، وقد اشتكى هذا العضو فكان لا بد من تجاوب بقية الجسد معه.

4- اعتبار الإحسان والبر، يقول الله سبحانه وتعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى"(النحل: 90)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (مسلم، 1992)، فإن كان الإحسان والبر مطلوبين

من كل الناس مع كل الناس فإن حاجة المعاقين إليهما أكثر، وثواب الله عليهما معهم أجزل.

5- اعتبار الحاجة، وهذا المنحى يعمق معنى تسمية أصحاب الإعاقات بـــ"ذوي الاحتياجات الخاصة"، وقد رغب الإسلام في قضاء الحوائج، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ" (الطبراني، دون تاريخ: 413)، ويقول: "إِنَّ لِلَّهِ عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ""(الطبراني، دون تاريخ).

لا شك أن وجود هذه الاعتبارات دليل قطعي على أن هذه الفئة ذات حق ومكانة في المجتمع.

التوجيهات الإسلامية في معاملة ذوي الاحتياجات الخاصة

1- مواساتهم وتكريمهم: المواساة هي ضرب من التخفيف والتسلية للمحـــزون أو المكلوم أو المصاب بمصيبة، وقد شرعها الإسلام في عيادة المريض وتعزية مـــن فقد له عزيز، ولا شك أن ذوي الاحتياجات الخاصة كلهم قد أصيب وقد فقد عزيزاً من حواسه أو من قواه، فهم في حاجة إلى هذه المواساة. وقد واساهم نبي الرحمـــة صلى الله عليه وسلم في الحديث: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَـــهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ" (مسلم، 1992)، وفي قوله صلى الله عليه وسلم "من سلبت كريمتيه: أثبته عليهما الجنة" (البيهقي، 1992). وواسي صلى الله عليـــه سلم ابن أم مكتوم بمداعبته واستخلافه على المدينة أكثر من مرة، وبشّر عمرو بن الجموح بالجنة.

2- إعطاؤهم الأولوية في قضاء احتياجاتهم: وهذا يظهر في تقديمهم في كل مـــا يشاركهم فيه الأصحاء مراعاة لحالهم واعترافاً بفضلهم، ففي الغالب يكون غيـــرهم أقدر على الصبر والانتظار منهم، وإلى هذا المعنى أشار عتاب الله عزَّ وجلَّ للنبي

صلى الله عليه وسلم كونه أعطى أولوية الاهتمام لبعض رجالات قريش وتصدى لهم، وأعرض وتلهى عن ابن أم مكتوم، قال تعالى: "أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى* فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى* وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى* وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى* وَهُوَ يَخْشَى* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى* كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ" (عبس: 5-11)

3- العفو عن جهلائهم وسفهائهم: قد تصدر عن هذه الطائفة من الناس جهالات وحماقات قد تكون الإعاقة سبباً فيها- للتأثير النفسي- وقد لا تكون، وحيث أن المسلمين كلهم مأمورون بالعفو والصفح لقوله تعالى: "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (النور: 22)، فإن العفو في شأن ذوي الاحتياجات الخاصة يكون آكد. ورائد الناس في هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد روي أنه لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صوب أُحُد- المعركة- عزم على المرور بمزرعة لرجل منافق أعمى، فكان من المنافق أن قال "لَا أُحِلّ لَك يَا مُحَمّدُ إنْ كُنْتَ نَبِيّا، أَنْ تَمُرّ فِي حَائِطِي، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنّي لَا أُصِيبُ بِهَذَا التّرَابِ غَيْرَك لَرَمَيْتُك بِهِ، فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعُوهُ""(رضا، 1990) فلم يعاقب الرسول صلي الله عليه وسلم هذا المنافق الضرير، بل ولم يأذن في قتله ولا حتى أذيته، وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا العفو والصفح عنه، فليس من شيم المسلمين الاعتداء على أصحاب العاهات أو النيل من أصحاب الإعاقات، بل كانت سنته صلى الله عليه وسلم معهم الرفق بهم والاتعاظ بحالهم وسؤال الله أن يشفيهم ويعافيه مما ابتلاهم به.

4- زيارتهم: شرع الإسلام عيادة المرضى عامة، وذوي الإعاقات خاصة، وذلك لرفع روحهم المعنوية وإلهائهم عن المعاناة، ذلك أن صاحب الإعاقة أقرب ما يكون إلى الانطواء والعزلة والنظرة التشاؤمية-خصوصاً إذا ضعف إيمانه- وأقرب إلى

الأمراض النفسية إذا ما قورن بالصحيح، وذلك لملازمة النقص له. لذلك رغب الإسلام في زيارتهم علي النحو الذي يخفف عنهم ما يجدونه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويبعث في نفوسهم الثقة بالله، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه زار رجلاً من الأنصار كفيفاً – تلبية لطلبه– وصلى عنده ركعتين، روى البخاري "أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً من الأنصار، أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد أنكرتُ بصري وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سأفعل إن شاء الله"، قال عتبان فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال أين تحب أن أصلي من بيتك قال فأشرتُ له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبّر، فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم" (البخاري، دون تاريخ).

5– الدعاء لهم: يظهر اهتمام الشريعة الإسلامية بذوي الاحتياجات الخاصة في تشريع الدعاء لهم، وذلك تشجيعاً لهم على الصبر على البلاء، وإشعاراً لهم بإحساس إخوانهم بهم، وتثبيتاً لعقيدتهم في أن الله وحده هو كاشف البلاء عنهم، روى ابن ماجة "أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يُعَافِيَنِي فَقَالَ إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ لَكَ وَهُوَ خَيْرٌ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ فَقَالَ ادْعُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ" (ابن ماجة، دون تاريخ) وفي هذا الحديث مشروعية الدعاء

للغير، وتعليمهم الدعاء لأنفسهم، وقريباً منه حديث البخاري أن امرأة" أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أُصرع وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: "إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك". فقالت: أصبر، فقالت إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف. فدعا لها" (البخاري، دون تاريخ)، ويلاحظ الباحثان أن كثيراً من علماء الأمة الإسلامية وخطبائها يدعون في مجالسهم وفي منابرهم للمرضي عموماً ويخصون أصحاب الحاجات.

6- رفع العزلة والمقاطعة عنهم: وهاهنا يدعو الإسلام إلى اندماجهم وانصهارهم في المجتمع من خلال أمر غيرهم بمخالطتهم ومؤاكلتهم وتزويجهم وتكليفهم بما يطيقون، فلا يصح التقزز منهم أو عزلهم بحجة إصاباتهم أو أشكالهم أو خلافه، قال تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا" (النور: 61)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ"(مسلم، 1992)، وروي "قال عمر بن الخطاب: أيما امرأة تزوجت وبها جنون، أو جذام، أو برص، فدخل بها، ثم اطلع على ذلك، فلها مهرها" (المصنف، دون تاريخ). ففي حديث عمر بن الخطاب إشارة إلى صحة الزواج بأصحاب الأعذار لمن أطاق ذلك.

7-عدم السخرية منهم: كان المعاق في المجتمعات الجاهلية- ولم يـزل - مـادة للتندر والتسلية والفكاهة، فيجد نفسه بين الإقصاء والإبعاد من جانب وبين السخرية والشماتة من جانب آخر، فجاء الشرع الإسلامي ليحرم -هذه الخصلة الجاهليـة- السخرية من الناس عامة، ومن ذوي الاحتياجات الخاصة على وجه التحديد، قـال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِـنْهُمْ وَلَـا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الحجرات: 11)، قـال الطبري في تفسير هذه الآية "إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم مـن بعض **جميع معاني السخرية**، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقـره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك" (الطبري، 2000) وقال الألوسي (1415): "ويستثنى من النهي الأخير- أي لا تنابزوا بالألقاب- دعاء الرجل الرجل بلقب قبيح في نفسه لا على قصد الاستخفاف به والإيذاء له كما إذا دعت له الضرورة لتوقـف معرفتـه كقول المحدثين: سليمان الأعمش وواصل الأحدب، وما نقل عن ابن مسعود أنه قال لعلقمة: تقول أنت ذلك يا أعور، ظاهر في أن الاستثناء لا يتوقـف علـى دعـاء الضرورة، لأنه لا ضرورة في حال مخاطبته علقمة لقوله: يا أعور، ولعل الشهرة مع عدم التأذي وعدم قصد الاستخفاف كافية في الجواز"، والمتأمـل لهـذا القـول للألوسي يجد الدلالة ظاهرة على عدم جواز منابزة أو معايرة الإنسان بلقب يُشعره بعاهته أو إعاقته، إلا في حالتين فقط: **الأولي**: ضرورة توقف معرفتـه، **والثانيـة**: الشهرة مع عدم التأذي وعدم قصد الاستخفاف. وقد سبق الحديث عن نهي النبـي صلى الله عليه وسلم عن تضليل الأعمى استهزاء وسخرية، في قوله صلى الله عليه وسلم: "مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنْ طَرِيقٍ" (ابن حنبل، 1972) وقال صلي الله عليـه وسلم: "لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيُعَافِيَهِ اللَّهُ وَيَبْتَلِيَـكَ" (الطبرانـي، دون تـاريخ).

ويدخل في هذا ضرورة الابتعاد عن العبارات التي تشير إلى احتقارهم والتي انتشر بعضها في أوساط المجتمعات الإسلامية مثل: "كل ذي عاهة جبار"، "القصير المكير"، "أنت متخلف عقلياً"...إلى غير ذلك مما يدخل في معنى السخرية منهم.

8- التيسير عليهم ورفع الحرج عنهم: كل ما سبق -من توجيهات وأدلة- يندرج تحت هذا العنوان، ويكفي هنا الاستدلال بشاهد واحد هو نزول قول الله تعالى: "غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ" بعد نزول"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (النساء: 95)، في شأن التيسير والتخفيف عن ذوي الاحتياجات الخاصة، فعن زيد بن ثابت "قَالَ كُنْتُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ فَوَقَعَتْ فَخِذُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي فَمَا وَجَدْتُ ثِقْلَ شَيْءٍ أَثْقَلَ مِنْ فَخِذِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ اكْتُبْ فَكَتَبْتُ فِي كَتِفٍ "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِين وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَامَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى لَمَّا سَمِعَ فَضِيلَةَ الْمُجَاهِدِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ غَشِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّكِينَةُ فَوَقَعَتْ فَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي وَوَجَدْتُ مِنْ ثِقَلِهَا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ كَمَا وَجَدْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا زَيْدُ فَقَرَأْتُ "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ" الْآيَةَ كُلَّهَا قَالَ زَيْدٌ: فَأَنْزَلَهَا اللَّهُ وَحْدَهَا فَأَلْحَقْتُهَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُلْحَقِهَا عِنْدَ صَدْعٍ فِي كَتِفٍ" (أبو داوود، 1989).

9- نظرة الإسلام إلي الإعاقة: بمراجعة النصوص الإسلامية، يتضح أن إصابة الإنسان بأي مرض أو عاهة أو نقص في حواسه أو قواه، إنما هو ابتلاء من الله، يقول تعالى: "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" (التغابن: 11)، وذلك الابتلاء على سبيل الامتحان لهذا الإنسان في أن يصبر ويرضى بقضاء الله، يقول تعالى:

"وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" (الأنبياء: 35) ويترتب على هذا الابتلاء الجزاء العظيم من عند الله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" (مسلم، 1992)، ويقول: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ" (مسلم، 1992)، كما أن هذا الابتلاء لذوي الاحتياجات الخاصة هو دليل على محبة الله لهم، يقول النبي صلي الله عليه وسلم: "إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فمن حبه إياه يمسه البلاء حتى يدعوه فيسمع دعاءه" (البيهقي، 1988)، ويعضد هذا ابتلاء الله للأنبياء فهم صفوة الله الخلق، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل شدة المرض" (النسائي، 1992)، وفي حديث سعد ابن أبي وقاص قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أشد الناس بلاء؟ قال: "النبيون، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، إن كان صلب الدين اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشي على الأرض ليس عليه خطيئة" (النيسابوري، 1990)، فهذه النصوص تبين بوضوح أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم من خاصة الله وأحبائه، وهم على درب الأنبياء سائرون، وما ابتلاهم الله إلا لكرامتهم عنده ولما أعد لهم من الخير، وقد أراد الله أن يخلصهم من الآثام والخطايا على نحو لو علمه بعض الأصحاء لتمنوه، وإلا فالله تعالى وتنزه عن أن يظلمهم فتلازمهم علّاتهم، ويكونون دون سائر الخلق من غير مقابل، جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا"(مسلم، 1922)، ويقول تعالى: "وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" (آل عمران: 182).

10- توصيف الحالة النفسية لذوي الاحتياجات الخاصة: إن نفسية ذوي الاحتياجات الخاصة تختلف كثيراً عن غيرهم، ويرى الباحثان أن هذا مرده إلى الشعور الداخلي لهم بالنقص والعجز، فهذا الشعور يجعلهم- إلى حد ما – عاجزين من الاندماج في المجتمع، فيجنح بعضهم إلى التقوقع والانغلاق على نفسه فينعزل عن المجتمع، ويغلف حياته بالحزن والأسى، وكلما تفكر في إصابته كلما ازدادت حالته النفسية سوءاً وكلما اتسعت الهوة بينه ومجتمعه، والمخرج الذي يراه الباحثان هنا هو تعميق نظرة الإسلام للإعاقة في نفوس المصابين حتى يستشعروا لطف الله بهم ويتأملوا عظيم حكمته، ويستبشروا بما أعده الله لهم.

11- ما بين الإفراط والتفريط: في إطار ما سبق يؤيد الباحثان التعامل الموضوعي والواقعي مع ذوي الاحتياجات الخاصة من غير إفراط ولا تفريط، فالتفريط هو ما يتمثل في عدم رعايتهم أو ملاحظة حاجتهم، أما الإفراط الذي يحذر منه الباحثان فهو الاهتمام الزائد عن حده على النحو الذي يزيد من شعور المعاق بالعجز، وكأن الصحيح يذكره بمرضه في كل لحظة من خلال تعامله معه، ومن مظاهر ذلك الإفراط النظرة إليه بعين الإشفاق، فهذه النظرة قد يكون لها التأثير السلبي الكبير في نفسية المعاق، وقد تكون جارحة أكثر من أي شيء آخر، مع أن صاحبها ما قصد منها إلا الخير. ومن مظاهر الإفراط عدم السماح للمعاق بممارسة أبسط الأعمال والتي هي في حدود طاقته، فهذا الأمر يقلل من ثقته بنفسه ويزيد من إحساسه بالعجز والعيلة ويكون مردوده سلبياً، والأولى عكسه. ومن الإفراط أيضاً عدم الواقعية في التعامل مع الإعاقة ومحاولة إنكارها، ومن مظاهر ذلك حرّم وجّرم بعض الباحثين إطلاق لفظة "المعاق" أو"الإعاقة" أو "المصاب" أو "الإصابة" وأصروا على استبدال ذلك بـ"ذوي الاحتياجات الخاصة" إمعاناً في إنكار ما هو واقع ومشاهد، وكذلك حرموا وجرموا إطلاق لفظة "الصحيح" في مقابل المعاق.

والباحثان يريان أنه لا بأس من هذه الألفاظ طالما هي تدل دلالة حقيقية وواقعية على معناها ولم يُقصد به الازدراء أو التقليل من الشأن. فهذه النظرة الواقعية تقود إلى التعامل مع هذه الفئة من الناس بالرعاية التامة لهم وإخضاعهم للكشف الدوري وعدم الخجل من وجودهم، وإشعارهم بإنسانيتهم وقدرتهم علي الإنجاز.

الخاتمة

أولاً: النتائج

بناء على ما أثير من تساؤلات في الدراسة عن رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور الإسلامي، فقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. هناك رعاية من الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة في الإعاقة الحركية.
2. هناك رعاية من الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة في الإعاقة العقلية.
3. هناك رعاية من الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة في الإعاقة البصرية.
4. هناك رعاية من الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة في الإعاقة السمعية.

ثانياً: التوصيات

في ضوء النتائج التي توصلت لها الدراسة فإن الباحثين يوصيان بالآتي:

1. ضرورة الرعاية النفسية والروحية لذوي الاحتياجات الخاصة بكافة أشكالها.
2. إبراز رعاية الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة في المناهج الدراسية.

ثالثاً: المقترحات لبحوث مستقبلية

1. مدى مراعاة الإسلام للجوانب الجسدية والاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة.
2. دراسة مقارنة بين الإسلام والديانات الأخرى في مدى رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.
3. دراسة اتجاهات مسئولي التربية الخاصة عن الرعاية الإسلامية لذوي الاحتياجات الخاصة.

المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المراجع

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن حنبل، أحمد بن حنبل (1972) المسند، ط2، دار المعارف، مصر.

ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحي (1996) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (1999) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن ماجة، محمد بن يزيد (دون تاريخ) سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي (1993) تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، ط1، دار الكتب العلمية.

أبو داوود (1989) سنن أبي داوود، ط1، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني(1415) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق:علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

بحراوي، عاطف؛ والتل، سهير (2012) النمو اللغوي لدي المعاقين سمعيا، ط1، زمزم ناشرون وموزعون.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (دون تاريخ) صحيح البخاري، الطبعة السلطانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (1988) الجامع لشعب الايمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1 ،الدار السلفية، بومباي، الهند.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (1992) السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الخضر، حافظ عمر (2003) الإعاقة الجسدية وعلاقتها بدافع الانجاز الأكاديمي، رسالة ماجستير غير منشورة، السودان، جامعة النيلين، كلية التربية.

الخطيب، الحديدي (1997) مدخل التربية الخاصة، مكتبة الفلاح، عمان، الأردن.

الدوسان، فاروق (2001) سيكولوجية الأطفال غير العاديين مقدمة في التربية الخاصة، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن.

رضا، محمد رشيد بن علي (1990) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سيسالم، كمال سالم (2010) الدمج في مؤسسات التعليم للمعاقين جسمياً وصحياً، ط1، دار الزهراء، بيروت.

شاش، سهير محمد سلامة (2002) التربية الخاصة للمعاقين عقلياً بين العزل والدمج، مكتب زهراء الشرق، القاهرة.

الشخص، عبد العزيز (1987) دراسة متطلبات إدماج المعاقين في التعليم والمجتمع العربي، رسالة الخليج، العدد21.

شواهين، خير سليمان؛ وغريقات، سحر محمد؛ شنبور، وأمل عبد (2010) استراتيجيات مع ذوي الاحتياجات الخاصة، ط1، دار المسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (1414) فتح القدير، ط1 ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (دون تاريخ) المعجم الكبير، ط2 ، مكتب بن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (2000) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة.

طرابية، محمد عصام (2011) الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والعناية بهم، مؤسسة اليسلم للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

عيد، ماجدة (2000) السامعون بأعينهم، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان.

فهمي، محمد (2000) واقع رعاية المعوقين في الوطن العربي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله (2002) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط3، مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (1353) الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتب المصرية.

القريطي، عبد المطلب (1996) سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم، ط1، دار الفكر العربي.

القمش، مصطفي؛ والسعايدة، ناجي (2008) قضايا وتوجهات حديثة في التربية الخاصة، ط1، دار المسترة، عمان، الأردن.

مسلم، مسلم بن الحجاج (1992) صحيح مسلم مع شرح النووي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب.

المصطفي (2014) اتجاهات المعلمين نحو دمج الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة مع الطلبة العاديين في محافظة جرش، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة البحر الأحمر.

مصطفي، نصراوي؛ ومعاوية، عبد الله (1982) التأهيل المهني للمعوقين، المجلة العربية للتربية، السنة الثانية، العدد الأول.

المناوي، زين الدين محمد (1356) فيض القدير، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

نجدي، سميرة وأبو زيد (2001) فنون المعوقين وطرق تدريسها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

النسائي (1992) سنن النسائي مع شرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق مكتب التراث الإسلامي، ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان.

النيسابورى، الحاكم النيسابورى (1990) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

مدى استفادة مجال العلاقات العامة في السودان من وسائل الإعلام الجديد

دراسة تطبيقية مقارنة على عينة من مواقع مؤسسات الاتصالات على الفيسبوك في الفترة من 2013- 2014م

معاوية مصطفى بابكر، كلية علوم الاتصال، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

مستخلص

تكمن أهمية هذه الورقة في متابعة مدى استفادة العلاقات العامة من التطور الكبير في وسائل الإعلام الجديد والمتغيرات التي ترتبط به والطريقة المثلي التى يجب أن تعتمدها العلاقات العامة فى التعريف بالمؤسسة والخدمات التي تقدمها اعتماداً عليه، هدفت هذه الورقة إلى التعرف على كيفية توظيف العلاقات العامة لهذه الوسائل لعرض برامج وأنشطة المؤسسة، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والمنهج المقارن وخلصت إلى نتائج أهمها أوجدت شبكات الإعلام الجديد مفهوماً جديداً للعلاقات العامة الإلكترونية، تستخدم العلاقات العامة وسائل الإعلام الجديد باعتبارها مراكز إعلامية إلكترونية تنشر فيها المؤسسات الأخبار والأنشطة التي تقيمها للتواصل مع الجمهور، عدم الاهتمام الواضح بعناصر الشكل والتي تعد دليلاً على عدم جودة مواقع المؤسسات في السودان، عدم الاهتمام الكافي بعناصر التفاعلية في مواقع المؤسسات على الفيسبوك، كما قدمت الدراسة مجموعة توصيات أهمها ضرورة الاهتمام بشكل مواقع مؤسسات الاتصالات على الشبكات الاجتماعية وإضافة العناصر التي تؤدي إلى جذب المتصفحين، ضرورة تنويع المحتوى وعرضه بالطريقة التي تحقق رغبات جميع فئات المشتركين، التأكيد على هذه المؤسسات بدعم التفاعلية والمشاركة الوجدانية للجمهور والعمل بمبدأ الاتصال في اتجاهين لتحقيق الأهداف الترويجية للمؤسسات.

Abstract

The importance of this paper is to follow the extent to which benefit that public relations of the great development of new media and the variables that are associated with and the perfect way that must be adopted by public relations in definition of the organization and its services depending upon. This paper aimed to identify how public relations used this media to post the programs and activities of the organization The study used the descriptive and comparative methods and concluded that the most important findings as the new media networks created a new concept of electronic public relations. The public relations using new media as an electronic information centers where organizations published news and activities to communicate with the public, lack of interest clearly by the elements of form which is considered a sign to bad quality for organizations sites in Sudan, insufficient attention to the interactive elements in organizations websites on Facebook. The study has provided a set of recommendations as necessary need of attention to tele-communication organizations websites on social networks and add the elements that would attract browsers, the need to diversify and view content with the way that check the wishes of all categories of subscribers, emphasis on these organizations to support interactive and empathy to the public and work to the principle of two-way communication to achieve the objectives of promotion to an organizations.

مشكلة الدراسة

يسهم الإعـــلام الجديد في تطوير أداء العلاقات العامة في كل المؤسســـات مـــن خلال ما يقدمه من وسائل تفاعلية ذات انتشار واسع من أهمهـــا الفيســـبوك الـــذي يتخطى النشر عليه الحدود الجغرافية وبالتالي يمكن للمؤسسة أن توجـــه أنشـــطتها وخدماتها لجمهور عريض وبثمن زهيد وفي وقت وجيز، وقد لاحـــظ الباحث تأثير الفيسبوك وما يبث أو ينشر فيه على استقرار المؤسسات وذلك لمـــا يمتلكـــه مـــن مقدرات يمكن أن تؤدي دوراً مهماً وتضيف بعداً إيجابياً متى ما استخدمت بالصورة المثلى للوصول إلى الأهداف التي تسعى المؤسسة إلى تحقيقها، وقد لاحظ الباحـــث القصور الكبير في استخدام العلاقات العامة لهذا الموقع فـــي التـــرويج للخـــدمات

وعرض وتقديم البرامج والأنشطة المختلفة التي تؤدي إلى تحسين صورة المؤسسة، كما لاحظ ضعف استخدامه في التواصل مع الجمهور لكسب ثقته وتفاهمه.

يطرح الباحث المشكلة في السؤال الرئيس: **كيف يمكن للعلاقات العامة توظيف وسائل الإعلام الجديد (الفيسبوك) لتحقيق أهدافها؟**

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في متابعة التطور الكبير في وسائل الإعلام الجديد عموماً والفيسبوك بصورة خاصة والمتغيرات التي ترتبط به والطريقة المثلى التي يجب أن تعتمدها العلاقات العامة للاستفادة منه فى التعريف بالمؤسسة والخدمات المقدمة للجمهور ومعرفة مدى قبوله لهذه الخدمات والإعلانات والأخبار والأنشطة التي تقيمها المؤسسة.

تأتي أهمية الدراسة أيضاً من حثها للمؤسسات في السودان وتنبيهها للاستفادة من هذا الموقع لما يتميز به من خصائص بقصد الترويج للخدمات محلياً وعالمياً وذلك نسبةً لانتشاره الواسع وجمهوره العريض.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى الآتي:

أ. توضيح مفهوم الإعلام الجديد ووسائله.

ب. التعرف على مدى إمكانية استخدام الفيسبوك في تطوير وظيفة العلاقات العامة وتحقيق أهدافها.

ج. الوقوف على كيفية استخدام العلاقات العامة للفيسبوك في عملية الترويج للمؤسسات واستقاء الأثر الراجع.

د. الاستفادة من ميزة التفاعلية في الفيسبوك لمعرفة الأثر الراجع من الجمهور وذلك في تعديل أو تغيير رسالة المؤسسة.

ه. تقديم التوصيات والمقترحات للإسهام في توظيف العلاقات العامة للفيسبوك لخدمة المؤسسة.

تساؤلات الدراسة

تسعى الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

أ. ما مفهوم وسائل الإعلام الجديد؟

ب. إلى أي مدى يمكن أن تستخدم العلاقات العامة هذه المواقع في الترويج للمؤسسة؟

ج. ما أوجه التشابه والاختلاف بين شكل مواقع شركات الاتصالات في السودان على الفيسوك؟

د. هل تحققت أهداف العلاقات العامة للمؤسسات باستخدام موقع الفيسبوك؟

ه. ما مضمون مواقع شركات الاتصالات في السودان على الفيسبوك؟

و. ما الفرق بين شكل ومضمون مواقع شركات الاتصالات على الفيسبوك؟

ز. إلى أي مدى يمكن أن يسهم موقع الفيسبوك في الترويج لشركات الاتصالات في السودان؟

الإطار الزماني

تمثل الفترة من 2013-2014م إطاراً زمانياً للدراسة، واختار الباحث الفترة من 1 يونيو – إلى 30 نوفمبر2014م للتحليل باستخدام أسلوب الحصر الشامل لكل مايرد في مواقع المؤسسات عينة الدراسة على الفيسبوك في هذه الفترة والتي تم اختيارها عن قصد بوصفها الفترة التي انتشر فيها استخدام الفيسبوك في السودان وأصبح ذا تأثير كبير على جمهور المتلقين.

الإطار المكاني

تنحصر هذه الدراسة مكانياً في إطار الحدود المكانية الافتراضية لمواقع شركة ZAIN – السودان، SUDANI للاتصالات ومواقع MTN السودان على الفيسبوك، ولهذا عمد الباحث إلى الزيارات المتواصلة لهذه المواقع، ومتابعة كل ما يكتب أو ينشر أو يبث فيها.

المنهج المستخدم

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والمنهج المقارن، وتمثلت الأداة الرئيسة في تحليل المضمون.

الدراسات السابقة

الدراسة الأولي: (أحمد، 2012م)

في دراسة معزة مصطفى أحمد بعنوان: الاتصال التفاعلي عبر الإنترنت وأثره على الشباب هدفت الدراسة لمعرفة انعكاسات الاتصال التفاعلي عبر الإنترنت على الشباب، استخدمت المنهج الوصفي وخلصت الدراسة إلى أن موقع سودانيز أون لاين والمواقع الاجتماعية السودانية الأخرى لها دور بارز في التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وأن الإنترنت أصبح مورداً مهماً للحصول على العديد من الخدمات وساهم بصورة فاعلة في تطوير العملية الاتصالية.

الدراسة الثانية: (موسى، 2010م)

دراسة صالح موسى على موسى بعنوان: وظيفة العلاقات العامة في الاتصال المعلوماتي، هدفت الدراسة إلى التعرف على وظيفة العلاقات العامة في الاتصال المعلوماتي، استخدمت الدراسة منهج دراسة الحالة وتحليل النظم والمنهج التكاملي، وخلصت إلى التأكيد على أن المركز قد عكس صورة إيجابية لبرامج الحكومة الإلكترونية في السودان بنسبة 59.6%، واتضح أن دور إدارة العلاقات العامة في

المتابعة والتقويم ونقل التجارب من الدول المتقدمة دون الوسط حيث بلغت فيه (لا أوافق) 34%.

التعليق على الدراسات والبحوث السابقة

تمثل الدراسات السابقة أهمية كبرى بالنسبة للباحثين والمراكز البحثية والأكاديميين والمختصين والمؤسسات الأخرى التي تسعى إلى توفير المعلومات حول الظـــواهر ومعرفة المهددات لتفاديها والفرص لاستغلالها بالصورة المثلى وذلك عند القيام بأي بحث علمي محكم، وقد تميزت هذه الدراسة بوضع معايير تصلح أن تستخدم فـــي قياس مدى جودة الشكل والمضمون ومدى تحقيق موقع االفيسبوك للأهداف المرجوة من النشر عليه من قبل مؤسسات الاتصالات في السودان.

استخدمت الدراسات منهجاً مشابهاً لمنهج الدراسة مما أعطى الباحث مؤشراً مهمـــاً لإمكانية تطبيق هذا المنهج بصورة سليمة في هذه الدراسة، وركزت بعضها علـــى قياس الجوانب السلبية للمواقع على شبكة الإنترنت على شرائح مختلفة وهو أمـــر يجعل الباحث في سعي لتأكيد إمكانية استخدام هذه المواقـــع بالصـــورة الإيجابيـــة الصحيحة.

الإعلام الجديد المفهوم والخصائص

تغيرت في القرن الواحد والعشرين النظرة الكلية لوسائل الإعلام فما عـــادت هـــي الوسائل التقليدية التي يدور النقاش حول القائمين على أمرها وأخلاقياتها وقيودهـــا فحسب، بل تطورت الوسائل بصورة صار معها المجتمع القديم الذي كـــان يعـــيش داخل رقعة جغرافية معينة ويتميز بخصوصية وسمات تخصه وحـــده مجتمعـــاً لا مكانة له في العصر الآني، فقد فرضت الوسائل الاتصالية الحديثة مجتمعاً جديـــداً يتغير بعضه ويناضل الآخر للبقاء على ما كان عليه، ويصارع آخـــر مـــن أجـــل الحفاظ على هويته حتى لا تندثر وتحل محلها ثقافات مجتمعات أخرى، ولكن مـــن

الصعوبة بمكان أن تستمر هذه المقاومة في ظل فرص ويسر يجده مستخدمي الوسائل الحديثة في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم بعيداً عن أيدي الرقيب وسيطرة الحكومات، وقد تشكل مجتمع المعلومات الموازي وأصبح كل شخص إعلامي يعبر عن مكنوناته وتطلعاته برسالة بسيطة برسوم زهيدة أو حتى مجاناً عبر شبكة الإنترنت خاصة أنه قد ازدادت أهمية شبكة الإنترنت على المستوى الدولي مع تنوع استعمالاتها وازدياد عدد المستخدمين لها ولم تعد أهميتها محصورة في مجال تبادل المعلومات، فهي تؤدي اليوم أدواراً سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية وثقافية مهمة جداً.

مفهوم الإعلام الجديد

يُعدُّ الإعلام الجديد اسماً جامعاً لعدة ظواهر تقنية حديثة، أهم ما يميزها هو اعتمادها على التقنية الرقمية (digitization) والتي يتم عن طريقها تحويل جميع النصوص والمضامين الإعلامية إلى شكل موحد يمكن معالجته بالحاسبات الآلية، ويؤدي ذلك في نفس الوقت إلى ظاهرة الإندماج (convergence) بين المحتويات الإعلامية ومعالجتها وتوزيعها وتخزينها بطرق آلية موحدة، ولذلك يطلق عليه أيضاً اسم (الإعلام الرقمي digital media)، فالإعلام الجديد يوفر وسائل وقنوات جديدة للاتصال والتواصل ويتيح منابر جديدة للنقاش والحوار مما فتح المجال أمام أفراد المجتمع لممارسة مختلف أنواع الاتصالات بواسطة شبكة الإنترنت وذلك للخروج من وضعية عدم التواصل وعدم الحوار إلى التواصل والحوار ومن الإعلام والاتصال الذي يتم في اتجاه واحد إلى الإعلام الأفقي والاتصال في جميع الاتجاهات (أبو اليزيد، 2008: 44).

مميزات الإعلام الجديد

تتمثل الميزات التي يتحلى بها الإعلام الجديد في الآتي: (صادق، 2011: 9)

1. استبداله الوحدات المادية بالرقمية.
2. تشبيك عدد غير محدود من الأجهزة مع بعضها البعض.
3. يلبي الاهتمامات الفردية (Individual Interests) والاهتمامات العامة، أي أن الرقمية تحمل قدرة المخاطبة المزدوجة للاهتمامات والرغبات وهي حالة لا يمكن تلبيتها بالإعلام التقليدي.
4. خروجه من أسر السلطة التي كانت تتمثل في قادة المجتمع والدولة إلى أيدي الناس جميعاً.

هنالك سلبيات عديدة تنتج من التعامل مع وسائل الإعلام الجديد أهمها مايلي:

1. يؤدي استخدام وسائل الإعلام الجديد بكثرة إلى حالة الإدمان التي تدخل الفرد في نوع من القلق والتوتر المستمرين.
2. انتشار ظاهرة التعدي على خصوصيات الآخرين ومحاولة سرقة الحسابات على الإنترنت.
3. انتشار السرقات المادية والعلمية.
4. يمكن من خلاله بث أو نشر المواد الخادشة للحياء والتي تؤثر سلباً على قيم المجتمعات.

الفرق بين الإعلام الجديد والتقليدي

يمكن عقد مقارنة بين الإعلام الجديد والتقليدي وذلك كما يلي:

مميزات الإعلام التقليدي

يمكن تمييز الإعلام القديم عن طريق النماذج الكلاسيكية، إبتداء من أول نموذج اتصالي بين البشر وهو الاتصال الشخصي وله حالتان تميزانه:

النموذج الأول: الاتصال الشخصي وهو كما يلي:

1- يملك كل فرد من طرفي الاتصال درجة من درجات السيطرة المتساوية على المحتوى المتبادل بين الطرفين.
2- يحمل المحتوى ترميزاً يؤكد حالة الفردية التي تحقق احتياجات ومصالح صاحب المحتوي.
3- التحكم المتساوي وميزة الفردية ينخفضان في حالة ازدياد عدد المشاركين في العملية الاتصالية، مما جعل خبراء الاتصال يطلقون عليه الاتصال من نقطة إلى أخرى أو من فرد لآخر (One-to-one).

النموذج الثاني: الإعلام الجديد ويتميز بما يأتي:

1. يمكن للرسائل الفردية أن تصل في وقت واحد الى عدد غير محدود من البشر.
2. إن كل واحد من هؤلاء البشر له درجة السيطرة نفسها ودرجة الإسهام المتبادل نفسها.

ويتمثل الفرق بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد في أن الإعلام الجديد إعلام حر خال من القيود والرقابة حيث بإمكان الجميع نشر الأفكار والتعبير عن الآراء بحرية، كما يعتمد الإعلام التقليدي بصورة كبيرة على الإعلام الجديد وذلك نسبةً لصعوبة الوصول إلى أماكن الأحداث ونقاط التوتر حول العالم إذ يُعد الإعلام الجديد أكثر أماناً للإعلاميين وذلك نسبةً لتغطيتهم لمجريات الأحداث وبؤر التوتر حول العالم، وعلى الرغم مما يشوب هذه التغطية من النقص فإنه من الممكن أن تتحسن في القريب العاجل.

يوفر الإعلام التقليدي أرضية خصبة للإعلام الجديد عن طريق التسويق فلولا الدعم والتشجيع الذي حظي به الإعلام الجديد من طرف الإعلام التقليدي لما ظهر هذا الأخير إلى العلن، كما أسهمت الطفرة النوعية في أعداد مستخدمي الإنترنت

والمتصفحين في توفير أرضية صلبة للإعلام الجديد والذي يبقى بحاجة دائمة إلى التطوير والتحديث من خلال تحسين المضمون، والبحث عن طرق أفضل للتسويق ويبقى التكامل بين النوعين هو الخيار الأمثل للنجاح في عالم ينقسم إلى افتراضي وواقعي.

خصائص الاعلام الجديد

لقد كان من أبرز سمات المتغير الإعلامي البارزة قدرته العالية فيما يتعلق بالتفاعلية فقد أكدت معظم نماذج الاتصال التقليدية إبتداءً من نظرية شانون وويفر (Shannon & Weaver) مروراً بنظرية الطلقة السحرية (Magic Bullet) ونموذج نقل المعلومات على مرحلتين (Theory Of Two –Step Flow of informations) ونموذج الانتباه والإدراك الانتقائي (Selective Perception) وصولاً إلى نموذج ويسلي وماكلين (Westlley & Maclean) اللذان قدما نظرية (Attention & Perception) ومفاهيمهما عن حراس البوابة (Gate Keepers) على أن وسائل الإعلام التقليدية وسائل اتصال ذات اتجاه واحد كما أنها تفتقر إلى رجع الصدى الفوري في حين أن التفاعل الحقيقي يتطلب أنموذجاً اتصالياً ذي اتجاهين أو اتجاهات متعددة.

التفاعلية في وسائل الاتصال الحديثة

مع ظهور وسائل الاتصال الحديثة – بما تمتلكه من أدوات تفاعلية – أصبح للمستقبل القدرة على المشاركة النشطة الأكثر فاعلية في العملية الاتصالية، بحيث أصبح الجمهور يسعى للحصول على المعلومات واختيار المناسب منها وتبادل الرسائل مع المرسل، بعدما كان دوره في السابق مجرد متلق للمعلومات وهناك من يذهب إلى أن التمييز بين المرسل والمتلقي قد أصبح صعباً في حالات متعددة في ظل استخدام هذه الوسائل التي هيأت الطريق السريع للوصول إلى المعلومات وهو

ما عادت نتائجه على العملية الاتصالية في ثلاثة جوانب تمثلت في الآتي: (اللبان، 2007: 66)

الأول: إن الطريق السريع إلى المعلومات مدت المجال الاتصالي بوسائل إعلام جديدة (New Media) والمزيد من الخيارات الاتصالية وهو ما عمل على زيادة البدائل المطروحة أمام المتلقين.

الثاني: قد تميز بأنه تفاعلي إذ أتاح لمستعمليه مزيداً من التحكم في المعلومات وتبادلها.

الثالث: أوجد الطريق السريع للمعلومات وسائل ربط بعيدة للأنشطة الشخصية كل من مكانه.

يتسم المجتمع الافتراضي بمجموعة من السمات أهمها الآتي:

1. المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعيّة بمعناها التقليد.
2. لم تعد تؤدي الحدود الجغرافية دوراً في تشكيل المجتمعات الافتراضيّة، فهي مجتمعات لا تنام حيث يستطيع المرء أن يجد من يتواصل معه في المجتمعات الافتراضيّة على مدار الساعة.
3. أنّها تنتهي إلى عزلة على ما تعد به من انفتاح على العالم وتواصل مع الآخرين.
4. لا تقوم المجتمعات الافتراضيّة على الجبر أو الإلزام بل تقوم في مجملها على الاختيار.
5. في المجتمعات الافتراضيّة وسائل تنظيم وتحكّم وقواعد لضمان الخصوصيّة والسريّة، قد يكون مفروضاً من قبل القائمين، وقد يمارس الأفراد أنفسهم في تلك المجتمعات الحجب أو التبليغ عن المداخلات والمواد غير اللائقة أو غير المقبولة.

6. أنّها فضاءات رحبة مفتوحة للتمرّد والثورة – بداية من التمرّد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسيّة.
7. تتسم المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهويّة التقليدي.

الإعلام الجديد والتواصل الاجتماعي

تعود جذور المشهد الاتصالي الذي نشهده اليوم ونعيش عدداً من مظاهره إلى سلسلة من التطورات التقنية المتلاحقة، بدأت في وقت مبكر من حقبة السبعينيات من القرن الماضي، وخاصة منها تلك التي تمت على صعيد شبكة الإنترنت، ففي عام (1972) دخلت هذه الشبكة عالم البث المتاح للجميع، وبدأ العمل على تطوير تقنية تسمح باستخدامها على نطاق تجاري، ومعها بدأ الطابع التواصلي للإعلام كحقل معرفي واجتماعي جديد، وتطور حتى أصبح اليوم أحد أهم مجالات العلوم الإنسانية (علي، 2010: 40).

تُعد شبكات التواصل الاجتماعي (Social Networking) مواقع على شبكة الإنترنت توفر لمستخدميها فرصة للحوار وتبادل المعلومات والآراء والأفكار من خلال الملفات الشخصية وإلبومات الصور وغرف الدردشة وغير ذلك، ومن الأمثلة على هذه الشبكات (YouTube, Facebook, LinkedIn, MySpace, Twitter). وتُعد الشبكة الرقمية عبارة عن مواقع مجموعة هويات اجتماعية ينشئها أفراد أو منظمات لديهم روابط نتيجة التفاعل الاجتماعي، ويمثلها هيكل أو شكل ديناميكي لجماعة اجتماعية وهي تنشأ من أجل توسيع وتفعيل العلاقات المهنية أو العلاقات الاجتماعية.

استخدامات ووظائف شبكات التواصل الاجتماعي

تمثل وظيفة العلاقات العامة والتسويق من أهم الاستخدامات الحديثة للشبكات الاجتماعية والتي أحدثت تقدماً في مجال تواصل الشركة مع المستهلكين هو اعتبار هذه الشبكات الاجتماعية أهم وسيلة لبناء صورتها الذهنية وتدعيم العلامة التجارية بين فئات الجمهور المختلفة على كافة المستويات.

كما تقدم الشبكات الاجتماعية للمؤسسات مجموعة ميزات أهمها:

1. الوعي بالعلامة التجارية ورسم وتعزيز الصورة الذهنية.
2. إدارة سمعة المؤسسة عبر الإنترنت.
3. التواصل بشكل أعمق مع الجمهور والتفاعل معه والوصول إلى قطاع عريض من الجمهور.
4. أداة لإدارة علاقة العملاء والشركات من بيع المنتجات والخدمات.

تستخدم الشبكات الاجتماعية في التواصل الإنساني في العصر الحديث حيث تسهم هذه المواقع في تحقيق أهداف الفردية وبناء الإعلام الحديث والذي يتمثل في إمكانية إنشاء أي فرد لصفحة خاصة به يتفاعل عبرها مع الأصدقاء من جميع أنحاء العالم في مجتمع افتراضي يكسر حاجز القطرية الضيقة ليمتد نحو المجتمع الكوني الجديد ومن أهم هذه الشبكات مايلي:

1- الفيسبوك: Facebook

هو موقع إلكتروني للتواصل الاجتماعي، يتاح عبره للأشخاص العاديين والاعتباريين (كالشركات) أن يبرز نفسه وأن يعزّز مكانته بالتواصل والتفاعل مع أشخاص آخرين ضمن نطاق ذلك الموقع أو عبر التواصل مع مواقع تواصل أخرى، وإنشاء روابط تواصل مع الآخرين. (نصر، 2010: 10).

ويمتاز الفيسبوك بما يلي: (www.facebook.com/ facebook statistics)

1. سمة(Wall) أو لوحة الحائط: عبارة عن مساحة مخصصة في صفحة الملف الشخصي لأي مستخدم تتيح للأصدقاء إرسال الرسائل المختلفة إلى هذا المستخدم.
2. سمة (Pokes) أو النكزة: تتيح للمستخدمين إرسال نكزة افتراضية لإثارة الانتباه إلى بعضهم البعض، وهي عبارة عن إشعار يخطر المستخدم بأن أحد الأصدقاء يرحب به.
3. سمة (Photos) الصور: تمكن المستخدمين من تحميل الإلبومات والصور من أجهزتهم إلى الموقع.
4. سمة (Status) أو الحالة: تتيح للمستخدمين إمكانية إبلاغ أصدقائهم بأماكنهم وما يقومون به من أعمال في الوقت الحالي.
5. سمة (Facebook Beacon) فيسبوك بيكون:

عبارة عن مبادرة تسويقية تتيح للمواقع المختلفة الإعلان عن الأنشطة التي يقومون بها على ملفاتهم الشخصية في صورة إعلانات اجتماعية بهدف الترويج للمنتجات.

2- تويتر: Twitter

كانت بدايات ميلاد هذه الخدمة المصغرة (تويتر) أوائل عام (2006)، عندما أقدمت شركة (Obvious) الأمريكية على إجراء بحث تطويري لخدمة التدوين المصغرة، ثم أتاحت الشركة المعنية ذاتها استخدام هذه الخدمة لعامة الناس في أكتوبر من نفس العام، ومن ثم أخذ هذا الموقع بالانتشار، باعتباره خدمة حديثة في مجال التدوينات المصغرة، بعد ذلك أقدمت الشركة ذاتها بفصل هذه الخدمة المصغرة عن الشركة الأم، واستحدثت لها اسماً خاصاً يطلق عليه (تويتر) وذلك في أبريل عام (2007) تقول الكاتبة "Claire. Diaz-Ortiz" إن هذا دليل عن كيفية تغيير العالم مع تويتر

خطوة، خطوة، تغريده، تغريده، في آن واحد، حيث تمثل التغريدة ما ينشر أو يبث في الموقع من قبل المستخدمين أو المغردين (Diaz, 2011: 47)

3- اليوتيوب: (You Tube)

اختلفت الآراء حول موقع "يوتيوب" وما إذا كان هذا الموقع شبكة اجتماعية أم لا، حيث تميل بعض الآراء إلى عدِّه موقع مشاركة الفيديو (video sharing site) غير أن تصنيفه كنوع من مواقع التواصل الاجتماعي نظراً لاشتراكه معها في عدة خصائص مكنت من عدِّه أهم هذه المواقع نظراً للخدمات الكبيرة التي يقدمها في مجال نشر الفيديوهات واستقبال التعليقات عليها ونشرها بشكل واسع ويعني ذلك أن اليوتيوب موقع إلكتروني يسمح ويدعم نشاط تحميل وتنزيل ومشاركة الأفلام بشكل عام ومجاني (ساري، 2008: 307)

يمثل موقع الفيسبوك الوسيلة الأكثر استخداماً في السودان ويرجع ذلك إلى سهولة الاستخدام والاشتراك، كما أنه يسمح للمشتركين بالكتابة بحرية وبعدد مفتوح من الكلمات إذا ماقورن بموقع تويتر الذي لا يسمح بأكثر من 140 كلمة، وفيه يمكن للمشتركين إنزال الفيديوهات مع المادة المكتوبة وهو ما لا يتوافر لموقع اليوتيوب، ويُعد الوسيلة الأولى التي استخدمها السودانيون والتي تزامن استخدامها بكثافة وازداد عدد المشتركين فيه بالتزامن مع ما يعرف بثورات الربيع العربي التي وظفت الفيسبوك لخدمة أهدافها.

الإعلام الجديد والعلاقات العامة

تستخدم العلاقات العامة الأحداث الخاصة من البرامج والفعاليات الجماهيرية والخيرية التي تقيمها لإشاعة جو من النوايا الحسنة لدى المتعاملين معها، وعلى الرغم من اعتماد العلاقات العامة على عملية التسويق عبر اطلاع الجمهور مباشرة على المؤسسة ومنتجاتها فإن أنشطة العلاقات العامة تسعى أيضاً إلى توجيه

الانطباعات الشعورية واللاشعورية عند الجماهير تجاه هذه المنشآت لتكوين صورة حسنة وانطباعاً جيداً عن شخصيتها وسمعتها؛ وذلك لأن هذا الانطباع يمثل مقياس على مدى قدرة الإدارة على تحمُّل مسؤليتها المجتمعية تجاه المجتمع الذي تعمل فيه المؤسسة.

توجهت المؤسسات في الفترة الأخيرة إلى مواقع التواصل الاجتماعي بهدف تعريف الجمهور بمنتجاتها وتحقيق الأرباح، إضافة إلى عاملي الاتصال والترويج المهمين وذلك لأن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت من أهم وسائل التسويق بالاتصال مع الجمهور المستهدف وبالتالي تكوين صورة ذهنية طيبة في أذهان الجمهور.

العلاقات العامة الإلكترونية

أصبح توفير الإمكانيات الإلكترونية ضرورياً لممارسة العلاقات العامة وإدارتها في أقسام العلاقات العامة بالمنظمة، حيث تتضمن كل عملية من عمليات توفير الإمكانات الإلكترونية للمنظمة في الاتصالات داخل المنظمة وخارجها، ولمعظم أنشطة الشركة سواء في الدعاية أو المبيعات أو التسويق أو في التصميم والتطوير أو في نظم الإدارة الداخلية.

يستخدم العاملون والمسؤولون في العلاقات العامة وسائل اتصال متعددة ومتنوعة في مجال أعمالهم، فالإنترنت كوسيلة حديثة للاتصال المستخدم في مجال العلاقات العامة وفرت أدوات وتقنيات متطورة للاتصال وأتاحت فرصاً عظيمة لتوظيف المهارات الإبداعية في هذا المجال وساعدت موظفي العلاقات العامة على استخدام كثير من الطرق في إجراء الاتصالات بشكل أكثر كفاءة وفاعلية، وأصبح هنالك الكثير من الطرق التي يستخدمها موظفو العلاقات العامة في الشركات والمؤسسات في إجراء الاتصالات من خلال تكنولوجيا الإنترنت والوسائط المتعددة، فأصبح بإمكانهم إنشاء موقع للمؤسسة على الشبكة واستخدام البريد الإلكتروني والرسائل

الفورية ومناقشة الأخبار اليومية من خلال المجموعات وعلى لوحات الإعلانات، ومع تطور تقنيات الاتصال في عصرنا هذا، وبعد شيوعها على نطاق واسع بين مختلف شرائح المجتمع ظهر مصطلح جديد في علم (العلاقات العامة) أُطلق عليه "العلاقات العامة الرقمية وتعني قيام إدارة العلاقات العامة بتوظيف تقنيات الاتصال الحديثة لتنفيذ بعض أنشطتها للإسهام في تحقيق أهدافها.

وقد أحدثت العلاقات العامة الرقمية تغييرات أضافتها مواقع التواصل الاجتماعي مثل:

أ –الاستمرارية:

حيث تظل المادة المنشورة محفوظة لمدة طويلة، ويمكن الرجوع لها.

ب –السرعة:

والمقصود بها سرعة التفاعل مع الأحداث والمناسبات والأزمات.

ج –الشفافية:

أصبح التفاعل لا يأتي فقط من المتحدث الرسمي، أو أعلى مسؤول، بل من عدة مصادر داخل الجهة وخارجها.

د –المقياس:

لم يعد من الكافي حجز مكان في صحيفة ورقية فقط، بل أيضاً ما هو مدى تواجد الجهة في مواقع التواصل الاجتماعي، وتفاعل الجمهور معها.

هـ– القياس:

وذلك بالتعرف على كيفية قياس عمل العلاقات العامة في مواقع التواصل الاجتماعي، عليه فقد أصبح لزاماً على ممارسي العلاقات العامة على شبكة الإنترنت أن يتعرفوا على طبيعة هذه الشبكة ومدى تأثيرها على الجمهور وعلى المستخدم، ومدى الأضرار الجسيمة التي تحدث إذا أخل القائم بالاتصال بالشروط

والضوابط الأخلاقية التي تحكم طبيعة هذا العمل، وبالتالي يجب عليه أن يتحلى بالشروط ومواثيق الشرف الخاصة بالتعامل وأن يلتزم بأخلاقيات الإنترنت التي تعني عدة أمور منها: (علي، 2000: 472)

عدم استغلال الحوار عن بعد بغرض التمويه والتنكر، وضرورة نزاهة آلات البحث والتصفح والتحلى بالأمانة العلمية والملكية الفكرية مع ضرورة أن تكون التكنولوجيا أمينة وآمنة ومستأنسة، وعدم تهديد حرية الإنسان وخصوصيته الفردية.

كما يحتاج موظفو العلاقات العامة إلى معرفة كيفية التجول عبر الشبكة وإنشاء مكتبات بالمصادر التي يمكن الاعتماد عليها على الشبكة مع الموقع، وممارسة التفكير المبدع والخلاق والبعد عن الأنشطة البسيطة وذلك لدراسة الإمكانات الإلكترونية والعلاقات عبر الشبكة والتجارة الإلكترونية ومعرفة سمعة المنظمة في هذا الوسط، كما أنهم يحتاجون إلى التعرف على كيفية إنشاء المواقع على الإنترنت وإنشاء الصفحات وكيفية تحميلها والقيام بعمليات التقويم للموقع والاختبارات المستمرة للاتجاهات ووجهات النظر، وتوافر مهارة البحث على المواقع والعثور عليها، ومعرفة كيفية وضع قوائم بالمنشورات ذات الصلة على الشبكة بنفس الطريقة التي يعثر عليها محترف العلاقات العامة على العناوين والمعلومات الخاصة بالصحف والمجلات العادية.

تتمثل أدوار العلاقات العامة الرقمية في أداء المهام الآتية: (الجوهر، 2013: 22)

أ-الموقع الإلكتروني: **Website**

يُعد الموقع الإلكتروني صورة إلكترونية للمنظمة لذلك يجب التعامل معه بشكل صحيح إذا أرادت المؤسسة أن تجعل من الشبكة الإلكترونية وسيلة لبناء علاقات إيجابية مع جماهيرها، كما يعد الموقع الإلكتروني مركزاً للنشاط الإلكتروني لإدارة العلاقات العامة عليه.

ج-البريد الإلكتروني: **E-mail**

هو من أكثر الأشكال انتشاراً في الإنترنت، ويمكن أن يكون أداة فعالة من أدوات العلاقات العامة ويستخدم في إرسال الرسائل الإخبارية لعدد واسع من الجماهير المستهدفة.

تنشيط المبيعات على الإنترنت

تتضمن نشاطات ترويج المبيعات كل من الكوبونات، العينات، المسابقات الهدايا، وغيرها والملاحظ أن هذه الأساليب تستخدم على نطاق واسع عبر الإنترنت، وتشير جمعية التسويق المباشر أن تشكل أساليب ترويج المبيعات عبر الإنترنت النسبة الأكبر هذا في ظل الاستفادة من خدمات البريد المباشر، والإعلان عبر الإنترنت، وتساهم أساليب ترويج المبيعات في تمكين المنظمة من تجميع أكبر عدد من الأسماء في قاعدتها الخاصة بالبريد الإلكتروني، وباستطاعتها استخدام هذه العناوين لإرسال رسائل ترويجية ما يؤدي لبناء علاقات وطيدة معهم ومن أهم هذه الأساليب الكوبونات على الإنترنت والاختبار المجاني، المسابقات واليانصيب.

الدراسة التطبيقية

عينة الدراسة

اختار الباحث مواقع شركات الاتصالات النقالة على الفيسبوك (Facebook) وهي موقع زين (ar.facebook.com/ ZainSudan) وموقع سوداني (ar-SUDANI.SD (ar.facebook.com/ وموقع MTN سودان ar-(ar.facebook.com/mtnsudan1).

إجراءات الدراسة التطبيقية

لتحقيق أهداف الدراسة فقد قام الباحث بتصميم استمارة لتحليل الشكل والمضمون لعينة البحث وعرض الاستمارة على مجموعة من الأساتذة والمختصين وقد تم

تحليل الاستمارة باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) واستخدام الجداول والرسوم البيانية، واستخلصت بها نتائج البحث وتوصياته.

حددت الدراسة الاتجاه العام وهو يعني مدى اسهام العنصر في الفئة المعينة من مجموع عناصر الفئات لمواقع المؤسسات على الفيسبوك في الجدول المحدد.

أولاً: فئات تصنيف وتحليل الشكل:

صنف الباحث فئات تحليل الشكل والمضمون كالآتي:

سهولة تصفح الموقع: يكون تصفح الموقع سهلاً إذا كان متاحاً على أكثر من محرك ويمكن الوصول إليه مباشرةً، وأن يكون متاحاً علي رابط في دليل الموقع كما أنه يتيح الإشتراك في منتدى للوصول إليه.

ملاءمة الألوان: يجب أن يبتعد الموقع عن استخدام الألوان الفاقعة وأن تتوافق هذه الألوان مع الموضوع مع ضرورة التباين في الألوان.

ملاءمة الخطوط: يقصد بها الكتابة بحجم خط مناسب واستخدام نوع واحد من الخطوط مع الإبتعاد عن الخطوط ذات اللون الفاقع.

استخدام الروابط: وتعني سهولة الانتقال من الصفحة الرئيسة إلى الصفحات الفرعية والعكس.

استخدام الوسائط المتعددة: ويقصد بها النصوص والصور والصوت والفيديو المستخدم في المضمون على المواقع.

استخدام الإيضاحات والرسوم: وهي الرسوم التوضيحية والرسوم البيانية والخرائط.

توفر بيانات الاتصال: ويقصد بها توفر بريد إلكتروني أو استمارة اشتراك أوتسجيل وتوفر رقم هاتف للاتصال.

استخدام أكثر من لغة: وتعني ضرورة توفر المضمون بلغتين فأكثر.

الإرشيف: ويقصد به وضع المعلومات ذات التاريخ القديم مرتبة لكل الموقع أو لأقسام معينة ويمكن الوصول إليها بسهولة ويسر.

استخدام أكثر من طريقة للبحث: ويقصد بها البحث المتقدم بالصورة والصوت وأن يحتوي المحرك على كلمات دالة مخزنة، مع كشف المحرك مداخل المصدر.

وضوح أهداف المحتوى: المقصود منها أن يتعرف المتصفح للموقع على الهدف من المنشور.

مناسبة تنظيم المحتوى: وتعني مناسبة أو عدم مناسبة تنظيم المحتوى.

تحديت المحتوى: والمراد بها هل هناك تحديث مستمر أم يتم التحديث في بعض الأحيان أو إلى حدٍ ما.

صلة المحتوى بالمؤسسة: وهي توافر المعلومات عن الهيكل التنظيمي ولوائح المؤسسة مع توافر النماذج والاستمارات والمعلومات عن حقوق الطبع.

ثانياً: فئات النشر في موقع الفيسبوك للمؤسسات

يتمثل تعامل المؤسسة والمشتركين مع موقع الفيسبوك وفقاً للفئات أدناه:

1- فئة المنشور على المواقع.

2- فئة تسجيل الإعجاب بالمنشور على المواقع.

3- فئة كتابة التعليقات على المنشور.

4- فئة مشاركة المنشور مع مواقع أخرى.

ثالثاً: فئات تحليل المضمون لمواقع المؤسسات على الفيسبوك

احتوت استمارة تحليل المضمون على عدة فئات وهي كالآتي:

العروض المتحركة: والمقصود بها الفيديوهات التي تعرض البرامج والإعلانات المتحركة والأنشطة والفعاليات واسهامات المشتركين المصورة وما شابه ذلك.

الإعلان المصمم: وهو الإعلان المصور غير المتحرك والذي يقدم الخدمات أو البرامج والأنشطة.

الأخبار: وتعني الأخبار من وعن المؤسسة وأنشطتها وبرامجها واجتماعاتها المقدمة بكل الأشكال الخبرية على الموقع.

المسابقات: تقدم المواقع مسابقات متنوعة عن الخدمات التي تقدمها المؤسسة أو عن المناسبات العامة أو الدينية والسياسية أو عن بعض الشخصيات وخلافه.

تقديم الجوائز: والمقصود بها الجوائز التي تقدم للمشتركين في المسابقات وعرض أسمائهم أو صورهم.

التهاني: المراد بها نشر التهاني بالأيام السعيدة والمناسبات الدينية والوطنية.

المنوعات: وهي ما تنشره المؤسسة على الموقع من الأدعية والحكم والأمثال وبث روح التفاؤل والثقة في المشتركين.

الاستطلاعات: يقصد بها قياس الآراء عن الخدمات التي تقدمها المؤسسة أو عن قضية تهم المشتركين سواءً كانت خاصة أو عامة.

المسئولية المجتمعية: تعبر عن الخدمات والأنشطة التي تقدمها المؤسسة في مجالات الصحة والتعليم والبيئة والمياه ورعاية برامج الشرائح المختلفة وتقديم المبادرات والدورات التدريبية.

عرض الوظائف: ويقصد بها نشر المؤسسة في الموقع إعلاناً عن حاجتها لموظفين أكفاء وفقاُ لشروط معينة.

ب- ثبات الأداة:

لكي يتأكد الباحث من ثبات المقياس فإن أنسب الاختبارات هي التي تتم بطريقة إعادة الاختبار (Test-Retset) أو تعدد القائمين بالاختبار على مادة التحليل نفسها وتعليمات الترميز وقواعده نفسها، وقد قام الباحث بعد الإنتهاء من عملية تحليل

الشكل والمضمون بإعادة التحليل، وظهرت تغيرات بسيطة بين نتائج التحليل في المرة الأولى ونتائج التحليل في المرة الثانية وقد اطمأن بعدها الباحث إلى اتساق ودقة وثبات أداة التحليل وقد استخدم الباحث إجراء اختبار الثبات Reliable ويقصد به قياس استقلالية المعلومات عن أدوات القياس وللتأكد من وجود درجة عالية من الاتساق الزمني بمعنى توصل المحللين لذات النتائج في فترات مختلفة. يتأتى ذلك باستخدام معادلة هولستي (Holsti) لقياس الثبات.

معامل الثبات = $\frac{2M}{N2+N1}$

(M) عدد الحالات التي يتفق فيها المرمزان .

(M1) عدد الحالات التي رمزها المرمز رقم (1)

(N2) عدد الحالات التي رمزها المرمز رقم (2) .

عدد الحالات 115 اتفق المرمزان علي 112 حالة

عليه يكون الثبات = $\frac{2(112)}{115+115}$ = 224

230 نسبة الثبات = 0.97

جدول رقم (1) عناصر الشكل لمواقع المؤسسات على Facebook

الشكل	ZAIN	SUDANI	MTN
سهولة تصفح الموقع	✓	✓	✓
ملاءمة الألوان	✓	✓	✓
ملاءمة الخطوط	✓	✓	✓
استخدام الروابط	✓	✓	✓

استخدام الوسائط المتعددة	✓	✓	✓
استخدام الإيضاحات والرسوم	×	×	×
توفر بيانات الاتصال	✓	✓	✓
استخدام أكثر من لغة	✓	✓	✓
الإرشيف	✓	✓	✓
استخدام أكثر من طريقة للبحث	×	×	×
وضوح أهداف المحتوى	✓	✓	✓
مناسبة تنظيم المحتوى	✓	✓	✓
تحديث المحتوى	✓	✓	✓
صلة المحتوى بالمؤسسة	✓	×	×
النسبة	%86	%79	%79

الجدول أعلاه يقيّم موقع الفيسبوك من خلال بعض العناصر مثل سهولة التصفح والتي تعتمد على سرعة الشبكة، أما فيما يخص مواقع المؤسسات فقد اهتمت جميعها بالعناصر المتعلقة بالألوان والخطوط والروابط والوسائط المتعددة والإرشيف ووضوح وتنظيم وتحديث المحتوى وجاءت بالصورة الممتازة، ولكنها أهملت بصورة كاملة استخدام الرسوم والإيضاحات الشارحة للمضمون وتعدد طرق البحث عن هذه المواقع في المحركات المستخدمة وهي من العناصر المهمة في تحديد مدى جودة الشكل للمواقع.

حاز موقع زين على أعلى نسبة بلغت 86% من توافر العناصر الجاذبة للمتصفحين، وتساوت كل من سوداني وMTN في المرتبة الثانية بنسبة واحدة بلغت 79%.

جدول رقم (2) المنشور في مواقع المؤسسات على Facebook

المضمون	ZAIN		SUDANI		MTN		الإتجاه العام %
	ك	%	ك	%	ك	%	
العروض المتحركة	12	%2	28	%4	105	%23	%8
الإعلان المصمم	89	%14	54	%8	120	%26	%15
الأخبار	2	%0	5	%1	4	%1	%1
المسابقات	90	%14	95	%15	50	%11	%13
تقديم الجوائز	132	%21	68	%10	66	%14	%15
التهاني	24	%4	65	%10	13	%3	%6
المنوعات	156	%24	110	%17	56	%12	%18
الاستطلاعات	29	%5	33	%5	3	%1	%4
المسئولية المجتمعية	72	%11	80	%12	35	%8	%11
عرض الوظائف	1	%0	4	%1	0	%0	%1
التوعية	5	%1	11	%2	6	%1	%1
الاجتماعات	1	%0	17	%3	0	%0	%1
الأحداث الخاصة	26	%4	83	%13	0	%0	%6
المجموع	639	%100	653	%100	458	%100	%100

تنوعت المادة المنشورة في موقع الفيسبوك للمؤسسات حيث اشتمل المنشور على جميع عناصر المحتوى مما يعني الفائدة الكبيرة التي يحصل عليها المشتركون وذلك بحصولهم على جميع أنواع المعلومات عن الخدمات والأنشطة المتنوعة التي تقيمها المؤسسة وبالتالي توقع التفاعل معها بالصورة المرجوة .

حقق موقع سوداني أعلى نسبة للمنشور بلغت 37.3%، تلاه موقع زين بنسبة 36.5%ثم MTN 26.2% ، كما تنوع المنشور وشمل كافة عناصر المحتوى مما يمثل مصدر قوة للموقع والمؤسسات.

جدول رقم (3) تحقيق العلاقات العامة لأهدافها للمؤسسات الثلاث عبر Facebook

المضمون	ZAIN		SUDANI		MTN		الإتجاه العام %
	ك	%	ك	%	ك	%	
التعريف بالخدمة والمؤسسة	103	%16	87	%13	229	%50	%24
مواجهة المنافسة	2	%1	4	%1	0	%0	%0
تحسين الصورة الذهنية	428	%67	421	%64	185	%40	%59
تعديل الاتجاهات	34	%5	44	%7	9	%2	%5
المسئولية المجتمعية	72	%11	80	%12	35	%8	%11
أهداف أخرى	0	%0	17	%3	0	%0	%1
المجموع	639	%100	653	%100	458	%100	%100

ركزت المؤسسات على تحسين الصورة الذهنية وذلك بالتركيز على إبراز شعار المؤسسات وعرض المسابقات وتقديم الجوائز والمنوعات مع تقديم البرامج التي تؤدي

إلى تفضيل الموقع والتواصل معه في كل الأوقات، وليست هنالك أهداف لمواجهة المنافسة، وقد تحددت الأهداف الأخرى بنسبٍ معقولة وهو ما يؤكد على وضوح أهداف الموقع .

وتُعد أهداف موقع سوداني الأكثر وضوحاً وتنوعاً بنسبة 37.3% ، ثم يليها موقع زين بنسبة 36.5% ثم MTN بنسبة 26.2%.

جدول رقم (4) التفاعلية (تسجيل الإعجاب) على المنشور في مواقع المؤسسات على Facebook

المضمون	ZAIN		SUDANI		MTN		الإتجاه العام %
	ك	%	ك	%	ك	%	
العروض المتحركة	2,585	%1	3,241	%1	68,029	%59	%11
الإعلان المصمم	9,468	%3	7,476	%3	8,450	%7	%4
الأخبار	276	%0	1,107	%0	300	%0	%0
المسابقات	158,222	%56	203,224	%73	27,445	%24	%56
تقديم الجوائز	8,690	%3	12,853	%5	2,455	%2	%4
التهاني	3,186	%1	13,615	%5	1,687	%1	%3
المنوعات	9,619	%3	22,977	%8	5,183	%5	%6
الاستطلاعات	4,724	%2	8,831	%3	324	%0	%2
المسئولية المجتمعية	83,897	%30	1,728	%1	713	%1	%13
عرض الوظائف	52	%0	675	%0	0	%0	%0

التوعية	482	%1	2,828	%1	329	%0	%1
الاجتماعات	40	%0	146	%0	0	%0	%0
الأحداث الخاصة	134	%0	1,311	%0	0	%0	%0
المجموع	281,375	%100	280,012	%100	114,915	%100	%100

شكلت المسابقات المصدر الأول للإعجابات وهو دليل على فاعليتها وإسهامها الكبير في الترويج، حيث يمكن للمؤسسات الاستفادة منها في التعريف بخدمات المؤسسة وتعهداتها تجاه المجتمع، كما شكلت العروض المتحركة نسبة مقدرة في عرض خدمات وبرامج المؤسسات، أما برامج المسئولية المجتمعية فهي التي تؤدي إلى تحسين صورة المؤسسة عموماً لدى الجمهور وذلك باعتبار أن هذه المؤسسات لا تسعى للربح في المقام الأول.

أدت المنوعات دوراً كبيراً ووجدت الكثير من الإعجاب وهو ما يقود إلى اعتمادها من المضامين الناجحة في الترويج للمؤسسات، كما مثلت نسبة لا بأس بها في نيل إعجاب المشتركين.

وتُعد المنشورات الخاصة بالتوعية وعرض الوظائف والاجتماعات والأحداث الخاصة أقل المضامين تلقياً لإعجاب المشتركين وهو ما يجعل من الضروري اهتمام المؤسسات بتحسين طريقة عرض وتقديم هذه العناصر.

حاز المنشور على موقع زين على أكبر نسبة من تسجيل الإعجاب بلغت 41.6%، تلاه ثانياً موقع سوداني بنسبة 41% ، وجاء موقع MTN في 17.4% المرتبة الثالثة.

جدول رقم (5) التفاعلية (كتابة التعليقات) في مواقع المؤسسات على Facebook

المضمون	ZAIN		SUDANI		MTN		الإتجاه العام %
	ك	%	ك	%	ك	%	
العروض المتحركة	708	%1	4,063	%1	2,290	%8	%1
الإعلان المصمم	2,699	%1	3,796	%1	4,335	%16	%2
الأخبار	99	%0	1,165	%1	80	%0	%0
المسابقات	285,254	%93	243,101	%87	16,596	%59	%88
تقديم الجوائز	6,713	%2	6,075	%2	1,804	%6	%2
التهاني	544	%0	2,557	%1	401	%1	%1
المنوعات	4,275	%1	5,826	%2	1,559	%6	%2
الاستطلاعات	6,596	%2	11,937	%4	577	%2	%3
المسئولية المجتمعية	390	%0	1,808	%1	138	%1	%0
عرض الوظائف	5	%0	299	%0	0	%0	%0
التوعية	127	%0	0	%0	181	%1	%0
الإحتفالات	0	%0	506	%0	0	%0	%0
الاجتماعات	3	%0	32	%0	0	%0	%0
الأحداث الخاصة	0	%0	836	%0	0	%0	%0
المجموع	307,413	%100	282,001	%100	27,961	%100	%100

نالت المسابقات النسبة الغالبة من كتابة التعليقات، وجاءت هذه النسبة بالصورة التي تجعل معها العناصر الأخرى من الضعف بمكان، مع الإشارة إلى أن التعليقات على المحتوى في مرات كثيرة لاعلاقة لها بالمنشور فقد يسأل كاتب التعليق عن خدمة أو مشكلة تواجهه وقد لا يشترك في المسابقة التي يعلق عليها.

وقد وجد المنشور في موقع زين أكبر قدر من التعليقات بنسبة 50%، وتلاه موقع سوداني بنسبة 46% ثم موقع MTN بنسبة 0.4%

جدول رقم (6) التفاعلية (مشاركة المنشور) في مواقع المؤسسات على Facebook

المضمون	ZAIN		SUDANI		MTN		الاتجاه العام %
	ك	%	ك	%	ك	%	
العروض المتحركة	1,787	%3	1282	%1	1,260	%3	%2
الإعلان المصمم	184	%0	425	%0	444	%1	%0
الأخبار	5	%0	309	%0	17	%0	%0
المسابقات	56,032	%94	102482	%96	44,339	%95	%95
تقديم الجوائز	924	%2	466	%0	314	%1	%1
التهاني	134	%0	468	%0	80	%0	%0
المنوعات	709	%1	1637	%2	124	%0	%1
الاستطلاعات	207	%0	530	%1	7	%0	%1
المسئولية المجتمعية	190	%0	97	%0	29	%0	%0

عرض الوظائف	2	%0	154	%0	0	%0	%0
التوعية	28	%0	308	%0	15	%0	%0
الاجتماعات	1	%0	4	%0	0	%0	%0
الأحداث الخاصة	1	%0	182	%0	0	%0	%0
المجموع	60,204	100	108,344	%100	46,629	%100	%100

تمثل مشاركة المنشور أهم أنواع التفاعلية بين الموقع والمشتركين، إذ يعمد المشتركون إلى نشر ومشاركة المحتوى مع الأصدقاء في المواقع الأخرى وهو ما يسهم في عملية الترويج بالصورة المرجوة وبالتالي تحقيق الأهداف الموضوعة للمواقع.

نالت المسابقات النسبة الغالبة من المشاركات وهو ما يؤكد على أهميتها وتفاعل الجمهور معها، لذلك يجب على المواقع أن تحسن من إعدادها وتقديمها بطريقة مبتكرة ومفيدة، وقد جمع موقع سوداني أكبر نسبة من المشاركات بلغت 50% وجاء بعده موقع زين بنسبة 28% ثم في الأخير موقع MTN بنسبة 22%.

جدول رقم (7) االمشتركون في مواقع المؤسسات على Facebook

الموقع	ZAIN	SUDANI	MTN
الفيسبوك	216,987	255,038	191,947

خاصية (الاشتراك) هي خاصية مشابهة لخاصية (الصداقة) لكن تختلف عنها بشيء جوهري، هو أنها من طرف واحد، فإذا كانت الصداقة تربط كلا المستخدمين ببعضهما البعض فيصل إلى كل صديق منشورات الصديق الآخر، فخاصية

الاشتراك هي أن يكون الاتصال من طرف واحد، فتصل المنشورات والإضـــافات الجديدة من طرف إلى طرف واحد فقط وليس العكس، فإذا تم الاشتراك في حساب أحد المستخدمين الآخرين فإن منشوراته وقصصه التي يكتبها ستصل إلى المشترك وتظهر في صفحته أما المنشورات والقصص التي يكتبها المشترك فلن تصل إلـــى صفحة المشترك فيه لأنه ليس مشتركاً في حسابه.

شكل موقع سوداني على الفيسبوك أكثر المواقع جذباً للمشتركين بنسبة 38.5% تلاه موقع زين 32.6% ثم MTN 28.9%.

جدول رقم (8) عناصر التفاعلية في مواقع المؤسسات على Facebook

العبارة	ZAIN	SUDANI	MTN
إتاحة مساحة للتساؤلات	✓	✓	✓
الخدمات الحوارية	✓	✓	✓
المنتدى والمدونات	×	×	×
إجراء المعاملات الإلكترونية	×	×	×
اسم المستخدم وكلمة السر	×	×	×
ربط المحتوى بالمواقع المشابهة	✓	✓	✓
وجود الموقع ضمن الخيارات الأولى للمتصفح	✓	✓	✓
النسبة	57%	%57	%57

اهتمت المؤسسات بإتاحة المساحة للحوارات والخدمات الحوارية وربط الموقع بالمواقع المشابهة ووجود الموقع ضمن الخيارات الأولى للمتصفح، وهنالك قصور واضح في إنشاء المنتدي والمدونات وإجراء المعاملات الإلكترونية واستخدام كلمة السر واسم المستخدم مما يؤدي إلى جعل المواقع أقرب إلى مواقع الدردشة فهي لا تعمل على المحافظة على المشتركين وكسب ثقتهم وتواصلهم بالصورة المرجوة.

تساوت المواقع في عناصر التفاعلية بنسبة بلغت 57% لكل موقع.

الخاتمة

حقق النشر على موقع الفيسبوك مكاسب عديدة لشركات الاتصالات في السودان أهمها اتساع قاعدة المتعاملين مع هذه المؤسسات نسبة للأعداد الكبيرة من المتصفحين والمشتركين في موقع الفيسبوك، فقد عملت المؤسسات عينة الدراسة على تكثيف النشر في هذا الموقع، وتنوعت المادة المنشورة لتغطي معظم الفعاليات والأنشطة والخدمات التي تقدمها المؤسسة للجمهور وذلك وفقاً للأهداف التي سعت المؤسسات إلى تحقيقها، والتي يكون من الصعب شرحها إلى الجمهور بمعزل عن وسائل الإعلام الجديد.

مثلت ميزة التفاعلية مع هذه المواقع الهدف الرئيس للاستخدام لكل مؤسسة، إذ مثل الإعجاب بالصفحة وكتابة التعليقات وإعادة النشر مرحلة مهمة في ضمان تعرض المتصفحين لما نشرته المؤسسات على موقع الفيسبوك والتفاعل معه، وحرصت على تأكيد صورة الشعار في كل المواد المنشورة حتى ترسخ في ذهن المتلقي وبالتالي تبني الخدمات التي تقدمها المؤسسة والتجاوب مع الأنشطة التي عرضت على الموقع.

افتقرت مواقع المؤسسات على الفيسبوك لإجراء التعاملات الإلكترونية وعدم الاهتمام بقياس اتجاهات المشتركين والمتصفحين للتعرف على رغباتهم وتطلعاتهم

من الخدمات التي تقدمها المؤسسة وبناء استمارات لتقصى احتياجات الجمهور الذي يرغب في اختصار الوقت والجهد للحصول على الخدمات عبر مواقع المؤسسة على وسائل الإعلام الجديد، وقد سعت هذه الورقة إلى تعريف المؤسسات بالإمكانيات التي يتيحها موقع الفيسبوك وتحديد مدى استفادة العلاقات العامة في هذه المؤسسات من الموقع لتحقيق الأهداف المرجوة.

النتائج

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

1- أوجدت شبكات الإعلام الجديد مفهوماً جديداً للعلاقات العامة الإلكترونية.

2- تستخدم العلاقات العامة وسائل الإعلام الجديد باعتبارها مراكز إعلامية إلكترونية تنشر فيها المؤسسات الأخبار والأنشطة التي تقيمها للتواصل مع الجمهور.

3- عدم الاهتمام الواضح بعناصر شكل مواقع شركات الاتصالات في السودان على الفيسبوك مما يُعد دليلاً علي عدم جودة مواقع هذه الشركات.

4- تنوعت المادة المنشورة في موقع الفيسبوك للمؤسسات حيث اشتمل المنشور فيه على جميع عناصر المحتوى مما يعني الفائدة الكبيرة التي يجنيها المشتركون وذلك بحصولهم على الأنواع المختلفة من المعلومات عن الخدمات والأنشطة التي تنظمها المؤسسة وبالتالي التفاعل معها بالصورة المرجوة.

5- حقق موقع سوداني على الفيسبوك أعلى نسبة للمنشور ونسبة المشتركين، تلاه موقعا زين ثم MTN.

6- تُعد أهداف موقع زين على الفيسبوك الأكثر وضوحاً وتنوعاً يليها موقع سوداني ثم MTN.

7- حاز المنشور على موقع زين على أكبر نسبة من تسجيل الإعجاب، تلاه موقع سوداني، وجاء موقع MTN في المرتبة الثالثة.

8- حاز المنشور في موقع زين على الفيسبوك على أكبر نسبة من التعليقات، تلاه موقع سوداني ثم موقع MTN.

9- حصل موقع سوداني على أكبر نسبة من المشاركات وجاء بعده موقع زين ثم في الأخير موقع MTN.

10- ركزت المؤسسات على تحسين الصورة الذهنية وذلك بعرض المسابقات وتقديم الجوائز والمنوعات مع تقديم البرامج التي تؤدي إلى تفضيل الموقع والتسجيل فيه.

11-شكلت المسابقات الفئة الأولى لتسجيل الإعجابات وكتابة التعليقات ومشاركة المنشور وهو دليل على فاعليتها وإسهامها الكبير في الترويج.

12- تُعد المنشورات الخاصة بالتوعية وعرض الوظائف والاجتماعات والأحداث الخاصة أقل المضامين تلقياً لإعجاب المشتركين ويجب الاهتمام بها وتقديمها بالصورة التي تحقق أهداف النشر للمؤسسات في السودان.

13-هنالك قصور واضح في عناصر التفاعلية في مواقع المؤسسات مما يجعل هذه المواقع أقرب إلى المواقع الساكنة فهي لا تعمل على المحافظة على المشتركين وكسب ثقتهم وتواصلهم بالصورة المرجوة.

التوصيات

في ضوء ما تقدم من عرض البيانات وتحليل المعلومات يقدم الباحث مجموعة من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تطوير عملية استخدام هذه المواقع ومن أهمها مايأتي:

1- ضرورة الاهتمام بشكل مواقع مؤسسات الاتصالات على الفيسبوك وإضافة العناصر التي تؤدي إلى جذب المتصفحين والمتمثلة في الرسوم والإيضاحات وخدمة الأرشفة وتحديث المحتوى لضمان الحصول على أكبر عدد من المشتركين.

2- من الضروري تنويع المحتوى وعرضه بالطريقة التي تحقق رغبات جميع فئات المشتركين.

3- ضرورة زيادة الاهتمام بالنشر على موقع الفيسبوك بوصفة أكثر المواقع جذباً للمشتركين حيث جاء التفاعل معه كبيراً وهو من أكثر المواقع قدرةً على تحقيق الأهداف الترويجية.

4- العمل على الاستفادة من المسابقات وجعلها أكثر جذباً وذلك لتأثيرها الواضح في عملية الترويج.

5- العمل على معالجة القصور الواضح في إنشاء المنتديات والمدونات وإجراء المعاملات الإلكترونية واستخدام كلمة السر واسم المستخدم بما يؤدي إلى المحافظة على المشتركين وكسب ثقتهم وتواصلهم بالصورة المرجوة .

6- التأكيد على هذه المواقع بدعم التفاعلية والمشاركة الوجدانية للجمهور، وهي السمات المفتقدة في هذه المواقع والعمل بمبدأ الاتصال في اتجاهين لتحقيق الأهداف الترويجية للمؤسسات.

7- التحديث المستمر للمواقع لضمان استمرار التفاعل.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

أبو اليزيد، هناء كمال (2008) الآثار النفسية والاجتماعية لتعرض الجمهور المصري لشبكة الإنترنت، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام.

أحمد، معزة مصطفى (2012) الاتصال التفاعلي عبر الإنترنت وأثره على الشباب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية علوم الاتصال.

الجوهر، محمد ناجي (2013) المواد الإعلامية التقليدية والإلكترونية في العلاقات العامة، الإمارات، دار الكتاب الجامعي.

ساري، حلمي خضر (2008) تأثير الاتصال عبر الإنترنيت في العلاقات الاجتماعية (دراسة ميدانية في المجتمع القطري) مجلة الجامعة، دمشق، المجلد 24، العدد الأول+ الثاني، ، ص 302.

صادق، عباس مصطفى (2011) الاعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال.

علي، نبيل (2000) الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 276 ، الكويت.

علي، ــ نبيل (2010) محورية الثقافة في مجتمع المعرفة: رؤية عربية مستقبلية، كتاب العرب رقم 81، الجزء الأول، الكويت ، وزارة الإعلام مجلة العربي.

اللبان، شريف درويش (2007) الصحافة الإلكترونية – دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

موسى، صالح موسى على (2010) وظيفة العلاقات العامة في الاتصال المعلوماتي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الإعلام.

نصر، مهاب (2010) الفايسبوك صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد انتاج صورته أم تصنع أفقا مغابراً ،(جريدة القيس الكويتية اليومية، العدد 13446،3 نوفمبر.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

Diaz-Ortiz,Claire. (August 30, 2011), Twitter for Good: Change the World One Tweet at a Time, Foreword by Biz Stone, USA: Jossey-Bass; 1 edition.

الهجرة والتغيُّر الاجتماعي بولاية الخرطوم

دراسة حالة: العاصمة القومية الخرطوم

(٢٠٠٠-٢٠١٦م)

فاطمة علي وقيع الله، كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، جامعة بحري

مستخلص

هدفتْ الورقة إلى رصد ظاهرة الهجرة بوصفها عاملاً من عوامل التغيُّر الاجتماعي في صورته السلبية، وقد اتخذتْ ولاية الخرطوم أنموذجاً تنطبق عليه الدراسة لأنَّها مِنْ أكثر المجتمعات التي تعاني من الهجرة من الريف إلى الحضر، كما أنَّ الخرطوم –العاصمة القومية– من أكثر العواصم التي تستقبل الهجرة بمعدَّلات عالية. اعتمدت الورقة على أداة الملاحظة وعلى مجموعة من الدراسات الإحصائية التي تمَّتْ في مجال الهجرة كوسائل لجمع البيانات، وعلى الدراسات الاجتماعية بصفة خاصة كإطار نظري، كما اعتمدتْ على كلٌ من منهج دراسة الحالة، والمنهج الوصفي التحليلي لتفسير وتحليل الظاهرة، وقدْ ركَّزتْ الورقة على كلٌ من العامل الديموغرافي والتعليم كعاملين مرتبطين بالهجرة في إحداثها للتغيُّر الاجتماعي. تمَّ التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها: كثرة أعداد المهاجرين إلى الخرطوم أدَّتْ إلى ازدحام المساكن، وانتشار ظاهرة السكن العشوائي، وارتفاع الإيجارات وتدنِّي الخدمات في مجال الصحَّة والتعليم والمياه والصرف الصحي والمواصلات، وانتشار مرض الملاريا والتايفويد وأمراض الطفولة (كالحصبة والإسهالات والشلل). إنَّ استمرار الهجرة من الريف للخرطوم أدَّى إلى ظاهرة البطالة في كلٌ منهما؛ فالمصانع في الخرطوم لا تستطيع استيعاب كل المهاجرين، ويترتَّب على ذلك التفكُّك الأُسري وانحراف الأحداث والدعارة. وفي الريف قلَّ الإنتاج الزراعي بسبب فقد الأيدي العاملة مما يؤدِّي إلى ارتفاع أسعار الغذاء، كما يعاني بعض

المهاجرين من الصعوبات النفسية لاختلاف ثقافتهم عن ثقافة الخرطوم كمجتمع حضري، ويُلاحظ انتشار ظاهرة التسرُّب المدرسي في الريف بصورة واضحة. أوصتْ الورقة بأنْ تستعين الدولة وصانعي القرار بالمختصين في مجال دراسات الهجرة في التخطيط لمعالجة الآثار السالبة للهجرة الريفية الحضرية، وكذلك إنشاء معاهد متخصِّصة في دراسات الهجرة لمعالجة الآثار الناجمة عنها.

Abstract

The paper aims to focus on migration phenomena as a factor of social change in its negative aspect .It takes Khartoum State as a model to study, because it is one of the most societies which are suffering from internal migration (from rural to urban area) .Also Khartoum is a suitable area to apply on, because it is considered as the most states which receive high rate of migration. The paper adopted on observation and previous statistical studies, and specifically in social practical studies, as a theoretical frame work, also takes case-study and the descriptive analysis method to explain and analyze the phenomena. Demography and education had been discussed as the main factors which related to migration and cause of social change. The findings of the paper are: The greater number of immigrants lead to: housing crowded, and rising housing rents, lack of health services, education, transportation, lack of safety water, sewage, spread of diseases such as malaria ,tuberculosis and pediatric(such as measles, diarrhea and paralysis) .The continuous migration lead to unemployment at both Khartoum and country side, that factories in Khartoum cannot absorb all immigrants, so that the lack of income lead to a disintegrating of family ,juvenile delinquency and prostitution. On the other hand the lack of population in the country side may have a negative effect on the agricultural production, because the agriculture needs labor force, so the food price will rise. The immigrants may face psychological difficulties because they come from different cultures; also the school dropout is so noticeable in the country side. The paper recommended that: The government and decision makers will consult professional persons in planning to put a plan for solving the negative impact of rural –urban migration and to establish specialized institutions for migration studies to solve the migration problems.

مقدمة

يتميَّز السودان بموقع جغرافي جعله يستقبل العديد من الهجرات عبر الزمن، وقد أدى ذلك بصورة واضحة إلى التنوُّع العرقي والقبلي والثقافي الذي أصبح سمة

يتميَّز بها البناء الاجتماعي للمجتمع السوداني؛ الأمر الذي يعنى أن الهجرة تُعد من العوامل الفعّالة في إحداث التغيُّر الاجتماعي في السودان، وهذا ما ستتناوله الدراسة مركزةً على الهجرة من الريف للحضر لأنها الأكثر إيقاعاً وبالتالي تُعد نتائجها أكثر وضوحاً (حيثُ يتمْ التعرُّض للنتائج السلبية للهجرة معبِّرةً عن التغيُّر الاجتماعي في صورته السلبية). وقد تمَّ الاعتماد على كلٍ من الملاحظة والدراسات الإحصائية التي تمَّت في مجال الهجرة كوسائل لجمع البيانات، وقد جعلتْ الدراسة من الدراسات الاجتماعية إطاراً نظرياً يفسِّر الظاهرة، واُسْتُخدم كلٌ من منهج دراسة الحالة، والمنهج الوصفي التحليلي كمنهجين لتفسيرها وتحليلها. وتمَّ التركيز على الهجرة من الريف للحضر لأنَّها من أكثر الظواهر التي تلعب دوراً في إحداث التغيُّر الاجتماعي بشتَّى صوره. اتخذتْ الدراسة من ولاية الخرطوم مجالاً للدراسة في الفترة من ٢٠٠٠–٢٠١٦م؛ لأنَّها من أكثر المجتمعات التي تشهد تيارات للهجرة بمعدلات عالية، كما أنَّ الخرطوم العاصمة القومية تُعد المستقبل الأول للهجرة من الريف السوداني إنْ لم تكنْ الأوحد. ومن هنا كان لا بد من التعرُّض لظاهرة الهجرة من حيث التعريف والمفاهيم والأنواع، وكذلك للعوامل التي تدفع بالسكان بالهجرة من الريف للمدينة، وعلاقتها بالنمو الديمغرافي والتعليم كعاملين متداخلين في إحداث التغيُّر الاجتماعي، ومن ثم التعرُّض للنتائج التي تترتب على ذلك.

مشكلة الدراسة

تتمثَّل مشكلة الدراسة في أنَّ الهجرة من الريف للحضر تعد أحد عوامل التغيُّر الاجتماعي في السودان متداخلة مع عوامل أخرى كالعامل الاقتصادي والسياسي والتكنولوجي والديمجرافى والتعليم، وبما أنَّ التغيُّر الاجتماعي يحمل الوجهين الايجابي والسلبي فإنَّ الدراسة تركِّز على الوجه السلبي، ونسبةً لأنَّ العامل الديمغرافي والتعليم من أكثر العوامل المرتبطة بالهجرة التي تُحدِثْ تغيُّراً ملموساً

في كلٍ من الريف والحضر ونسبةً لأنَّ الخرطوم العاصمة القومية هي الأكثر استقبالاً للهجرة، فإنَّ الانعكاسات السلبية للهجرة تبدو فيها بوضوح، ومن ضمن هذه الانعكاسات ظاهرة السكن العشوائي والتسول وانحراف الأحداث والبطالة وانتشار الأمراض المتوطنة، كما أنَّ تيار الهجرة المستمر من الريف يترك آثاراً سلبية فيه تتمثل في قلة الإنتاج الزراعي بسبب نقص الأيدي العاملة وانتشار البطالة والتسرب المدرسي، وكل هذا يعبِّر عن التغيُّر الاجتماعي في صورته السلبية، وهذا ما تسعى الدراسة لبيانه من منظور اجتماعي.

أهداف الدراسة

١/ الوقوف على الظواهر الاجتماعية السالبة التي تترتب على الهجرة الريفية للخرطوم.

٢ / الوقوف على العوامل التي تدفع بالهجرة من الريف للحضر.

٣/ لفت الانتباه إلى ضرورة الحد من تيار الهجرة من الريف للخرطوم، وذلك بإعادة تأهيل المشاريع الإنتاجية في الريف وتطويرها، وكذلك توفير الخدمات الصحية والعلاجية حتى لا يضطر المواطن في الريف إلى الانتقال إلى العاصمة الخرطوم والاستقرار فيها.

أهمية الدراسة

1/ ربط الجانب النظري بالواقع التطبيقي في الدراسات السوسيولوجي.

2/ لفت الانتباه إلى أهمية الدراسة العلمية لظاهرة الهجرة مما يساعد الدولة على وضع الاستراتيجيات التي تحد من الظاهرة

الأسئلة التي تستند عليها الدراسة

١/ ما هو الدور الذي تلعبه الهجرة في إحداث ظاهرة التغيُّر الاجتماعي في صورته السلبية.

٢/ ماهى أكثر العوامل ارتباطاً بالهجرة في إحداثها للتغيُّر الاجتماعي في كل من الريف السوداني والخرطوم العاصمة القومية.

٣/ ما هي الظواهر السالبة التي ترتبط بالهجرة في كل من الريف والخرطوم.

المنهج المستخدم ووسائل جمع البيانات

اتبعت الدراسة منهج دراسة الحالة، والمنهج الوصفي التحليلي، حيثُ إنَّ الخرطوم تمثِّل حالة تتجلَّى فيها ظاهرة الهجرة بوضوح الأمر الذي يجعل كلٌ من المنهجين مناسباً لدراستها ووصفها بغرض تفسير الظاهرة والنتائج التي تترتب عليها، كما تمَّ الاعتماد على كلٍ من الملاحظة والدراسات الإحصائية التي تمَّتْ من قِبَل جهات رسمية كوسائل لجمع البيانات، وعلى الدراسات الاجتماعية التي تمَّتْ في مجال الهجرة لتفسير وتحليل الظاهرة.

تعريف الهجرة

عُرِفَتْ الهجرة بأنَّها (انتقال أفراد من الناس من بلد إلى آخر للبحث عن الكسب، أو للبحث عن أعمال يدوية أو خدمات عقلية، وأنْ يقيموا في هذا البلد مدة تكفي أنْ يتداخلوا مع أهله؛ فالمهاجر إذاً هو الشخص الذي ينتقل إلى بلد آخر ليقيم فيه. فالدافع الأساسي لهجرة الإنسان هو رغبته في تحسين حاله ومعيشته (العمودي، ١٩٩٤).

كما عرَّفتها الأمم المتحدة معتمدةً على عامل الزمن، حيثُ حدَّدتْ الحد الأدنى للمدة التي يقضيها المهاجر في منطقة الوصول بستة أشهر حتى يُعد الشخص مهاجراً. ويمكن تصنيف الهجرة على ثلاث أسس هي: من حيث المكان الذي يتم الانتقال إليه (هجرة داخلية وخارجية)، من حيث إرادة الشخص المهاجر(هجرة اختيارية أو إجبارية)، من حيث معيار الزمن (هجرة دائمة أو مؤقتة) (وزارة رئاسة مجلس الوزراء، ٢٠٠٦).

وُجِدتْ الهجرة عند الشعوب القديمة، فقد وصف موريه في كتابه (من البطون إلى الإمبراطوريات) كيف كانت مصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى والشرق الأوسط مواضع تنشط فيها الهجرة. وتيارات الهجرة في العهد القديم كان يسودها في الغالب المسحة السياسية، أي أنَّ الهجرات بُنيتْ على الغزو والفتح وتعمير الحدود بين المجتمعات. وتُعد مثل هذه الهجرات هجرات عنيفة لم تحدث إلَّا في أوقات معيَّنة من التاريخ (العمودى، ١٩٩٤). ونستدلُ من هذه التعاريف أنَّ الإنسان يسعى إلى تغيير حاله من خلال الهجرة، فالهجرة إذاً من العوامل التي تحدث تغيُّراً اجتماعياً مرتبطةً بعوامل أخرى داخل النسق الاجتماعي الكلي.

هناك مفاهيم أساسية ترتبط بمفهوم الهجرة هي

١/ المهاجر وهو الشخص الذي تغيَّر مكان تسجيله في التعداد عن مكان ولادته، فالمهاجرين هم الذين أقاموا عدة سنوات في مكان مختلف عن مكان إقامتهم يوم التعداد.

٢/ النازحين: عرَّفتهم الأمم المتحدة بأنَّهم أولئك الذين أُجبِروا على الفرار من ديارهم فجأة أو بصورة غير متوقعة وبأعداد كبيرة (نتيجةً للصراعات أو النزاعات الداخلية أو انتهاكات حقوق الإنسان أو الكوارث الطبيعية) وكل ذلك داخل حدود الوطن.

٣/ اللجوء: اللاجئ هو من لاذَ بغير وطنه خوفاً على حياته أو فاراً من الاضطهاد بسبب العرق أو العقيدة أو الاختلافات السياسية أو لأسباب أخرى مشابهة، حيثُ يعبر الشخص الحدود السياسية لوطنه ويوفِّر له البلد المضيف الحماية والظروف المعيشية التي تمكِّنه من الاستقرار إلى حين أنْ تتهيأ الظروف المناسبة لعودته لوطنه (وزارة رئاسة مجلس الوزراء، ٢٠٠٦).

يُعد الإنسان أوسع الكائنات الحية انتشاراً، فهو على مر التاريخ لمْ يثبتْ في بيئة واحدة ولمْ يستقرْ في مكان واحد؛ غير أنَّ هذا الانتشار والانتقال يتم بصور مختلفة وتحت ظروف مختلفة أيضاً الأمر الذي تنج عنه أنواع مختلفة من الهجرة (الجوهري، ١٩٨٤). وبذلك يكون لدينا نوعين من الهجرة هما:

أ- الهجرة الخارجية: وهي بين الدول وبعضها، حيث يتحرك السكان عبر الحدود السياسية الدولية إلى مسافات بعيدة، وتختلف الهجرة الخارجية عن الداخلية من حيث الصعوبات التي تواجه كلٌ منهما، فالهجرة الداخلية أسهل من الهجرة الخارجية لأنَّ الانتقال عادةً يكون لمسافات قصيرة، كما أنَّ صعوبات الدخول والخروج لا تعترض المهاجر لأنَّ الهجرة تتم داخل حدود الدولة، كذلك لا يُواجَه المهاجر بحاجز اللغة الذي غالباً ما يواجهه المهاجر من دولة إلى أخرى (البلولة، ٢٠١٦).

ب – الهجرة الداخلية: والتي تكون في داخل الدولة وقدْ تكونْ هجرة من قرية لمدينة صغيرة أو من مدينة صغيرة لمدينة كبيرة أو هجرة من المدن الكبيرة إلى المدن المتروبولوينات (أي المدن التي توجد حول المدن المركزية وتمدها ببعض الخدمات كالخضر والفواكه). والذي يهم في هذا الموقف هو الهجرة الداخلية، وبالتحديد الهجرة من الريف للحضر، لأنَّ هذه الدراسة في أصلها تقوم على رصد التغيير في مجتمع حضري تكوَّنَ سكانه نتيجةً لهجرة أفراد من مجتمعات ريفية.

يلاحظ أن ظروف الهجرة تختلف من بلد لآخر، وبالتالي يرتبط نوع الهجرة بالظروف التي دعت لها، فهناك مثلاً الهجرة الطوَّافة والتي تمثِّل الأشخاص الذين يهاجرون من مدينة إلى أخرى يحاولون في يأس تثبيت أقدامهم في أيٍّ منها. وهناك الهجرة (الانتخابية)، فهناك انتخاباً من حيث النوع فالذكور، مثلاً أكثر تحركاً في الهجرة من الريف للمدينة في البلاد الآسيوية والأفريقية وأن النساء يتفوَّقن (ولو

قليلاً) على الذكور في الهجرة للمدن في أمريكا اللاتينية وكذلك أمريكا الجنوبية باستثناء هنود الإنديان، حيثُ يتفوق الذكور على الإناث في الهجرة. وهنالك الهجرة الانتخابية من حيث درجة التعليم، ففي الهند مثلاً نجد أن الأشخاص الأرقى تعليماً هم الذين يهاجرون بأعداد أكبر من سواهم. ومن أنواع الهجرة هنالك الهجرة المؤقتة أو الموسمية، ففي كثير من بلاد العالم نجد أنَّ الفترة الطويلة بين زرع المحصولات وحصدها تتيح فرصة الهجرة المؤقتة إلى المناطق الحضرية، ومن أنواع الهجرة المؤقتة تلك التي تتراوح بين أسابيع قليلة وعدة شهور أو حتى بضع سنوات كهجرة الشبان الذين يهاجرون بمقتضى عقد لقضاء فترة محددة سلفاً للعمل (الجوهري وشكري، ١٩٩١).

من المهم تحديد النقطة الزمنية التي لعبت فيها الهجرة دوراً كبيراً في تشكيل سكان السودان الحاليين، فقد اتفق معظم الكتَّاب على أنَّ دخول العرب والإسلام في النصف الأول من القرن السابع الميلادي قد غيَّر من الخارطة السكانية وذلك لأن تيار الهجرة كان قوياً، فقد كانت هناك ثلاث مجموعات عرقية أساسية تشكَّلت على النحو التالي:

١/ النوبيون: وهما مملكتا المقرة وعلوة المسيحيتان، وتمتدان من جنوب مصر إلى أواسط السودان، وقد أثبتتْ الحفريات التي أُجريت في وادي حلفا في الخمسينات من القرن العشرين (عند بناء السد العالي) أنَّ الإنسان النوبي قد أقام في المنطقة منذ حوالي خمسين ألف سنة (الباشا، ١٩٩٨).

٢/ قبائل البجة: وهي مجموعة عرقية متميزة تنتمي إلى العنصر الحامي وتحتل المناطق القاحلة بين النيل والبحر الأحمر، ويُعتقد أنَّ البجة قد حلَّوا محل جنس قديم يعيش على الصيد أقام في المنطقة قبل أربعة ألف عام، غير أنَّ هجرة السبأيين

للمنطقة من جنوب الجزيرة العربية قبل حوالى١٠٠٠ عام من أهم الهجرات التي تركت آثاراً واضحة في قبائل البجة (الجنوبية) على وجه التحديد (الباشا، ١٩٩٨).

٣/ الزنوج: يُعتقد أنهم كانوا يحتلون الجزء الأكبر من السودان امتداداً من أواسط السودان إلى غربه وجنوبه، ولمْ يتمْ التمكُّن من تحديد التاريخ الذي ظهر فيه العنصر الزنجي في السودان، غير أنَّ أحد الكتاب يرى أنَّ العنصر الزنجي قد بدأ يتزايد في أفريقيا قبل ٧٠٠٠عام (الباشا، ١٩٩٨).

في العهد القريب من تاريخ الهجرة نجد أنَّ الهجرات التي تدفقت من غرب أفريقيا والتي كوَّنتْ سكان السودان الحاليين قد بدأتْ في القرن التاسع عشر الميلادي لما صاحبه من تغيُّرات سياسية واقتصادية واجتماعية، تمثلت في الاستعمار الغربي وإقباله على السودان لما وجده من موارد وللسهولة التي وجدها عند دخوله السودان (البلولة، ٢٠١٦). وبانتهاء الحرب العالمية الثانية حدث تدفق لسكان السودان من الريف للمدينة للعمل في المصانع المستوردة من أوروبا كالصابون والزجاج والحلوى، وقد تزايد تدفق الريفيين للمدن بعد الاستقلال نتيجةً لحركة التصنيع والمشاريع المتعلقة باستغلال مياه النيل ومد خطوط السكة حديد، حيث جذبتْ المدينة الريفيين نتيجة لتوفر خدمات الصحة والتعليم والترفيه، كما أنَّ تطور أساليب الزراعة أدى إلى فائض عمالة مما اضطر الريفيون للزحف نحو المدن (مارزي، ١٩٦٨). وقد عالج ماكس فيبر موضوع الهجرة علاجاً وظيفياً، حيث كان يرى أنَّ من أهم وظائف المدينة الوظيفة التسويقية، فهي المكان الذي يتسوق فيه القرويون ويبيعون ما يفيض من غلال. كما أوضح فيبر أنَّ الريف وإنْ كان في فترات تاريخية يحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة لتأمين الغذاء إلَّا أنَّ التطورات الصناعية والازدهار الاقتصادي مكَّن من تقليل الاعتماد على هذه الأيدي الكثيرة وجعل المدينة مكاناً أفضل للسكن مما أدى إلى بداية الاتجاه نحو التوازن السكاني بين

الريف والحضر (العمودى، ١٩٩٤) وكل هذا يدخل في إطار تفسير النظرية البنائية الوظيفية للتغيُّر الاجتماعي من خلال فكرة أنَّ الصراع هو عامل لإحداث التوازن في المجتمع. فالهجرة تُحدِثْ صراعاً على الموارد وانتقالاً من مكان لآخر، مما يخلق في النهاية توازناً، ويصاحب ذلك تأثيراً مُحدِثاً مع عوامل أخرى تغييراً اجتماعياً ثقافياً. كما نجد أنَّ (زمل) من أوائل علماء الاجتماع الذين أبدوا اهتماماً بما قد تنطوي عليه علاقة المهاجر بالمدينة وكيف يعامله المجتمع المضيف، فالحياة في المدينة تشكل ذهنية خاصة يتميَّز على أساسها سلوك وطراز حياة السكان، ومن ثم يجد المهاجر إليها أساليب وأنماط حياة مختلفة عما تبدو عليه (العمودي، ١٩٩٤). على أنَّ الأمر الذي يهم هنا والذي على درجة من الأهمية والصلة بموضوع الدراسة هو شخصية المهاجر ومدى تأثيره في سكان الحضر. فعند دراستنا لسكان الحضر علينا أن نتذكر أن المهاجرين يتدفقون إلى المدن من أماكن لها ثقافتها الخاصة التي قطعت شوطاً بعيداً في سبيل الرقي والكمال، حيثُ يحمل هؤلاء المهاجرون الكثير من عناصر تلك الثقافة معهم إلى المدينة دون أن يدركوا إلى أي حد سيحاولون رفضها والتخلص منها، فليس هؤلاء المهاجرون بالشخصيات الهامشية التي لا وزن لها ولا هم عجينة طيِّعة سهلة التشكيل، فهم يقدمون إلى المدينة بمخزون من التراث القبلي الريفي وبأساليب مستقرة وأنساق للضبط الاجتماعي وأساليب للتواصل الاجتماعي، وهي أشياء ليس من السهولة أن تموت في البيئة الحضرية. وهكذا فإن المهاجر يجد قدراً من الاستجابة لثقافته القديمة كما يعاني من صراعات وتوترات مع البيئة الحضرية الجديدة وكذلك مع الأدوار التي يؤديها.

ترجع حركة الهجرة من الريف للمدن لعدة أسباب أهمها

١. ازدهار الصناعات الكبرى في المدن (العمودي، ١٩٩٤)، وارتفاع أجور العمال مما يجذب الأفراد للعمل فيها فبقيام الصناعة تبدأ جموع المهاجرين من الريفيين بالزحف للمدينة بحثاً عن الرزق الأوفر والحياة الأرغد، بجانب التحرر والتفكك من قيود التقاليد في البيئات المحافظة، ولكنه في نفس اللحظة يجابه الكثير من المشاكل ويجد نفسه أمام كثير من الالتزامات، كما أنَّ المكان يجد نفسه في التزام نحو توفير المزيد من الخدمات.
٢. تُعد المدن مراكز للإدارة ومقراً للنشاط العملي ومحوراً للحركات السياسية.
٣. الرغبة في الحصول على عمل وأجر منتظمين.
٤. الهرب من انتقال بعض الخصوم أو من اضطهاد ذوي النفوذ.
٥. كثرة الملاهي وسبل التسلية والترويح عن النفس بالمدينة.
٦. تعد المدن مراكز هامة للتجارة وكذلك مراكز للبورصات وأسواق البضائع.
٧. أنَّها بصفة عامة مراكز للحركات السياسية والتجارية والثقافية وغيرها من المظاهر الاجتماعية.
٨. تقدُّم سبل المواصلات والاتصالات وسهولتها في المدن.
٩. تؤدي بعض الكوارث كجفاف الأرض أو الفيضانات أو السيول أو هجوم النمل الأبيض إلى خروج الريفيين من قراهم واستيطانهم في مناطق جديدة، وقد كان الجفاف والتصحُّر الذي ضرب غرب السودان في الثمانينات من القرن العشرين من أهم العوامل التي أدت لهجرة سكان الريف للمدن، كما أنَّ الحرب التي دارت رحاها عبر عقود من الزمان بين شمال وجنوب السودان في الفترة من خمسينات القرن الماضي وإلى العام ٢٠٠٥م، حيث أوقفت الحرب بموجب اتفاقية نيفاشا للسلام، وكذلك الحرب التي تدور حتى

الآن في كلٍ من دارفور وجنوب كردفان تلعب دوراً واضحاً في تدفق النازحين نحو الخرطوم.

١٠. يهاجر بعض شباب الريف إلى المدن هرباً من سيطرة الوالدين أو رغبةً في تغيير نمط حياتهم.

١١. هناك من هاجر من الريفيين من قبل للمدينة وحققوا نجاحات دفعت بهؤلاء الريفيين للهجرة للمدينة للبحث عن فرص أفضل للعمل والعيش.

١٢. فى السودان نجد أنَّ الجفاف والتصحر الذي ضرب معظم المناطق الريفية دفع بالسكان في كل من القطاعين الزراعي والرعوي (في الثمانينات) إلى الزحف نحو المدن وفى مقدمتها الخرطوم.

لكن ليس معنى ذلك أن يتوافق الفرد مع البيئة الجديدة ويتكيف معها، والشواهد على ذلك كثيرة منها ارتفاع معدلات الجريمة والانحراف- الأمر الذي يتطلب زيادة قوات الأمن وتطورها لتتماشى مع تطور الجريمة- وزيادة الضغط على المساكن يعني ازدحامها مما يؤدي بالتالي إلى قيام بيوت الكرتون (مثلاً الامتدادات الغير مشروعة في القرى المجاورة للعاصمة الخرطوم)، ولا شك أنَّ ذلك سيؤدي إلى المزيد من الأمراض والبيئة غير الصحية، وهذا واضح في الجانب العلاجي أكثر من غيره إلى حدٍ ما، والسبب في ذلك بالطبع هو زيادة السكان عن طريق الهجرة الداخلية وزيادة معدل المواليد وتوزيعهم الديمغرافي المرتبط بالمراكز الحضرية، مما يخلق عدم التوازن بين زيادة المرصود من المبالغ للخدمات وبين الزيادة في عدد السكان وسيظل الحال هكذا إلى أن تحل مشكلة الهجرة.

عموماً فأسباب الهجرة من الريف للمدينة ترجع في أساسها لعوامل اقتصادية واجتماعية أو ثقافية أو ترفيهية أو صحية وأحياناً لأسباب سياسية، والهجرة تعبر

عن نفسها فيما تحدثه من تغيُّر اجتماعي من خلال الآثار التي تترتب عليها والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١. نقص عدد السكان في الريف قد يؤثر على الإنتاج الزراعي تأثيراً سلبياً لأنَّ الزراعة تفقد بذلك الأيدي العاملة التي تحتاج إليها ويترتب على ذلك نقص الإنتاج الزراعي وارتفاع أسعار المواد الغذائية الضرورية لحياة الفرد بصفة خاصة، لما لذلك أثره على نفقات المعيشة بالنسبة للفئات المحدودة الدخل (الجوهرى، ١٩٨٤).

٢. إن استمرار هجرة الأفراد من الريف للمدن بصفة متزايدة يؤدي للبطالة في المدن لأنَّ الصناعات لا تستطيع أن تستوعب كل الأفراد المهاجرين، وقد يترتب على هذه البطالة انحراف بعض الأفراد أحياناً أو تصدع الأسرة (الجوهرى، ١٩٨٤).

٣. يمتاز المجتمع الريفي بالالتفاف حول الذات ويخضع لسلطات العادات والتقاليد، والحياة فيه غير معقدة وتسود علاقات الوجه للوجه وظواهر التعاطف والتوادد الوجدانية قوية بين أفراده، كما تمتاز الأسر الريفية بالتعاون الجماعي والتماسك، في حين أنَّ الحياة في المدينة تختلف عن الريف فهي ذات مقومات حضارية من طابع خاص يسودها التقدير التقليدي، وتنتشر بينها تيارات الأنانية ويضعف أثر العادات والتقاليد ويقوى أثر القانون الوضعي أكثر من العرف ومن هنا يجد المهاجر تناقضات عنيفة يعجز معها عن التكيُّف مع حياة المدينة مما يؤدي أحياناً إلى الوقوع في صراع نفسي وقلق ونوع من عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي (الجوهري، ١٩٨٤).

فالمهاجر لا ينبغي عليه أن يعيش جسمانياً فحسب بل عليه أن يحافظ على كيانه في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الغريبة عليه إلى حد بعيد، ومن المستحيل عليه أن يمزق أواصره بسهولة ببيئته القديمة ونجده مزوداً ببعض المعايير التي يقرر على أساسها أي أنماط الثقافة الجديدة يمكن أن يتبناه وأيُّها يرفضه. غير أنَّ مجرد الوجود الجسماني في المدينة لا يعني بالضرورة مشاركة الفرد في الحياة الحضرية، فالمهاجر قد يعيش في المدينة ولكنه لا ينتمي إلى تلك المدينة أي لا يندمج فيها اجتماعياً فعلاً فقد تكون علاقات المهاجر محدودة إلى أبعد حد وخاصةً في الفترة الأولى من إقامته في المدينة وذلك لقلة خبرته بأسلوب الحياة الحضرية وكذلك لقلة ثقته بها، وهذا قد يعزله بشدة عن معظم جوانب حركته ويحده (الجوهري وشكرى، ١٩٩١)، ومن شأن هذا أن يؤدي به إلى نوع من العزلة الذي يفرضه على نفسه بنفسه، ويرجع ذلك إلى أنَّ كثيراً ممن حوله قد جاءوا من قبائل مختلفة أو من مناطق جغرافية مغايرة ينتمون إلى ثقافات يتخذ هو معها موقفاً حذراً بطبيعته ونتيجة لهذا تظهر أحياء يشغلها بأكملها أو معظمها الأشخاص القادمون من إقليم معين أو قبيلة معينة أو ينتمون إلى تراث ثقافي مشترك، والشواهد على ذلك كثيرة في العاصمة الخرطوم (كحي الدناقلة بالخرطوم بحري).

نجد أن إعادة تنشئة المهاجر الريفي لتكيفه مع أسلوب الحياة الجديد تتم بشكل متفاوت تبعاً لسرعة تغيُّر بعض الأساليب الحضرية بالذات، فقد يتقبل المهاجر مثلاً العلاقات المالية الحديثة ولكنه يظل محافظاً على الاستعانة برجال الطب القبلي البدائي عند الحاجة. ومن الممكن أن تؤدي الصراعات بين تلك الاختلافات في مدى تقبل المهاجر للأساليب والعادات الحضرية إلى تعرُّضه للضغوط والاضطرابات والصراعات النفسية. وقد ينجذب المهاجر نحو نظرائه الآتين من الريف بعيداً عن القيود والضوابط القروية والقبلية التي كان خاضعاً لها، وقد يبدو أنَّ أمام المهاجرين

من الريف للمدينة فرصة سانحة للإفلات من التدرج الطبقي المغلق الموجود في قريته الأصلية (الجوهري وشكري، ١٩٩١).

الهجرة والعامل الديمغرافي

ترتبط الهجرة بالعامل الديمغرافي، والذي يعني تغير حالة السكان في المجتمع من حيث الكثافة التي ترتبط بدورها بعوامل كثيرة أهمها حالة الجو ودرجة خصوبة الأرض، وما تشتمل عليه في باطنها من المعادن وتوفر فرص العمل الإنساني وزيادة نسبة المواليد على الوفيات ودرجة الجودة التناسلية وكذلك تيارات الهجرة، ولمَّا كانت الهجرة من العوامل الهامة التي تلعب دوراً في اختلاف معدلات النمو السكاني من مجتمع لآخر حيث تمثِّل الزيادة غير الطبيعية في السكان، فهي إذاً تلعب دوراً مؤكداً في تغيير خارطة المجتمع الاجتماعية والاقتصادية فالوافدون (خاصةً إذا أتوا بأعداد كبيرة)، فهم لا شك سيؤثرون سلباً على كفاءة الخدمات الاجتماعية التي تقدم سلفاً للسكان سواء كانت تلك الخدمات تتعلق بالتعليم أو الصحة أو الكهرباء والمياه مما يخلق درجة من الضغط على هذه الخدمات.

إنَّ الاحتمالات المتاحة أمام الدارسين فيما يتعلق بعلاقة النمو السكاني بالنمو الحضري تتمثل في احتمالين: إما أن يكون النمو السكاني راجعاً إلى زيادة عدد المواليد على عدد الوفيات (أي الزيادة الطبيعية) في الحضر عنه في الريف، وإما أن تكون هنالك حركة سكانية من القرية إلى المدينة، فبالنسبة للاحتمال الأول فأهميته ما تزال محدودة فقد ظلت المدن الغربية تعاني لفترة طويلة من القرن التاسع عشر من ارتفاع معدل الوفيات بسبب الأوبئة التي كانت منتشرة، حتى أنَّ بعض الدارسين قد قدروا أن متوسط العمر في المدن سنة ١٨٤١م لم يتعد ستة وثلاثين عاماً وستة وعشرين عاماً في ليفربول ومانشستر، غير أنَّ زيادة الاهتمام بالصحة العامة منذ ١٨٥٠م قد أسهم بعد ذلك في انخفاض معدلات الوفيات بوجه

عام، كما أنَّ التقدم التكنولوجي قد أسهم في تحسين الظروف الطبيعية للعمل مما رفع من متوسط الأعمار ونستنتج من ذلك أن الحركة السكانية ممثلة في الهجرة من الريف للمدينة هي السبب في النمو السكاني في الحضر (الحسيني، ١٩٨٥).

فالهجرة من العوامل القوية التي تلعب دوراً كبيراً في ازدياد سكان الحضر، وذلك من خلال عوامل الجذب والطرد؛ حيث أن الشواهد تشير إلى أنَّ قوة الطرد للظروف الريفية القائمة هي التي توحي إلى سكان الريف بأنَّ الأمور قد تكون أفضل في المدينة. وهناك عوامل ذات طبائع متباينة تؤثر في الهجرة إلى المناطق الحضرية فنظام ملكية الأرض، مثلاً يؤدي إلى تفتيت الأرض باستمرار من خلال التوريث لأكثر من جيل، أو إذا كان بناء الأسرة من ذلك النوع الذي يؤدي فيه حق البكور إلى استبعاد الأبناء الصغار بواسطة الابن الأكبر الذي يرث كل شيء، فإننا نجد عندئذ أنَّ القدرة على البقاء تتأثر أو تنعدم فعلاً مما يترتب عليه زيادة عدد الأفراد الذين يحتمل أن يهاجروا إلى المناطق الحضرية، وهذا ما ينطبق على الريف السوداني في شماله وبدرجة واضحة على الريفيين الذين يمارسون الزراعة على شريط النيل الضيق والذين مع تزايد عدد أفراد الأسرة على الأرض التي يمتلكونها يضطرون إلى ترك الزراعة والهجرة للعاصمة.

من بين العوامل الطاردة التي تجبر سكان الريف على الهجرة إلى المناطق الحضرية التضخم السكاني في المناطق الريفية والذي من نتائجه نقص كمية الطعام أو العمل المتاح وتضاؤل فرص الحصول على الأرض التي يمكن فلاحتها والعيش منها، وكذلك تضاؤل فرص العمل في الحكومة والمؤسسات التي قد لا تتسع بالمعدل المناسب للزيادة في عدد سكان الريف، كما أنَّ الطبيعة الموسمية للعمل الزراعي تنطوي عادةً على فترة فراغ بين زراعة المحصولات وحصدها مما يتيح تلقائياً فرصة الهجرة إلى المدينة إذا لمْ يكنْ هناك عمل في مجال آخر. ومن عوامل

الجذب السكاني نحو المدينة المعلومات التي تروِّج عن المزايا والتي قد تكون مزعومة والتي تصف الحياة في المدينة بالسهولة والرفاهية مثل الطرق المرصوفة الجيدة ووسائل الاتصال وممثلوا الحكومة الذين يتحركون وسط الريف وغير ذلك من مؤثرات الاتصال التي تؤثر إلى حد بعيد في طبيعة ونوعية المعلومات التي ترد إلى المناطق الريفية عن المدينة (الحسيني، ١٩٨٥).

بل وقد تكون هنالك بعض عناصر السياسة القومية المسئولة عن حركة السكان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، فقد يؤدي مثلاً الأخذ بالزراعة الجماعية في بعض الحالات إلى خلق فائض في العمالة في المناطق الريفية مما يحمل الناس على الهجرة إلى المناطق الحضرية، كما يمكن أنْ يؤدي تخصيص الاعتمادات المالية القومية للتنمية الصناعية في المدن الرئيسية بدلاً من انتشار هذه الاعتمادات في المناطق الريفية إلى جعل المدينة أكثر جاذبية من الريف بالنسبة لسكان الريف.

كما أنَّ الامتيازات التي تتمتع بها المناطق الحضرية والتي تنعدم في الريف تُعد من عوامل جذب سكان الريف ومن هذه الامتيازات ارتفاع مستوى المعيشة نتيجة لارتفاع مستوى الدخل وتوفر فرص التعليم والعلاج وغير ذلك من الخدمات. كما أنَّ هنالك بعض سكان الريف الذين يتعرضون لإغراء المدينة من خلال فترة الخدمة العسكرية أو الاضطرابات المدنية التي تقع في الريف والتي حدثت على وجه الخصوص بسبب الحرب العالمية الثانية والسنوات التي أعقبتها. فمن الطبيعي أن يؤدي أي غزو للريف وانعدام الأمن فيه إلى هجرة سكانه إلى المدينة، كما تؤدي الثورات والحروب إلى خلق عدد من اللاجئين الذين يندفعون غالباً إلى المدن الكبرى. وإذا نظرنا للخرطوم نجد أنها ليست ببعيدة عن ذلك حيث شهدت زيادة سكانية كبيرة فقد كانت في تعداد ١٩٥٦م في أدني القائمة بينما قفزت إلى المرتبة السادسة في عام ١٩٧٣م وإلى المرتبة الأولى في العام ٢٠٠٨م، ومن هنا نلاحظ

الدور الذي تلعبه الهجرة من خلال التغيير الديمغرافي للسكان على المجتمع الريفي والحضري على حد سواء (محمد، ٢٠٠٥). وقد ظلت الخرطوم هي الجاذبة لمعظم الحراك السكاني من جميع الولايات، حيث بلغ صافى الهجرة للخرطوم عام ٢٠٠٨م حوالي مليونان بنسبة ٤٢% من المهاجرين (عبدالعاطي، ٢٠١٢).

كما لعب النزوح بسبب الجفاف والتصحر وكذلك بسبب الحرب دوراً كبيراً في ازدياد سكان الخرطوم وبحسب تعداد ٢٠٠٨م فإنَّ سكان الخرطوم يشكلون ١٧% من سكان السودان، وأنَّ هذا العدد يعادل مرة ونصف عدد سكان العشرين مدينة التي تلي الخرطوم من حيث عدد السكان (عبدالعاطي، ٢٠١٢).

الهجرة والتعليم

إذا نظرنا إلى تجربة التعليم ودوره في إحداث التغيير الاجتماعي في السودان نجد أنَّه أكثر إيجابية وسرعة في إحداث التغير في الحضر منه في الريف. لذلك بدأ كثير من المخططين يتساءل عن أسهل الطرق لتمكين المدرسة وخريجيها من لعب دورهم بصورة فعالة في الريف. وقد ظهر هذا التساؤل لأنَّه في كثير من المناطق الريفية انقلب دور المدرسة والتعليم إلى عامل سلبي في عملية التغيير المطلوبة في الريف المتخلف اقتصادياً. ولعل أوضح صورة لهذا العامل السلبي هي هجرة الذين تلقوا تعليماً من سكان الريف إلى المدينة حيث أثبتت كثير من الإحصاءات وجود تناسب طردي بين عدد المتعلمين في الريف وعدد المهاجرين منهم إلى المدن لإيجاد فرص عمل تختلف عن مهنة الزراعة التي تسود الريف كنمط اقتصادي مثلاً (الحفيان، ١٩٩٥).

قد لعبت ثورة التعليم العالي دوراً في ازدياد عدد المهاجرين للخرطوم بصورة غير مباشرة، حيث ظلت الخرطوم تستقبل أعداداً كبيرة من طلاب الجامعات مما يزيد من الضغط على الخدمات في العلاج والسكن والمواصلات، ففي العام ٢٠١٠م

أصبحت حصة الخرطوم ٣٣% من الجامعات الحكومية و٣٢% من الكليات والجامعات الأهلية والأجنبية (عبد العاطى، ٢٠١٢). كما أنَّ انتشار ظاهرة البطالة وسط المتعلمين في الريف تدل على أن التعليم لم يقم بدوره الإيجابي في إحداث التغيُّر والسبب في ذلك أن نمط الإنتاج لا يستوعب مؤهلاتهم التعليمية بالصورة التي ترضيهم، فتفشَّت ظاهرة البطالة بصورة كبيرة خاصة وسط خريجي المدارس الثانوية أو ما يسمى بالفاقد التربوي وهذه الظاهرة تمثلها مجموعات:

١. البطالة الظاهرة أي الذين لا يجدون عملاً من أي نوع.
٢. البطالة المقنعة أو المتخفية أي الذين يؤدون عملاً هامشياً أو يعملون في أعمال يمكنْ أنْ يعمل فيها غير المتعلمين وبنفس الكفاءة.
٣. الذين يعملون في أعمال لا تساعد في دفع الاقتصاد.

قد بلغ معدل البطالة في السودان حسب إسقاطات العام ٢٠١٤م للمسح الذي قامت به وزارة تنمية الموارد البشرية والعمل عام ٢٠١١م ١٩,٦%، وبما أن الشباب يشكلون الشريحة الأكبر من سكان الريف في السودان، فهذا يعنى أنهم أكثر عرضةً للبطالة – (فقد بلغت نسبة البطالة للفئة العمرية ٣٠_٣٤ ذكور وإناث ٥٣،٨ %)– وهنا تتضح لنا مدى خطورة الأمر لأنَّ الشباب هم الشريحة التي يعول عليها في المجتمع لأنَّها الأكثر عطاءً.

في الحالات الثلاث يوجه الاتهام إلى نوع المنهج الدراسي الذي تلقاه تلاميذ المدارس في الريف لأنَّه لا يعمل أو يهدف بصورة واضحة إلى عمليات التغيُّر الاجتماعي في الريف بصورتها الإيجابية وكثيراً ما نجد أنَّ هذه المناهج لا ترتبط ارتباطاً تكاملياً بالقيم الاجتماعية والثقافية وأنماط الإنتاج الاقتصادي السائد في الريف. وكثيراً ما تخلق المناهج تصوراً سلبياً عن الزراعة والرعي في أذهان التلاميذ الريفيين. لذلك يبدأ هؤلاء التلاميذ في التطلع إلى الحياة والعمل في المدينة

منذ زمن الدراسة. وكل ذلك لأنَّه كثيراً ما يكون معظم المنهج لا يتحدث بصورة كافية عن الريف وكيفية تطويره بصورة تخلق القناعة وسط هؤلاء التلاميذ بعدم جدوى الهجرة والعيش في المدينة وأهمية البناء في الريف بعد تطويره.

كما أنَّ هنالك عوامل أخرى تلعب دوراً في حرمان كثير من الأطفال من تلقي تعليمهم ومن هذه العوامل:

1ــ سوء التوزيع الجغرافي للمدارس: حيث نجد أنَّ هناك فجوة واضحة بين احتياجات الريف (عدد الأطفال في سن المدرسة) وبين عدد المدارس الموجود فعلاً ويمكن أن تتضح الصورة أكثر وضوحاً إذا قارنا بين توفر فرص التعليم في المدن مع تلك التي تتوفر لسكان الريف. وهذه الفرص تتفاوت بصورة غير عادلة بين إقليم وآخر أو حتى بين منطقة ريفية وأخرى، كما أنَّه في كثير من الأحيان يوجد تباين واضح بين عدد المدارس المتوفرة للبنين وتلك التي تتوفر بالنسبة للبنات، حيث نجد أنَّه تتوفر المدارس للبنين أكثر مما تتوفر للبنات.

2ــ أسباب تتعلق بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية للأسرة: حيث نجد أنَّ مستوى دخل الأسرة يلعب دوره في تمكين الأطفال من الذهاب للمدرسة فالأسرة التي تستطيع أن تواجه مصاريف الدراسة، وفي نفس الوقت لا تحتاج لمساهمة الابن الاقتصادية فإنَّ أبناءها يجدون فرصاً للتعليم على عكس ما يحدث في الأسر الفقيرة. كما أنَّ نوع النشاط الاقتصادي الذي تمارسه الأسرة يلعب دوراً في إبعاد الطفل عن المدرسة فالاقتصاد الممارس في الريف السوداني هو الزراعة التقليدية أو الرعي مما يجعل الأسرة في حالة احتياج إلى مساعدة الطفل من جمع حطب الوقود وجلب مياه الشرب أو المساعدة في الحقل (الحفيان، ١٩٩٥).

كثيراً ما يجد المخططون صعوبة في توفير فرص التعليم لأبناء البدو أو الرحل ذلك أن الترحل وعدم الاستقرار جعل من الصعوبة بمكان توفير المدارس والمعلمين،

حيث إنَّ زمان ومكان الرحال غير متوازيين لارتباطهما الوثيق بالكلأ والماء، فأينما وجد الكلأ والماء ارتحل إليها البدو، الأمر الذي يجعل توفير فرص التعليم مكلفاً للغاية، كما أنَّه في الأماكن التي تم إنشاء مدارس وتوفير معلمين فيها غالباً ما تظل مغلقة لفترة طويلة بسبب الرحال. أضف إلى ذلك وكما سلف ذكره فإنَّ الأسر البدوية تحتاج إلى أبنائها في الرعي كما أنَّ عدم الفهم الكامل للعائد الاجتماعي والاقتصادي من العملية التعليمية وقف عائقاً أمام التعليم في أداء دوره، لذلك وجب على المخططين التربويين جعل أهداف التعليم في هذه المناطق تتوافق مع نمط حياة الرحل الاجتماعية الاقتصادية وتقاليدهم وقيمهم حتى لا ينفر البدو من تعليم أبنائهم، وحتى يكون للتعليم قيمة اجتماعية اقتصادية كبرى عند البدو (الحفيان، ١٩٩٥). كما أنَّ الوافدين يحملون معهم نمطاً أو أسلوباً للحياة يختلف عن أسلوب السكان الأصليين سواءً كان ذلك يتعلق بطريقة الأكل أو الاستفادة من الوقت فيما يتعلق بالعمل والنشاط الاقتصادي، وكذلك فيما يحملونه من قيم وعادات وتقاليد.

هذا وقد آلت مسؤولية تعليم الرحل منذ عام ١٩٩٤م لسلطات المحليات وفى السنوات الأخيرة زادت نسبة تعليم الأساس بين الرحل عن ١٤,٥% كما زاد إجمالي الاستيعاب الظاهري لأطفال الرُحَّل من١٦% إلى ٣٣% في نفس الفترة، إلا أنه هناك عدم تساوى بين الذكور والإناث بفارق١١,٩% لصالح الذكور، والتحديات إلى تواجه تعليم الرُحَّل تتمثل في العلاقة غير المتساوية بين الجنسين وسط المجتمع الرعوي مما أدى إلى عدم تعليم البنات. وكذلك ضعف استجابة نظام التعليم لحاجات وظروف أطفال الرُحَّل، وعدم ملاءمة المنهج لبيئة ومتطلبات الرحل (عبد العاطى، ٢٠١٢).

كما أنَّ الهجرة تلعب دوراً في ظاهرة التسرب المدرسي في الريف بصورة مباشرة أو غير مباشرة ذلك أنَّ هجرة الأب للبحث عن عمل تدفع بالابن كذلك لترك

الدراسة لعدم استطاعته تسديد نفقات الدراسة أو للبحث كذلك عن عمل. وقد أوضحت نتائج المسح التربوي أن متوسط معدل التسرب في الصفوف من الأول إلى الخامس أعلى عند البنات من البنين إذ بلغت ٨,١ % في مقابل ٧,١ % للبنين، في حين بلغ المتوسط العام للتسرب ٧,٦ %، غير أن نسبة التسرب ترتفع عند البنين في الصفين السادس والسابع وتصل إلى ١٤,٥% و١٣,٣% على التوالي (المجلس القومي للسكان، ٢٠١٢). وفى الخرطوم بلغت نسبة التسرب المدرسي لمرحلة الأساس ٦٤،٠% (الإحصاء التربوي، ٢٠٠٦)، وللتسرب المدرسي مجموعة من المخاطر منها عمالة الأطفال وانحراف الأحداث، ففي دراسة عن عمالة الأطفال في السودان اتضح أن٨٩% من الأطفال العاملين في ولاية الخرطوم من خارج الولاية (أحمد، ٢٠٠٨). كما سجلت الخرطوم أعلى نسبة في جرائم الأحداث فقد بلغت تلك النسبة في العام ٢٠١٤م ٢٣,٥% (الإدارة العامة للمباحث والتحقيقات الجنائية، ٢٠١٤)، وهنا تتبلور لنا النتائج السلبية للهجرة والنزوح من الريف للحضر.

ومن هنا نلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين كل من الهجرة والتعليم في إحداث التغيُّر الاجتماعي، حيث يتبلور هذا الارتباط في عملية الاستثمار في التعليم وتطوير المجتمع في شتى مقومات حياته، وأنَّ التوازن في تنفيذ أي برنامج من برامج المجتمع في تنمية الموارد الطبيعية لا يقل أهمية عن الاستثمار في التعليم والتدريب، وأنَّ البدء بتطوير الطاقات البشرية واستثمارها يُعد من ألزم الأمور لوضع المجتمع على طريق التقدم وأنَّ زيادة حجم استثمارات تنمية الموارد البشرية هو نفسه دليل على استمرار نمو المجتمع وخاصةً في مستوى المجالات الاقتصادية, وأنَّ التأهيل والإعداد اللازمين للغالبية العظمى من المهن يدلان على المستوى العام لتنمية الموارد البشرية فالتعليم لم يعد هدفه فقط التوظيف والعمل، كما لم يعد هدفه قاصراً على التأهيل للكشف عن الموارد الطبيعية والعمل على

استثمارها لأقصى الحدود بغرض زيادة الإنتاج وإنما هدفه مقابلة وعي الناس وإلحاحهم بتحسين العملية التعليمية نفسها وصولاً إلى رفع مستوى المعيشة ومضاعفة الدخل القومي وتنمية الإنسان الفرد بغرض النهوض بالمجتمع كله.

إذاً فالتعليم عامل فعال من عوامل إحداث التغيُّر الاجتماعي والثقافي، حيث إنَّه يُعد وسيلة لتشكيل الطاقات البشرية وفقاً لاحتياجات المجتمعات والمستجدات التي تطرأ فهو يؤثر في تدرج الشخصية للفرد في تطوير ذاته وسعيه للاستزادة من المعرفة والخبرة ومحاولاته لكسب مهارات جديدة، وكل ذلك يلعب دوراً في إحداث تغيُّر فيما يحدث من برامج للتنمية وتغيير وجه الحياة بشكل عام أو على المستويات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية والثقافية (شعيب، ١٩٩٨).

فالهجرة بلا منازع من العوامل التي تحدث تغيُّراً في البناء الاجتماعي بصورة أو بأخرى، وتصبح التغيُّرات التي تحدثها أكثر وضوحاً عندما ينتقل الفرد من بيئة أو وسط اجتماعي مختلف تماماً عن بيئته.

الآثار المترتبة على الهجرة من الريف للمدينة

من المشاكل التي تواجه العامل المهاجر والتي تنجم في نفس الوقت عن وجوده في المدينة والتي تؤدي بصورة أو بأخرى إلى حدوث درجة من التغيُّر الاجتماعي السلبي ما يلي:

السكـــــن:

لعبت الهجرة دوراً في ارتفاع معدل النمو السكاني في ولاية الخرطوم فقد بلغ سكان الخرطوم ١٣,٥% من جملة سكان السودان في العام ٢٠٠٨م، وبما أنَّ٤٤% من المهاجرين أطفال و٤٩% من الفئة العمرية (١٥-٤٩) فمن المتوقع أنْ يرتفع معدل الزيادة الطبيعية في العقود القادمة (عبدالعاطي، ٢٠١٢)، وينتج عن هذا أنَّه كلما زاد عدد المهاجرين كلما ازدحمت المنازل بطريقة غير صحية وبالتالي يلجأ الناس

للإقامة في المباني غير المصرح بها وغير المخططة والتي تقع في أطراف المدن لقربها من مصانعهم أو لقلة إيجارها أو لتوفير الوقت مما يعني بالضرورة سوء مستواها، ولعل هذا ما يثبت نظرية كالفن شمند الذي توصل إلى أنَّ هنالك معامل ارتباط بين عدد من المتغيرات، وكذلك إلى وجود علاقة كبيرة بين المنطقة السكنية التي يختارها الشخص وبين الدخل، وهذا لا شك يفسر لنا سوء الأحوال الصحية في مساكن العمال نتيجة لقلة إيجارها وتشييدها على أساس الحصول على أكبر عائد ممكن منها (شعيب، ١٩٩٨).

الخرطوم تظهر فيها مشكلة الإسكان بوضوح، حيث يلاحظ عدم توفر الأعداد الكافية من الوحدات السكنية الملائمة لمقابلة احتياجات المواطن الذي لا يستطيع دفع الإيجارات المرتفعة للسكن الملائم، كما أنَّ المساكن غير ملائمة من حيث الموقع والنوع والبيئة الصحية وكثيراً ما تتكَّدس الأسر في مسكن لا يسع سوى لأسرة واحدة، كما أن الغرفة الواحدة يشغلها أكبر عدد من الأفراد، فقد أبانت الإحصاءات أنَّ متوسط عدد الأفراد (في الخرطوم) في الغرفة الواحدة هو ٢,٥، في حين أنَّ المعدل الطبيعي هو١,٥، كما تنتشر ظاهرة السكن العشوائي وما يترتب عليه من مشاكل تأتي على رأسها الجريمة بأنواعها (محمد، ٢٠٠٥).

الضغط المفاجئ على المرافق ومراكز الخدمات

حيث يحدث نتيجة لازدياد عدد المهاجرين للمدن بحثاً عن العمل أو العلاج زيادة سكانية تؤدي إلى أنْ تكتظ المرافق العامة ومراكز الخدمات بطريقة تكون فوق طاقة هذه المؤسسات وقدرتها على تقديم خدمات، ومن ثم انعدام التوازن بين الكم والكيف مما يجعل هذه الخدمات تبدو وكأنها قاصرة عن أداء مهمتها. ويمكن أنْ نلمس هذه الصورة بوضوح في الأسواق وأماكن العلاج ووسائل المواصلات في المدن الكبرى، والخرطوم خير مثال على ذلك، ففي مدينة الخرطوم بحري خلال

عشر سنوات في الفترة من ١٩٨٣-١٩٩٣م لوحظ زيادة وارد الصادرات الخارجية إلى ما يقارب الضعف، وزيادة عدد الداخلين للعلاج في المستشفى في نفس الفترة إلى الضعف كذلك وليس هنالك مخرج من هذا الوضع إلا بتوزيع هذه المؤسسات على الأقاليم بعدالة وتخطيط مما قد يساعد على التقليل من الهجرة، ومن ثم تقليل الضغط على المرافق في العامة الكبرى (Elbshara, 1992)، وقد أوضحت الإحصاءات أن ٣٣% من المهاجرين يقاسمون سكان الخرطوم حصتهم في مياه الشرب و٢٩% منهم يقاسمونهم في الكهرباء (عبد العاطى، ٢٠١٢). وبالتالي تسببت الهجرة في مشكلة الضغط على شبكة مياه الصرف الصحي، حيث أنَّ شبكات الصرف الصحي محدودة ولا تغطي أكثر من ٨% من الأسر (المجلس القومي للسكان، ٢٠١٢). وكذلك مياه الشرب فهنالك قطوعات مستمرة للمياه كما أنها شحيحة أحياناً أو معدومة تماماً ونفس الأمر ينطبق على خدمات الكهرباء والمواصلات بالرغم من الجهود التي تبذلها الدولة في هذين المرفقين الحيويين بالنسبة للإنسان كمصدر للتنمية البشرية.

الإصابة بالأمراض

هناك بعض الأمراض تصيب أهل المدن وهم في سن مبكرة خاصةً في سن الطفولة كالحصبة والجدري الكاذب والتهاب النكفية، ولكن غالباً ما ينجو سكان الريف من هذه الأمراض في طفولتهم، وذلك لنقاء البيئة ولكن عندما يهاجرون يصابون بهذه الأمراض في كبرهم مما يجعل هذه الأمراض تظهر بصورة وبائية عند بعض العاملين في المصانع مما يعوق الإنتاج ويعطله، وعلى سبيل المثال نورد ما لوحظ في عيادة مصنع النسيج السوداني عام ١٩٦٥م (محمد، ٢٠٠٥).

- إصابات الحصبة ١ %.
- إصابات البرجم ٣ %.

- إصابات النكفية ٢ %.

بينما ينبغي ألا تتعدى هذه الإصابات ½% إلا بعد سن البلوغ.

الأمراض المهنية

يتعرض العاملون في المصانع للكثير من المخاطر في بيئات العمل المختلفة، فإذا وضعنا في الاعتبار انعدام الخبرة الفنية والتعرض للأمراض التقليدية بالإضافة لإرهاق المدينة وطبيعة العمل فيها، نجد أن الغالبية منهم تكون معرضة للإصابة بقابلية عالية، وكل هذا يتطلب ضرورة توعية الريفي المهاجر وتقنيته حتى يتمكن أن يسهم في تخفيف ويلات البيئة التي يعمل فيها بوعي وإدراك، وفي السودان بالذات تكثر الإصابة بالأمراض المهنية المترتبة على ارتفاع درجات الحرارة والضوضاء التي كثيراً ما يعاني منها الريفي نسبةً لأنه أتى من الريف الهادئ إلى ضوضاء المدينة (العمودى، ١٩٩٤).

الانحرافات والأمراض النفسية

فبينما ينتقل العامل من المجتمع الزراعي التقليدي إلى المجتمع الصناعي أو إلى مجتمع المدينة فإنَّ هذا التحوُّل يتطلب تكيف العامل لظروفه الجديدة حتى يتمكن من مواجهة ظروف العمل وهذا يُحدِثْ له صراعات نفسية حادة قد تؤدي به إلى أمراض نفسية. وما نراه اليوم من التفاوت الكبير بين البيئة الاقتصادية والاجتماعية لسكان الخرطوم، حيث المنازل الجميلة والسيارات الفارهة وحيث لا جوع ولا فقر وبين ما يعانيه النازحون في أطراف الخرطوم وكذلك المهاجرون الذين تهيأت لهم فرص العيش داخلها من فقر ومرض وسكن لا يقي من برد الشتاء ولا هجير الصيف قد خلق غبناً وقهراً اجتماعياً أدى إلى كثير من السلوك العدواني عند النازحين وصل حد الاعتداء الجسماني والقتل بقصد النهب والسرقة فيما يعرف بجرائم الحاجة (وزارة رئاسة مجلس الوزراء، ٢٠٠٦).

نجد أنَّ تدني الخدمات الصحية في الريف، وعدم العدالة في توزيعها يدفع بالسكان للبحث عن العلاج في الخرطوم، مما يشكل ضغطاً على تلك الخدمات، فمن مجموع ٢٢٩ مستشفى خاص ومركز صحي يوجد حوالي ٧٠% منها في الخرطوم، وتوجد بيانات نادرة عن مدى استفادة المواطنين من الخدمات الصحية المتوفرة، غير أنَّه واستناداً على المسح الذي أُجري في كل من ولايتي الخرطوم والجزيرة في العام ٢٠١٠م ومن مجموع المرضى الذين يبحثون عن خدمات الرعاية الصحية، أنَّ ٢٢% منهم قد استشاروا عيادات خاصة. وأنَّ٣١% و٧% – في الولايتين على التوالي– منهم قد دخلوا مستشفيات وأجروا عمليات جراحية. (عبد العاطي، ٢٠١٢)، وتنوه الباحثة إلى أن كثير من المعلومات فيما يخص هذا الجانب قد اعتمت فيها على الملاحظة وذلك لصعوبة الحصول الإحصاء من مصادرها الرسمية.

وأكثر صور هذه التغييرات السلبية تتمثل في تعرض المهاجر في المدينة لتناقض مستمر في رقابة الأسرة على أفرادها، ويزداد ذلك وضوحاً بصفة خاصة إذا كان الفرد قد قدم للمدينة منفرداً وليس عضواً في أسرة. وحتى في حالة هجرة أسرة بأكملها فإنَّ الفرد يدخل في ظروف تحمله تدريجياً على الاضطلاع بدور جديد داخل الأسرة، فقد تضطره الظروف إلى العمل بعيداً عن باقي أفراد الأسرة، وقد يكوِّن علاقات جديدة من شأنها أنْ تؤثر في علاقاته بسائر أفراد الأسرة (أحمد، ١٩٩٨). فأغلب هذه المظاهر السلبية تتعلق بعملية تكيُّف المهاجرين مع البلاد المستقبلة لهم نظراً لاختلاف ثقافتها عن ثقافة مجتمعاتهم الأصلية والتي غالباً ما تكون مجتمعات ريفية والتي يترتب عليها الكثير من المشاكل التي أسلفناها في الفقرات السابقة.

ما زالت النظرة للتعليم في الريف نظرة تقليدية وهى أنَّ الإنسان يتعلم من أجل الحصول على الوظيفة وإنْ لمْ يتحققْ ذلك، فليس هنالك داع للتعليم وأنَّ التعليم في هذه الحالة يُعد مضيعة للوقت ليس ألا، وإذا قرأنا واقع الزيادة المضطردة لظاهرة البطالة في السودان، والتي يكون خريجو الجامعات الغالبية العظمى منها نجد أنَّها تزيد من هذه النظرة اللائمة للتعليم خاصةً في الريف، ولا بد هنا من لفت الانتباه إلى أنَّ البطالة في حد ذاتها تُعد ظاهرة اجتماعية سلبية تفرز بدورها مشاكل اجتماعية مرتبطة بها كالعزوف عن الزواج وتعاطي المخدرات وانتشار الجريمة في كافة صورها.

النتائج

١. ازدحام المساكن في الخرطوم وانتشار ظاهرة السكن العشوائي وارتفاع الإيجارات، حيث إنَّها لا تتناسب مع مستوى الدخل.
٢. الزيادة السكانية المضطردة بسبب البحث عن عمل أو العلاج أدتْ إلى أنْ تكتظ المرافق العامة كالمواصلات ومراكز الخدمات في مجال الصحة والتعليم ومياه الشرب والصرف الصحي، مما يؤدى إلى عدم قدرة هذه المرافق على تقديم خدمات، ومن ثم انعدام التوازن بين الكم والكيف وبالتالي تبدو هذه المرافق وكأنها قاصرة عن أداء دورها.
٣. انتشار الأمراض المستوطنة كالملاريا والتايفويد وأمراض الطفولة كالحصبة والجدري الكاذب والنكفية وذلك لتلوث البيئة بسبب تكدس النفايات وسوء الصرف الصحي.
٤. يتعرض العاملون في المصانع إلى الكثير من الأمراض المهنية لانعدام خبرتهم التقنية، كما أنَّ اختلاف بيئة المصنع عن البيئة الريفية تتطلب أن

يتكيف العامل مع الظروف الجديدة حتى يتمكن من أن يواجه ظروف العمل.

٥. تختلف ثقافة وسلوك إنسان الحضر عن ثقافة وسلوك المهاجر مما يخلق لديه صراعاً بين قيمه التي يحملها وبين قيم ساكن الحضر، وينعكس ذلك سلباً على علاقته بأسرته، فقد تضعف تلك العلاقة وبالتالي قد تتفكك الأسرة وبالطبع أن التفكك الأسرى يقود إلى مشاكل اجتماعية خطيرة كالجريمة بمختلف أنواعها.

٦. لا يجد الريف في المجتمع السوداني حظه من التعليم كما في الحضر، كما أنَّ اتجاهات الفرد وقيمه نحو التعليم لم تستطع أن تخرج من النظرة التقليدية للتعليم في أنه وسيلة للحصول على الوظيفة وليس غاية في حد ذاته، والدليل على ذلك انتشار ظاهرة البطالة والتسرب المدرسي في الريف بدرجة ملحوظة، كما أن المدارس الحكومية بولاية الخرطوم في مرحلة الأساس لمْ تستطعْ أنْ تستوعب الأعداد المتزايدة للأطفال، الأمر الذي دفع بالأسر إلى أنْ تتجه للتعليم الخاص والذي ترتفع تكلفته بدرجة تفوق إمكانيات الأسر المادية، وقد يترتب على ذلك أن تنتشر ظاهرة التسرب المدرسي أيضاً في الخرطوم.

خلاصة

إذاً فالهجرة في مجملها هي تغيير لخارطة السكان مؤثرة في نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فهي تتيح الفرصة أمامهم لتحسين وضعهم الاقتصادي أو إتاحة فرصة أكبر للتعليم أو قد يمكن من توسيع دائرة العلاقات الاجتماعية عن طريق التزاوج واكتساب قيم وعادات وتقاليد جديدة، أو قد تحدث عكس هذا على جانب آخر من جوانب المجتمع، فقد يصاحبها ضغط سكاني على الخدمات

والمرافق، كما تؤدي إلى تركيز الأيدي العاملة في مكان ما مما يؤدي إلى فائض عمالة، بالتالي تؤدي إلى البطالة وما يصاحب ذلك من مشاكل. كما أنَّ الشخص المهاجر يحدث له صراع بين ما يحمله من قيم وثقافة وبين ثقافة وقيم المجتمع الوافد إليه، مما يخلق له القلق والتوتر النفسي فلا يستطيع أن يندمج في المجتمع الجديد بسهولة. إذاً فالهجرة لا بد أن تؤدي إلى حدوث تغيُّر اجتماعي ثقافي بغض النظر عن نتيجة ذلك التغيُّر سلباً أم إيجاباً. ومن خلال هذا الاستعراض للهجرة بأنواعها نلاحظ أنها تلعب دوراً كبيراً في تكوين شخصية الفرد الحضري سواء كان من المهاجرين أو الحضريين الأصليين، وذلك من خلال التفاعل والاحتكاك الذي يحدث في صورة صراع في مرحلة من مراحل تكوين المجتمع الحضري، وبالتالي أخذه لصورة معينة من حيث التركيبة السكانية والنشاطات المختلفة في المجتمع سواء كانت نشاطات اقتصادية أو سياسية أو ثقافية.

خلاصة القول إنَّ الهجرة تُعد من عوامل التغيُّر الاجتماعي الثقافي بوجهيه السلبي والإيجابي (حيث تمَّ التركيز في هذه الدراسة على الجانب السلبي). ومن هنا تُوصي الدراسة أنْ تستعين الدولة وصانعي القرار بالمختصين في مجال دراسات الهجرة، في أن تضع تخطيطاً استراتيجياً يساعد في تنفيذ سياسات عامة تحقق استقرار الإنسان في الريف والحضر على حد سواء. وكذلك ضرورة إنشاء معاهد بحثية متخصصة لما للهجرة من آثار سلبية على المجتمع بشقيه الريفي والحضري تتطلب الدراسات المتخصصة والمكثفة لمواكبة تيارات الهجرة والظروف التي تؤدي إليها ومن ثم استشعار النتائج التي قد تترتب عليها في الوقت المناسب.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

أحمد، إحسان عبد الرحمن (٢٠٠٨) عمالة الاطفال في السودان، رسالة دكتوراه غير منشورة، أكاديمية السودان للعلوم.

أحمد، غريب محمد سيد (١٩٩٨) علم الاجتماع الريفى، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، الاسكندرية.

الإدارة العامة للمباحث والتحقيقات الجنائية (٢٠١٤) التقرير الجنائي السنوي، السودان.

الباشا، محجوب (١٩٩٨) التنوع العرقي في السودان، سلسلة أوراق استراتيجية، مركز الدراسات الاستراتيجية الخرطوم، ص٤،٥.

البلولة، أحمد محمد إبراهيم (٢٠١٦) الأطر المفاهيمية لقضايا الهجرة والحراك السكانى في السودان، مجلة دراسات سودانية، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن المجلس القومي للسكان، الأمانة العامة الخرطوم، السودان، العدد الأول، ص١٧

الجوهري، عبدالهادى(١٩٨٩) أصول علم الاجتماع، الناشر مكتبة الشرق، جامعة القاهرة.

الجوهري، محمد؛ وشكرى، علياء(١٩٩١) علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

الحسيني، السيد(١٩٨٥) المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط٣، ، دار المعارف القاهرة مصر.

الحفيان، عبد الرحمن عوض (١٩٩٥) أسس التنمية الريفية ودور الزراعة في السودان،مطبعة جامعة الخرطوم.

شعيب، علي عبد المنعم (١٩٨٦) المجتمع العربي الحديث والمعاصر دراسة التشكلات البنيوبة والاجتماعية والاقتصادية، الناشر شركة المطبوعات اللبنانية، دار الفارابي، بيروت لبنان.

عبد العاطى، حسن (٢٠١٢) سكان السودان وتحديات المستقبل، المجلس القومي للسكان، الخرطوم.

العمودي، نور محمد أبوبكر باقادر (١٩٩٤) الهجرة الريفية الحضرية، دار المنتخب العربي لدراسات والنشر والتوزيع.

مارزى، صلاح (١٩٦٨) المدينة السودانية الحديثة، مجلة الدراسات السودانية، العدد الأول المجلد الأول يوليو، ص٤٥ .

المجلس القومي للسكان (٢٠١٢) ملخص تقارير وأوراق مجموعات العمل المحورية للسياسة القومية للسكان، السودان.

محمد، بابكر موسى (٢٠٠٥) مشكلة السكان في الخرطوم، رؤى، مجلة فصلية شاملة تصدر عن المركز العالي للدراسات والبحوث، السنة الثانية، العدد الثاني ص٧٦،٧٨، ١١٨.

وزارة رئاسة مجلس الوزراء(٢٠٠٦) التقرير الختامى، الأمانة العامة لهيئة المستشارين، جمهورية السودان، قضية الهجرة من الريف الى المدن، ص٧٣،٧٤ ، ١٤.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

Elbashra Elsayed (ed) (1992) Urbanization in the Sudan proceeding, of the 17th the Annual conference of the Philosophical Society of the Sudan, 2-4 August, khartoum.

دور جودة المعلومات المحاسبية في الحد من ممارسات إدارة الأرباح في السودان

(دراسة استطلاعية على عينة من المصارف السودانية)

مختار إدريس أبو بكر آدم، كلية العلوم الادارية، جامعة بحري

هلال يوسف صالح، كلية الدراسات التجارية، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا

مستخلص

تمثلت مشكلة الدراسة في انتشار وإمكانية إدارة الأرباح وذلك لعدم وجود نماذج محاسبية مقترحة لتفسير جودة المعلومات المحاسبية في الشركات المساهمة، عدم تحديد الآليات اللازمة للحد من ممارسات إدارة الأرباح. هدفت الدراسة إلى تحليل الأهمية النسبية للقيمة الملائمة للمعلومات المحاسبية في الحد من ممارسات إدارة الأرباح، ومعرفة ما إذا كانت جودة المعلومات المحاسبية قادرة على الحد من ممارسات إدارة الأرباح، وقد اهتمت الدراسة باستطلاع منهجي حول السياسات المحاسبية المتبعة في إعداد التقارير المالية بهدف الحد من التلاعب في إدارة الأرباح، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها، أن الإدارة تهتم بالتقارير عن أرقام الربح المحاسبي أكثر من الاهتمام بتقديم معلومات عادلة، وأن الإدارة تستخدم أساليب إدارة الأرباح للتأثير على الأرقام المحاسبية. وأوصت الدراسة بضرورة إعادة النظر في معايير المحاسبة السودانية لجعلها أكثر قدرة على مواجهة ظاهرة إدارة الأرباح، وتقييم الممارسات الانتهازية للمنشأة واتخاذ الإجراءات اللازمة ضدها.

Abstract

The problem of this Study Consisted of the lack of accounting models which are proposed to explain the quality of accounting information, not

only to identify the mechanisms needed to reduce the practices of the earnings management, but also it aimed to analyzing the relative importance of appropriate of the value and accounting information to reduce the practices of the earnings management, to know whether the quality of Accounting information are able to reduce the practices of the earnings management. The researcher used descriptive method to collect the data , the study found the following results: the administration is concerned with reports of accounting profit figures more attention to provide information, the management is using techniques of earnings management to influence the accounting figures, the study recommended the need to reconsider the Sudanese accounting standards to make better cope with the phenomenon of earnings management, evaluation of opportunistic practices of an entity and to take the necessary measures against it.

مقدمة

شهدت الحقبة الماضية تغيرات على المستوى العالمي، شملت مختلف جوانب المحاسبة وأحدثت تغيرات سواء من ناحية إطارها الفكري أو أسلوب ممارسة العمل المحاسبي وكذلك كيفية الاستفادة من المعلومات المحاسبية واستخدامها في اتخاذ القرارات المالية والإدارية، واختيار البدائل المحاسبية من قبل الإدارة أدت إلى ممارسات خاطئة لإدارة الأرباح في الشركات المساهمة لأن إدارة المنشأة ومن خلال إمكانية الاختيار بين البدائل المحاسبية المتاحة لأغراضها ومواقفها وأهدافها، والتي لا تتعارض في الظاهر مع المبادئ المحاسبية المتعارف عليها ومعايير المحاسبة، تلجأ إلى التضليل والتلاعب بالبنود المحاسبية بطريقة تؤدي إلى إظهار الأداء المالي بشكل طبيعي لا يثير الشكوك والتساؤلات والانتقادات الموجهة لإدارة المنشأة.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في انتشار وإمكانية مماسة إدارة الأرباح في الشركات من قبل الإدارة وذلك نتيجة للتالي:

1. عدم وجود نماذج محاسبية مقترحة لتفسير جودة المعلومات المحاسبية في الشركات المساهمة.
2. لم تتعرض المعايير المحاسبية التقليدية لممارسات إدارة الأرباح في الشركات المساهمة.
3. عدم تفسير الآليات اللازمة للحد من ممارسات إدارة الأرباح في القوائم المالية الأساسية.
4. الدوافع الرئيسية لتلاعب الإدارة بالأرباح من وجهة نظر كل من المراجعين ومعدي القوائم المالية والمستخدمين لها.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

1. التعرف على المشاكل التي تعترض إدارة الأرباح في المؤسسات عينة الدراسة.
2. بيان السياسات المحاسبية المتبعة في إعداد التقارير المالية بهدف الحد من التلاعب في إدارة الأرباح.
3. تحديد وتحليل الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية التي تؤثر في اختيار السياسات المحاسبية.
4. محاولة تقليل الممارسات الخاطئة لإدارة الأرباح في المصارف السودانية.

أهداف الدراسة

تحقق الدراسة الأهداف التالية:

1. استطلاع آراء عينة الدراسة لاختبار أثر تطبيق جودة المعلومات المحاسبية في إنتاج قوائم مالية خالية من ممارسات إدارة الأرباح.
2. استطلاع آراء عينة الدراسة لتحديد آراء المدققين والمعدين للقوائم المالية والمستخدمين لها فيما يتعلق بقدرة جودة المعلومات المحاسبية في تحديد ممارسات إدارة الأرباح.
3. معرفة ما إذا كانت معايير إعداد التقارير الدولية بمفاهيمها وأدواتها قادرة على الحد من ممارسات إدارة الأرباح.
4. اختبار أثر مصداقية المعلومات المحاسبية للحد من ممارسات إدارة الأرباح في قائمة الدخل.

فرضيات الدراسة

تختبر الدراسة الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين ملاءمة المعلومات المحاسبية وممارسات إدارة الأرباح.

الفرضية الثانية: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين الدوافع الرئيسية لتغيير السياسات المحاسبية ومصداقية المعلومات المحاسبية.

الفرضية الثالثة: ممارسات إدارة الأرباح تؤثر في مصالح أطراف معينة على حساب مصالح أطراف أخرى في المجتمع المالي.

منهجية الدراسة

تستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاختبار وتوضيح أثر تطبيق جودة المعلومات المحاسبية واختبار التطبيق العملي والأساس الذي يتبع في اختيار مجموعة الممارسات والقواعد الحاكمة لإدارة الأرباح.

مصادر جمع البيانات والمعلومات

المصادر الثانوية: الكتب والمقالات والنشرات الدورية والرسائل الجامعية.

المصادر الأولية: نتائج البحوث العلمية والتجارب والمخطوطات والتقارير الثانوية. والإحصاءات الصادرة عن المؤسسات الرسمية والوثائق التاريخية والمذكرات.

المحور الأول: الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية

تقسم الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية إلى:

1-الخصائص الرئيسية وتتمثل في:

الملاءمة: الملاءمة تختلف باختلاف مستخدمي المعلومات المحاسبية، وضع مجلس معايير المحاسبة الأمريكي أبعاداً للملاءمة منها، التأثير على الأهداف وتسمى الملائمة للأهداف، التأثير والفهم وتسمى الملاءمة الدلالية، التأثير في اتخاذ القرارات وتسمى الملاءمة للقرارات.

الخصائص الفرعية لملاءمة المعلومات المحاسبية

تتمثل الخصائص الفرعية لملاءمة المعلومات المحاسبية في الآتي:

1. التوقيت الملائم: يقصد بخاصية التوقيت الملائم توفير المعلومات في حينها قبل أن تفقد منفعتها وقدرتها على التأثير في عملية اتخاذ القرارات، إذا لم تتوفر المعلومات عند الحاجة إليها فلن يكون لها تأثير على القرار.

نستنتج أن التوقيت الملائم يُعد عنصراً مهماً في اتخاذ القرار، وينبغي أن تقدم المعلومات للمستفيد منها في الوقت الملائم بحيث تمكنه من التوصل إلى القرار

السليم للحصول على المعلومات في وقت مبكر حتى يستطيع المستخدم من اتخاذ القرار الرشيد.

2. القدرة على التنبؤ بالمستقبل: القيمة التنبؤية للمعلومات اشتقت من نماذج تقييم الاستثمارات وعرفتها هيئة معايير المحاسبة المالية في بيانها رقم (2) في عام 1980م بأنها خاصية المعلومات التي تعمل في مساعدة المستخدمين في زيادة احتمال تصحيح مميزات نتائج أحداث ماضية أو أحداث حاضرة.

3. **القدرة على التقييم الارتدادي للتنبؤات السابقة:** تعكس المعلومات دوراً مهماً في تعزيز تثبت وتصحيح توقعات سابقة، تساعد مستخدم المعلومات في تقييم مدى صحة توقعاته السابقة وبالتالي تقييم نتائج القرارات التي بنيت على هذه التوقعات، خاصية التقييم الارتدادي تسمى أيضاً بالتغذية العكسية أو الاسترجاعية، يتضح لنا أن خاصية الملاءمة تُعد من الخواص النوعية الهامة للمعلومات في اتخاذ القرارات، وتمثل القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها أصحاب القرار.

4. الموثوقية: الموثوقية مصطلح يستخدم في العلوم الطبيعية ويقصد بها مقدار الخلو من الخطأ وتقاس درجة الموثوقية بنسب معينة، فقد عرف مجلس معايير المحاسبة المالية الموثوقية بأنها نوعية المعلومات التي تؤكد أن تلك المعلومات خالية من الخطأ ومن التحيز وأنها تعرض بصدق ويجب عرضها أو تقديمها بدرجة معقولة.

الخصائص الفرعية لموثوقية المعلومات المحاسبية

1. القدرة على التحقق

القدرة على الوصول إلى نفس النتائج من قبل أكثر من شخص، إذ ما تم استخدام نفس الطرق والأساليب التي استخدمت في قياس المعلومات المحاسبية وغالباً ما يستخدم مرادف للتحقق من الموضوعية أي التحقق من سلامة وموضوعية

المعلومات ويتضح ان خاصية التحقق تعكس إجماع عدد من المحاسبين والممارسين لمهنة المحاسبة والمراجعة عن طريق قياس الأحداث الاقتصادية.

2. الحياد

عرِّف بأنه عدم التحيز وعدم اختيار معلومات بشكل ينتج عنه معلومات تفضيل جهة أو طرف معين من الأطراف المعنية والمهتمة بالمعلومات المحاسبية على حساب جهات أخرى، وأن لا تكون المعلومات المحاسبية متحيزة لمستخدم معين من مستخدمي التقارير المالية على حساب مستخدمين آخرين.

نستنتج من خاصية الحياد الآتي:

1. تقديم معلومات محاسبية ذات علاقة وثيقة بالأهداف التي أعدت من أجلها.
2. تتداخل خاصية الحياد تداخلاً مع أمانة المعلومات لأن المعلومات المتحيزة معلومات لا يمكن الثقة بها أو الاعتماد عليها.

ولاغراض هذه الدراسة نعرف خاصية الحياد بأنها المعلومات الحقيقية الخالية من الأخطاء والغش ويمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرارات.

ثانياً: الخصائص الثانوية للمعلومات المحاسبية

تتمثل الخصائص الثانوية للمعلومات المحاسبية في:

1. قابلية المعلومات للمقابلة: استخدام المعلومات في إجراء المقارنات يشكل أمراً أساسياً للمستخدم وذلك لعدم توفر مقاييس مطلقة لتقييم الأداء، ويسعى المستخدم من خلال توفر هذه الخاصية إلى إجراء المقارنة في المنشأة الواحدة للسنوات المتعددة في رصد التغيرات وتفسيرها وهذه الخاصية تساعد مستخدمي القوائم المالية من مقارنة القوائم المالية للسنوات المختلفة وعدم وجود هذه الخاصية تفقد المعلومات المحاسبية قيمتها وبالتالي تؤثر على نموذج القرار.

2. الثبات: تتضمن تطبيق نفس الإجراءات المحاسبية على الأحداث المماثلة في المشروع الواحد من فترة مالية لأخرى وكذلك تطبيق نفس المفاهيم وطرق القياس والإجراءات بالنسبة لكل عنصر في القوائم المالية (سالم وأحمد، 2011: 93).

نستنتج من خاصية قابلية المعلومات للفهم والاستيعاب الآتي:

1. وضع البيانات المرتبطة مقابل بعضها البعض.
2. تقديم الأرقام والمؤشرات بلغة يسهل فهمها.

المحور الثاني: مفاهيم ودوافع، وأنواع ممارسات إدارة الأرباح

تعريف ممارسات إدارة الأرباح

عرفت ممارسات إدارة الأرباح بأنها تصرفات الإدارة التي تؤثر في الدخل المبلغ عنه، بحيث لا تعبر عن ميزة اقتصادية حقيقية للشركة بل قد يكون ضاراً على المدى الطويل وعرفت بأنها قيام الإدارة باستغلال الثغرات أو حالات الغموض في المعايير المحاسبية، دون الإخلال بنصوص القواعد والمبادئ المحاسبية بل الإخلال بجوهرها

ونستنتج من تعاريف ممارسات إدارة الأرباح بأنها:

1.تستخدم ممارسات إدارة الأرباح لتعديل نتيجة نشاط قائمة الدخل بالشكل الذي يؤثر على مستخدمي القوائم المالية.

2.ممارسات ضارة بأطراف المنشأة الداخلية والخارجية.

وبناءً على ذلك يمكن أن نعرف ممارسات إدارة الأرباح بأنها الممارسات غير الأخلاقية في اختيار التقديرات والسياسات المحاسبية المتاحة التي تتيح فرصة للتلاعب والغش، مما ينتج عنها بيانات مالية غير صحيحة ومضللة.

دوافع إدارة الأرباح

تتمثل دوافع إدارة الأرباح في:

1. دوافع تعاقدية: تُعد الدوافع التعاقدية محفزاً لإدارة الأرباح عندما تستخدم البيانات المحاسبية كأساس للاعتماد عليها في تنظيم بعض العلاقات التعاقدية مع الغير التي تترك أثراً على توزيع الموارد لمقابلة التكاليف المترتبة عليها، لتحقيق مزايا تتعلق بالأمان الوظيفي واكتساب مزايا إضافية عند التفاوض مع النقابات.
2. دوافع المنشأة في السوق المالي: المعلومات المحاسبية تُعد مصدراً للاعتماد عليها من قبل المستثمرين والمحللين في اتخاذ قراراتهم، تلاعب المديرين بأسعار الأسهم بما يتوافق مع توقعات المحللين، يظهر عند قيام المنشأة بإصدار أسهم جديدة بهدف زيادة سعرها، كما تقوم بعض المنشآت بتحميل نفس السنة مصروفات غير عادية بهدف تحقيق أرباح في السنوات القادمة.

أنواع إدارة الأرباح

تتمثل إدارة الأرباح في:

1. إدارة الأرباح المحاسبية: تتم من خلال الاختيارات والتقديرات المسموح بها من بين الطرق المحاسبية، تقوم الشركة باستعارة الأرباح من الفترات المستقبلية من خلال تسريع الإيرادات أو تأجيل بعض المصروفات من أجل تحسين الأرباح الحالية أو العكس، تقوم الشركة بنقل الأرباح إلى الفترات المستقبلية والاعتراف بالمصروفات والخسائر المرتبطة بإعادة هيكلة الشركة أو الاستغناء عن بعض قطاعاتها وتحميلها على السنة المالية للتخلص منها، يتضح للباحثين بأن إدارة الأرباح المحاسبية والحقيقية تؤدي إلى التضحية بالمنافع الاقتصادية المستقبلية للشركة، وتؤثر على تدفقاتها النقدية؛ لأن التلاعب في الأرباح من خلال المستحقات

المحاسبية محدود، وأن الإدارة تلجأ إلى التلاعب في الأرباح من خلال الأنشطة الحقيقية.

سلبيات إدارة الأرباح

تتمثل سلبيات إدارة الأرباح في

1. إدارة الأرباح وجودة الأرباح: نظراً لارتباط جودة الأرباح بقدرتها على تحسين التنبؤ بالأرباح المستقبلية، لأن التغيرات المتعمدة من قبل الإدارة بهدف تغير الأداء الحقيقي للشركة للوصول لرقم الربح المرغوب فيه، يترك تاثيراً سلبياً على جودة الأرباح، لأن الربح المقرر إما متحيز لأعلى أو لأسفل ليعبر عن الأداء الحقيقي للشركة.
2. إدارة الأرباح وأداء الأسهم: تتعرض بعض الشركات لانخفاض أسعار أسهمها في حالة تعرضها للانتقادات من قبل الصحافة المالية لتوفيرها تقارير غير حقيقية نتيجة ممارسات إدارة الأرباح.

أساليب إدارة الأرباح في القوائم المالية

1.قائمة الدخل وتتمثل في:

أ. التلاعب بالدفاتر: تقوم الشركة بالتلاعب بأرقام حساباتها مستخدمة العديد من الأساليب، لتحقيق موازنة مستهدفة أو ضمان معدل معين من المكافآت، وفيما يلي الأساليب التي تستخدمها الشركة للتلاعب بحساباتها وتوليد الأرباح:

ب. تأجيل الإيراد: حجز مبلغ معين بوصفه مبيعات جارية عندما يكون تقديم الخدمات يمتد لأكثر من سنة أي تسجيل الدفعة الكاملة من المبيعات في نفس الفترة التي تم استلامها فيها، مع أنها تخص أكثر من سنة مالية.

ج. القنوات التوزيعية: يرسل الصانع شحنة للموزع في نهاية الربع الأخير من السنة، ويقيدها في خانة المبيعات بالرغم من أنها ليست مبيعات فعلية.

د. تأجيل المصروفات: تقوم بعض الشركات برسملة مصاريف تخص السنة الحالية وتحميلها لعدد من السنوات القادمة، بدلاً من استنزالها من دخل السنة التي حدثت فيها.

2. قائمة المركز المالي وتتمثل في:

أ. الأصول غير الملموسة: يتم تضخيم بنود الأصول غير الملموسة بما يخالف الأصول والقواعد المنصوص عليها ضمن معايير المحاسبة الدولية، إضافةً إلى إجراء تغيرات في طرق الأطفاء المتبعة في تخفيض هذه الأصول.

ب. الأصول الثابتة: يتم الالتزام بمبدأ التكلفة التأريخية في تحديد القيمة المدرجة في قائمة المركز المالي، بالإضافة إلى التلاعب في نسب الإهلاك المتعارف عليها للأصول عن طريق تخفيضها عن تلك النسب المستخدمة في السوق.

ج. الاستثمارات المتداولة: التلاعب في أسعار السوق التي تستخدم في تقييم محفظة الأوراق المالية، إضافةً إلى إجراء تخفيضات في مخصصات انخفاض الأسعار.

3. قائمة التدفقات النقدية

تتمثل أساليب إدارة الأرباح في قائمة التدفقات النقدية في الآتي:

أ. تصنيف النفقات التشغيلية باعتبارها نفقات استثمارية أو نفقات تمويلية والعكس.

ب.دفع تكاليف التطوير الرأسمالي وتسجيلها باعتبارها تدفقات نقدية استثمارية خارجة واستبعادها عن التدفقات النقدية الخارجة التشغيلية، فإن هذه الممارسات تزيد من التدفقات النقدية الداخلة.

ج.التلاعب بالتدفقات النقدية التشغيلية بهدف التهرب من الضرائب خلال عمل تعديلات في التدفقات النقدية التشغيلية، التي تتمثل في تخفيض مكاسب بيع

الاستثمارات وبعض حقوق الملكية، بالإضافة إلى العمليات غير المكتملة، إزالة تأثير الضرائب عن هذه العمليات من التدفقات النقدية التشغيلية.

الدراسات السابقة

1. دراسة، محمد، محمد سعيد: 2004م

هدفت الدراسة إلى إجراء دراسة تحليلية اقتصادية لتأثيرات الدور التعاقدي للمعلومات المحاسبية في اختيار الإدارة لدرجة التحفظ المحاسبي. اهتمت الدراسة بالتركيز على الاتجاهات المعاصرة المتعلقة بالربط بين السلوك الإداري وهيكل الملكية من خلال استخدام النموذج الإيجابي. تمثلت مشكلة الدراسة في عدم تحديد العلاقة بين الأرباح المحاسبية ومتغيرات السوق. استخدمت الدارسة المنهج الاستقرائي والاستنباطي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها أن الاختيار الإداري للسياسات والطرق المحاسبية يؤدي إلى تعظيم الأرباح في المنشآت التي لديها خطط للحوافز والمكافآت. أوصت الدراسة بتحديد موقف مراقب الحسابات للحد من إمكانية التلاعب بالأرباح.

يتضح للباحثين أن هذه الدراسة تناولت ظاهرة التحفظ المحاسبي بما فيها تغير السياسات المحاسبية وممارسات إدارة الأرباح، وأنها تختلف عن دراسة الباحثين في أنها لم تتناول أثر تغير السياسات المحاسبية على أغراض القوائم المالية ودور حوكمة الشركات في الحد منها.

2. دراسة، إبراهيم، محمد أحمد: 2005م

تكمن أهمية الدراسة في الاستفادة من المؤشرات والنسب المحاسبية التي تسعى الدراسة إلى صياغتها في الكشف عن ممارسة إدارة الأرباح في شركات المساهمة المصرية. هدفت الدراسة إلى التعرف على المراحل المختلفة التي تمر بها عملية إدارة الأرباح. تمثلت مشكلة الدراسة في سلبيات ممارسة إدارة الأرباح في الوحدة

المحاسبية والتي تتعدد آثارها بحيث تؤثر على مستقبل الوحدة الاقتصادية وقدرتها على الاستمرار. استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج الإيجابي والمنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، تعدد المفاهيم والمصطلحات المحاسبية التي يتضمنها الفكر المحاسبي والمعبرة عن ممارسة إدارة الأرباح في الوحدة الاقتصادية مما يشير إلى أهمية وخطورة تأثيرها على حاضر ومستقبل الوحدة الاقتصادية. أوصت الدراسة بمراجعة التشريعات الاقتصادية المختلفة وذلك بغرض صياغة بعض الموارد التي تستخدمها الإدارة لممارسة إدارة الأرباح وإضافة مواد جديدة تحد من الإقبال عليها.

تناولت الدراسة أهمية استخدام المؤشرات والنسب المحاسبية في الكشف عن ممارسات إدارة الأرباح وتحليل أدوات الرقابة على الأداء الإداري بالوحدات الاقتصادية، وتختلف عنها في تضمنها لكافة الأساليب والأدوات التي تعمل على الحد من ممارسات إدارة الأرباح من خلال تركيزها على الشركات المساهمة المدرجة بسوق الخرطوم للأوراق المالية.

3. دراسة: Liu, Qiao: 2007

تمثلت مشكلة الدراسة في أزمة الأسواق الناشئة في الفترة من **1997**م، **1998**م وإمكانية تطبيق مبادئ حوكمة الشركات. هدفت الدراسة إلى تقديم أدلة تجريبية لتحكم المساهمين في الأسواق الناشئة. اهتمت الدراسة بدراسة العلاقة بين إدارة الأرباح وحوكمة الشركات في الشركات الصينية. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، وجود ارتباط وثيق بين إدارة الأرباح وحوكمة الشركات. أوصت الدراسة بتطوير القوانين والإجراءات التي تطبق على أسواق المال.

4. دراسة Yu, Fang: 2008

هدفت الدراسة إلى بيان سلوك المحللين الماليين وتأثيرهم على إدارة الأرباح. اهتمت الدراسة ببيان تأثير تحليل القوائم المالية وتوزيع المعلومات في الشركات على المستثمرين. تمثلت مشكلة الدراسة في عدم تناسق المعلومات بين الشركات والمستثمرين ليس فقط من خلال القدرة على تلخيص وتوزيع المعلومات على المستثمرين بل من خلال وجودها يؤثر على نوعية المعلومات. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، مستوى تغطية المحلل المالي هو أقل المكاسب المتصلة بإدارة الأرباح. أوصت الدراسة بوضع قوانين أكثر صرامة لردع انتهازية إدارة الأرباح.

يتضح لنا أن هذه الدراسة وضحت آليات تقويم القوائم المالية للشركات المساهمة من خلال سلوك المحللين الماليين. وتختلف الدراسة الحالية عنها في أنها تطرقت إلى كيفية ترشيد المعلومات المالية وتفسيرها لبنود القوائم المالية لتحقيق جودة المعلومات المحاسبية.

5. دراسة Sireger, Veronica Sylvia: 2008

تكمن أهمية الدراسة في إبراز تلاعب إدارات الشركات وتأثيرها على هيكل الملكية. هدفت الدراسة إلى التعرف على هيكل الملكية وممارسات إدارة الأرباح. تمثلت مشكلة الدراسة في المشاكل التي تواجه اختيار نوع معين من إدارة الأرباح. استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، أن مديري الشركات الصغيرة قادرون على الاحتفاظ بمعلومات إدارة الأرباح بنجاح أكثر من نظرائهم في الشركات الكبيرة. أوصت الدراسة بوضع استراتيجية وطنية لإصلاح حوكمة الشركات.

ونرى أن هذه الدراسة تناولت العلاقة بين هيكل الملكية وممارسات حوكمة الشركات والدور الذي تسهم به في الحد من ممارسات إدارة الأرباح. وتختلف

الدراسة التي نحن بصددها بيان دور المعلومات المحاسبية في الحد من ممارسات إدارة الأرباح.

6. دراسة، العبادي، مصطفى راشد: 2008م.

اهتمت الدراسة بتحديد مداخل ممارسات إدارة الأرباح والربط بينها وبين مسئولية مراجع الحسابات في ضوء معايير المراجعة التي تحدد مستوى جودة الأداء المهني للمراجع. هدفت الدراسة إلى تحديد مسئولية مراجع الحسابات عن تحريفات القوائم المالية الناتجة عن ممارسات الإدارة لعمليات إدارة الأرباح. تمثلت مشكلة الدراسة في عدم تحديد مدى مسئولية مراجع الحسابات عن تحريفات القوائم المالية الناتجة عن ممارسات إدارة الأرباح. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي. وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها أنه توجد مداخل لإدارة الأرباح تخرج عن حدود مسئولية المراجع. وقد أوصت الدراسة بإعداد وتعديل التقديرات المحاسبية بالقوائم المالية سواء من خلال بناء تقديرات متحيزة أو تعديل أسس هذه التقديرات مع عدم الإفصاح الكافي عن آثار هذه التعديلات على نتائج الأعمال والمركز المالي.

يتضح للباحثين أن هذه الدراسة تناولت الجوانب المحاسبية لممارسات إدارة الأرباح وحدود مسئولية مراجعي الحسابات عن مخاطر تحريفات القوائم المالية الناتجة عن ممارسات إدارة الأرباح في ضوء استخدام المداخل المختلفة لهذه الممارسات، وتختلف دراسة الباحثين في تصميم وتنفيذ مجموعة من الإجراءات لجمع أدلة إثبات كافية ومناسبة للحد من ممارسات إدارة الأرباح.

7. دراسة، عواد، هشام حسن، 2008م

تمثلت مشكلة الدراسة في تساؤلات، ما هي الأساليب المتبعة من قبل الإدارة في إدارة الأرباح؟ وماهي النماذج والأساليب المقدمة للكشف عن ممارسات الإدارة في إدارة الأرباح؟ واهتمت الدراسة في كشف عمليات ممارسات إدارة الأرباح في الشركات المساهمة المصرية. هدفت إلى تقييم الأساليب المختلفة التي تضعها الحكومات والمنظمات المهنية والعلمية للكشف والحد من ممارسات إدارة الأرباح. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي ودراسة الحالة. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، هناك تداخل في الأساليب والممارسات التي تلجأ إليها الإدارة في إدارة الأرباح. أوصت الدراسة بدراسة مسئوليات مراقبي الحسابات لتتضمن ابداء رأيهم في مدى قيام إدارة الشركات باتباع ممارسات محاسبية ترتبط بإدارة الأرباح.

8. دراسة، أبو عجيلة،عماد محمد، 2010م

هدفت الدراسة إلى التعريف بظاهرة إدارة الأرباح من حيث المفهوم والدوافع والأسباب. اهتمت الدراسة بفحص تأثير ارتباط مكتب المراجعة بمكاتب مراجعة عالمية في ممارسة إدارة الشركة لإدارة الأرباح. تمثلت مشكلة الدراسة في تحريف أداء الشركات المساهمة من خلال التلاعب في الأرباح مما ينشأ تعارض المصالح بين إدارة الشركة والجهات الخارجية. استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأتعاب المراجعة على إدارة الأرباح. أوصت الدراسة بالتأكيد على توفير بيئة مراقبة ذات جودة عالية تعمل على الحد من الممارسات غير المرغوب فيها.

ونرى أن هذه الدراسة استخدمت لجنة المراجعة كإحدى أدوات حوكمة الشركات في الحد من ممارسات إدارة الأرباح بما فيها تغيير السياسات المحاسبية وتختلف

دراسة الباحثين بأنها تطرقت إلى آثار ودوافع ممارسات إدارة الأرباح ومعالجة التغير الإداري للسياسات المحاسبية.

9. دراسة، لطفي، محمد علي، 2010م

اهتمت الدراسة بتحسين نتيجة النشاط عن طريق التأثير في سلوك واتجاه التكاليف الخاصة بالمنشأة بما تتخذه من إجراءات لرفع كفاءة التشغيل ورفع مستوى أداء العاملين بها. هدفت الدراسة إلى صياغة إطار فلسفي لإدارة التكلفة المستهدفة في ظل المتغيرات البيئية الحديثة. تمثلت مشكلة الدراسة في عدم متابعة عمليات التحسين المستمر لترشيد القرارات المتعلقة بتقدير التكلفة. استخدمت الدراسة المنهج الإيجابي بقياس أثر تطبيق التكلفة المستهدفة على استخدام موارد المنشأة ثم رصد أي اختلافات محتملة بين تلك التقديرات والتقديرات الناتجة عن الأسلوب المستخدم في المنشأة محل التطبيق. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، لا يؤدي استخدام إدارة التكلفة المستهدفة إلى ترشيد القرارات المتعلقة بتقدير الأرباح. أوصت الدراسة بالعمل على تأصيل روح التعاون بين المنشآت الاقتصادية المختلفة.

ويتضح لنا أن هذه الدراسة ركزت على ترشيد القرارات المتعلقة بتقدير التكلفة بهدف زيادة جودة المعلومات المحاسبية في عملية إدارة الأرباح وأنها تختلف عن دراستنا بأنها ركزت فقط على التكاليف لتخطيط الأرباح، بينما دراسة الباحثين ركزت على العوامل التي تساعد على تخطيط الأرباح.

10. دراسة، الصباح، سالم أحمد، 2012م

تكمن أهمية الدراسة في التأكيد على ممارسة المراجع الخارجي وبذله العناية المهنية اللازمة للحد من الآثار السلبية للمحاسبة الإبداعية على صحة وعدالة القوائم المالية. تمثلت مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية: ما مدى تأثير استخدام أساليب إدارة الأرباح على المعلومات الواردة في قائمة المركز المالي؟ هل تؤثر إدارة

الأرباح عند تدخل إدارة الشركة في وضع السياسات والتقديرات المحاسبية والمخصصات والاحتياطيات على المعلومات الواردة في القوائم المالية؟ هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم وأساليب إدارة الأرباح المستخدمة وأثرها على المعلومات الواردة بالقوائم المالية. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى نتائج منها، يعد انتشار وتنوع أساليب وخطط إدارة الأرباح من الأسباب الرئيسية لعدم الثقة بالبيانات المحاسبية. أوصت الدراسة بضرورة قيام الجمعيات المهنية للمحاسبة والمراجعة باقامة دورات متخصصة لأعضائها تتعلق بتوضيح التأثيرات السلبية لأساليب وإجراءات إدارة الأرباح على مهنتي المحاسبة والمراجعة وبيان كيف تؤثر تلك الأسباب في حدوث الانهيارات المالية للشركات العالمية.

يتضح لنا بأن هذه الدراسة تناولت أساليب طرق إدارة الأرباح وأثرها على المعلومات الواردة بالقوائم والتقارير المالية وموقف المراجع الخارجي منها، تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثين في الأساليب والدوافع الرئيسية لممارسة إدارة الأرباح وكيفية الحد منها، وقد استفاد الباحثان من هذه الدراسة في بناء الإطار العام لسلوك الإدارة تجاه ممارستها لإدارة الأرباح.

الدراسة الميدانية

أداة الدراسة

أداة الدراسة عبارة عن الوسيلة التي يستخدمها الباحثان في جمع المعلومات اللازمة عن الظاهرة موضوع الدراسة، ويوجد العديد من الأدوات المستخدمة في مجال البحث العلمي للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة للدراسة، وقد اعتمد الباحث على الاستبانة كأداة رئيسة لجمع المعلومات من عينة الدراسة.

ثبات وصدق أداة الدراسة

يقصد بثبات الاختبار أن يعطي المقياس نفس النتائج إذا ما استخدم أكثر من مرة تحت ظروف مماثلة، ويعني الثبات أيضاً أنه إذا ما طبق اختبار ما على مجموعة من الأفراد ورصدت درجات كل منهم، ثم أعيد تطبيق الاختبار نفسه على المجموعة نفسها وتم الحصول على الدرجات نفسها يكون الاختبار ثابتاً تماماً، كما عرف الثبات أيضاً بأنه مدى الدقة والاتساق للقياسات التي يتم الحصول عليها مما يقيسه الاختبار. أما الصدق فهو مقياس يستخدم لمعرفة درجة صدق المبحوثين من خلال إجاباتهم على مقياس معين، ويحسب الصدق بطرق عديدة كونه يمثل الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وتتراوح قيمة كل من الصدق والثبات بين الصفر والواحد الصحيح. والصدق الذاتي للاستبانة هو مقياس الأداة لما وضعت، وقياس الصدق هو معرفة صلاحية الأداة لقياس ما وضعت له، ولحساب صدق وثبات الاستبيان كما في أعلاه قام الباحثان بأخذ عينة استطلاعية بحجم (5) أفراد من مجتمع الدراسة وتم حساب ثبات الاستبانة من العينة الاستطلاعية بموجب طريقة التجزئة النصفية وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الجدول (1) الثبات والصدق الإحصائي لإجابات أفراد العينة على الاستبيان

الفرضيات	معامل الثبات	معامل الصدق الذاتي
الأولى	0.70	0.83
الثانية	0.57	0.75
الثالثة	0.67	0.82
الاستبيان كاملاً	0.86	0.93

المصدر: إعداد الباحثين من الدراسة الميدانية، 2015م

يتضح من نتائج الجدول رقم (1) أن جميع معاملات الثبات والصدق لإجابات أفراد العينة على العبارات المتعلقة بكل فرضية من فرضيات الدراسة الثلاث، وعلى الاستبانة كاملاً كانت أكبر من (50%) والبعض منها قريبة جداً إلى(100%) مما يدل على أن الاستبانة تتصف بالثبات والصدق الكبيرين بما يحقق أغراض البحث، ويجعل التحليل الإحصائي سليماً ومقبولاً.

الأساليب الإحصائية المستخدمة

لتحقيق أهداف الدراسة وللتحقق من فرضياتها، تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

1. الأشكال البيانية.
2. التوزيع التكراري للإجابات.
3. النسب المئوية.
4. معامل ارتباط بيرسون.
5. معادلة سبيرمان–براون لحساب معامل الثبات.
6. الوسيط.
7. اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الإجابات.

وللحصول على نتائج دقيقة قدر الإمكان، تم استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) والذي يشير اختصاراً إلى الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Sciences).

تطبيق أداة الدراسة

تم توزيع الاستبانة على عينة الدراسة، وقد تم تفريغ البيانات والمعلومات في الجداول التي أعدها الباحثان لهذا الغرض، حيث تم تحويل المتغيرات الأسمية (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة) إلى متغيرات كمية (5، 4، 3،

2، 1) على الترتيب وتم تفريغ البيانات في الجداول. للإجابة على تساؤلات الدراسة والتحقق من فرضياتها سيتم حساب الوسيط لكل عبارة من عبارات الاستبانة والتي تبين آراء عينة الدراسة حول دور جودة المعلومات المحاسبية في الحد من ممارسات إدارة الأرباح حيث تم إعطاء الدرجة (5) كوزن لكل إجابة " أوافق بشدة"، والدرجة (4) كوزن لكل إجابة "أوافق"، والدرجة (3) كوزن لكل إجابة "محايد"، والدرجة (2) كوزن لكل إجابة "لا أوافق"، والدرجة (1) كوزن لكل إجابة "لا أوافق بشدة". إن كل ما سبق ذكره وحسب متطلبات التحليل الإحصائي هو تحويل المتغيرات الاسمية إلى متغيرات كمية، وبعد ذلك سيتم استخدام اختبار مربع كاي لمعرفة دلالة الفروق في إجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات كل فرضية.

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى من فرضيات الدراسة على الآتي:

"**توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ملاءمة المعلومات المحاسبية وممارسات إدارة الأرباح**".

وللتحقق من صحة هذه الفرضية، ينبغي معرفة اتجاه آراء عينة الدراسة بخصوص كل عبارة من العبارات المتعلقة بالفرضية الأولى، ويتم حساب الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على كل عبارة ومن ثم على العبارات مجتمعة، والوسيط هو أحد مقاييس النزعة المركزية الذي يستخدم لوصف الظاهرة والذي يمثل الإجابة التي تتوسط جميع الإجابات بعد ترتيب الإجابات تصاعدياً أو تنازلياً، ويوضح الجدول رقم (2) الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية الأولى.

جدول رقم (2) الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية الأولى

ت	العبارات	الوسيط	التفسير	درجة الحرية	قيمة مربع كاي
1	التعارض بين خصائص المعلومات المحاسبية في القياس المحاسبي يؤدي إلى ممارسات إدارة الأرباح	4	أوافق	4	4
2	التلاعب في الأرباح يؤدى إلى تعارض المصالح بين إدارة الشركة والجهات الخارجية	4	أوافق بشدة	2	15.7
3	ممارسات إدارة الأرباح تهدف إلى التاثير على مستخدمى المعلومات المحاسبية بهدف إظهار التوازن بين العائد والمخاطرة	4	أوافق	2	7.8
4	تستخدم الإدارة أساليب إدارة الأرباح للتاثير على الأرقام المحاسبية لدعم ثقة المستخدمين للقوائم المالية	4	أوافق	3	14.5
5	تنبؤات الأرباح التى يصدرها المحللون الماليون تعتبر أحد الأرقام المستهدفة لإدارة الأرباح	4	أوافق	3	14.8
6	يعتبر التلاعب بالأرباح أداة لتضخيم أسعار أسهم الشركة	4	اوافق	3	15.8
7	تلجأ المنشأة إلى التلاعب في الأرباح من خلال الأنشطة الحقيقية	4	أوافق بشدة	4	1.6
8	إدارة الأرباح تدعم سوق رأس المال بتوفير معلومات مفيدة عند إبرام التعاقدات	4	محايد	3	8.1
9	إدارة الأرباح تساعد في توصيل معلومات داخلية لحملة الأسهم للتخلص من مشكلة عدم تماثل المعلومات	4	اوافق	3	4.3
10	المنشأة ذات الأرباح المرتفعة تمارس إدارة الأرباح أكثر من الشركات ذات الربحية المنخفضة	4	اوافق	3	8.8
	جميع العبارات	4	أوافق		

المصدر : إعداد الباحثين من الدراسة الميدانية، 2015م

بلغت قيمة الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على جميع عبارات الفرضية الأولى (4)، وتعني هذه القيمة أن جميع أفراد عينة الدراسة موافقين على ما جاء بعبارات الفرضية الأولى. إن النتائج أعلاه لا تعني أن جميع أفراد عينة الدراسة متفقون على ذلك، حيث أن هناك أفراداً محايدين أو غير موافقين على ذلك، ولاختبار وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أعداد الموافقين والمحايدين وغير الموافقين للنتائج أعلاه تم استخدام اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الإجابات على كل عبارات الفرضية الأولى.

مما تقدم نستنتج أن فرضية الدراسة الأولى والتي نصت على أنه "توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ملاءمة المعلومات المحاسبية وممارسات إدارة الأرباح" قد تحققت.

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية على أنه "توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدوافع الرئيسية لتغيير السياسات المحاسبية ومصداقية المعلومات المحاسبية". ويوضح الجدول رقم (3) الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية الثانية.

جدول رقم (3) الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية الثانية

ت	العبارات	الوسيط	التفسير	درجة الحرية	قيمة مربع كاي
1	تحاول المنشاة تجنب الضرائب بانتهاج بعض الممارسات المحاسبية	4	أوافق	2	9.9
2	تعتمد فائدة المعلومات لمتخذ القرار على عوامل تتعلق بمجال الاستخدام	4	أوافق	2	6.1
3	إذا لم تتوفر المعلومات عند الحاجة إليها فلن يكون لها تأثير على القرار	5	أوافق بشدة	4	20.4
4	تتدخل الإدارة في اختيار وتطبيق مبادئ وسياسات محاسبية	4	أوافق	2	7.8

5	تهدف ممارسات إدارة الأرباح إلى إجراء صفقات بيع صورية في نهاية العام ليتم إلغاؤها خلال العام التالي	4	أوافق	4	4.4
6	يتأثر مستخدم المعلومات بالنموذج القراري المستخدم وطبيعة ومصادر المعلومات التى يحتاجها	4	اوافق	3	0.83
7	يفضل من يستخدمون المعلومات أن تكون المعلومات على درجة من الأمانة مما يعتبر تعارضاً مع إدارة الأرباح	4	اوافق	3	11
8	اختيار الإدارة لطرق وأسلوب الإفصاح ترتبط بالأهداف الخاصة بالإدارة	4	اوافق	3	18
9	تحتاج المعلومات إلى توافر بنية هيكلية ملائمة لتطبيقها من قبل المستخدم	4	اوافق	2	5.4
10	ممارسات إدارة الأرباح تتم بحذف البنود غير المتكررة من خلال عدم تصنيف الأسهم المملوكة للمنشأة باعتبارها أسهم تجارية	3	محايد	3	12.6
	جميع العبارات	4	أوافق		

المصدر: إعداد الباحثين من الدراسة الميدانية، 2015م

بلغت قيمة الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على جميع عبارات الفرضية الثانية (4)، وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد عينة الدراسة موافقين على ما جاء بعبارات الفرضية الثانية. إن النتائج أعلاه لا تعني أن جميع أفراد عينة الدراسة متفقون على ذلك، حيث أن هناك أفراداً محايدين أو غير موافقين على ذلك، ولاختبار وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أعداد الموافقين والمحايدين وغير الموافقين للنتائج أعلاه تم استخدام اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الإجابات على كل عبارة من عبارات الفرضية الثانية.

مما تقدم نستنتج أن فرضية الدراسة الثانية والتي نصت على أن: **عدم اكتشاف التصرفات غير القانونية كالتلاعب من مراجعي الحسابات يؤدي إلى عدم الثقة في رأى المراجع** " قد تحققت.

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة من فرضيات الدراسة على الآتي:

"**ممارسات إدارة الأرباح تؤثر في مصالح أطراف معينة على حساب أطراف أخرى في المجتمع المالي**". ويوضح الجدول رقم (5) الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية الثالثة.

جدول رقم (5) الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الفرضية الثالثة

ت	العبارات	الوسيط	التفسير	درجة الحرية	قيمة مربع كاي
1	تسعى المنشأة لهيكلة المعاملات لإظهار نتائج محاسبية بطريقة منسقة وحيادية	4	أوافق	2	9.9
2	تقليل الاختلافات في النتائج بما يتلاءم مع معايير إعداد التقارير المالية الدولية	4	أوافق	4	25.6
3	تطبيق الإجراءات لزيادة الإيرادات وتخفيض المصروفات الخاصة بنفس الفترة	4	أوافق	2	13.5
4	تهتم الإدارة بالتقارير عن أرقام الربح المحاسبي أكثر من الاهتمام بتقديم معلومات عادلة	4	أوافق	4	14.4
5	تقوم المنشأة بتصنيف النفقات التشغيلية باعتبارها نفقات استثمارية أو نفقات تمويلية	4	أوافق	3	2.4
6	تنفيذ سياسات تشغيلية تختلف عن الممارسات العادية	4	اوافق	3	8.1
7	إظهار التوازن بين العائد ودرجة المخاطرة لاستمرار المنشأة في سوق التنافس	4	اوافق	2	5.4
8	إضافة مكاسب محققة من سنوات سابقة إلى صافي ربح العام الجارى	4	اوافق	3	1.4

9	تعديل الأرباح بما يحسن صورة المنشأة عند إصدار الأسهم الجديدة	4	اوافق	3	14.5
10	يتأثر مستخدم المعلومات بالنموذج القراري المستخدم وطبيعة ومصادر المعلومات التي يحتاجها	4	اوافق	3	9
	جميع العبارات	4	أوافق		

المصدر: اعداد الباحثين من الدراسة الميدانية، 2015م

بلغت قيمة الوسيط لإجابات أفراد عينة الدراسة على جميع عبارات الفرضية الثالثة (4)، وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد عينة الدراسة موافقين على ما جاء بعبارات الفرضية الثالثة. إن النتائج أعلاه لا تعني أن جميع أفراد عينة الدراسة متفقون على ذلك، حيث إن هناك أفراداً محايدين أو غير موافقين على ذلك، ولاختبار وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أعداد الموافقين والمحايدين وغير الموافقين للنتائج أعلاه تم استخدام اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الإجابات على كل عبارة من عبارات الفرضية الثالثة.

مما تقدم نستنتج أن فرضية الدراسة الثالثة والتي نصت على أن: "ممارسات إدارة الأرباح تؤثر في مصالح أطراف معينة على حساب أطراف أخرى في المجتمع المالي" قد تحققت.

نتائج الدراسة

1. تؤدي جودة المعلومات المحاسبية إلى زيادة درجة انتظام وصدق الحسابات ويرفع قيمتها وأهميتها.
2. تهتم الإدارة بالتقارير عن أرقام الربح المحاسبي أكثر من الاهتمام بتقديم معلومات عادلة.
3. تستخدم الإدارة أساليب إدارة الأرباح للتأثير على الأرقام المحاسبية المفصح عنها بالقوائم المالية.

4. تتدخل الإدارة في اختيار وتطبيق مبادئ وسياسات محاسبية.
5. تقوم الشركات بعمليات وصفقات غير عادية لتحويل الشركة من اكتتاب عام إلى مغلق.

توصيات الدراسة

1. ضرورة إعادة النظر في معايير المحاسبة السودانية لجعلها أكثر قدرة على مواجهة ظاهرة إدارة الأرباح.
2. تقييم الممارسات الانتهازية للمنشأة واتخاذ الإجراءات اللازمة ضدها.
3. غياب معايير التقارير المالية الدولية يؤدي إلى اختلاف الأسس التي تعالج العمليات والأحداث المالية للمنشأة.
4. توفر معايير التقارير المالية معلومات مالية ذات جودة وقابلة للمقارنة.
5. يجب إظهار التوازن بين العائد ودرجة المخاطرة لاستمرار المنشأة في سوق التنافس.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

إبراهيم، محمد أحمد (2005) مؤشرات إدارة الأرباح في الوحدة الاقتصادية وكيفية الحد من سلبياتها، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة بنها، العدد الثاني، القاهرة.

أبو عجيلة، عماد محمد (2010) أثر جودة المراجعة في الحد من إدارة الأرباح، المجلة العربية للعلوم الإدارية، جامعة الكويت، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، الكويت.

سالم، بدر الدين فاروق أحمد؛ أحمد، نصر الدين حامد (2013) دور الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في رفع كفاءة التخطيط والرقابة في المؤسسات، مجلة العلوم الاقتصادية، عمادة البحث العلمي، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، العدد الأول، الخرطوم.

الصباح، سالم أحمد (2012) تأثير إدارة الأرباح على المعلومات الواردة بالقوائم المالية وموقف المراجع الخارجي، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، كلية التجارة، جامعة الاسكندرية، مجلد رقم 49، العدد الأول، الاسكندرية.

العبادي، مصطفى راشد (2008) حدود مسئولية مراجعي الحسابات عن الاستجابة لمخاطر تحريفات القوائم المالية الناتجة عن ممارسات إدارة الأرباح، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة بنها، العدد الثاني، القاهرة.

عواد، هشام حسن (2008) نموذج مقترح للتنبؤ بإدارة الأرباح في الشركات المساهمة المصرية، مجلة الدراسات المالية والتجارية، كلية التجارة، جامعة بني سويف، العدد الأول، القاهرة.

لطفي محمد علي (2010) نموذج مقترح لزيادة جودة المعلومات التكاليفية بهدف تخطيط إدارة الأرباح، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة ، كلية التجارة، جامعة عين شمس، العدد الرابع، القاهرة.

محمد، محمد سعيد (2004) أثر الدور التعاقدي للمعلومات المحاسبية على درجة التحفظ المحاسبي وإنعكاس ذلك على إدارة الأرباح، مجلة التجارة والتمويل، كلية التجارة، جامعة طنطا، العدد الثاني، القاهرة.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

Lin, Qiao (2007) Corporate Governance and Earnings Management in the Chinese Listed Companies, (Hong Long: University of Hong Kong, Journal of Corporate Finance 13.

Sireger, Sylvia Veronica (2008) Type of Earning Management and the Effect of Ownership Structure, Firm Size and Corporate Governance Practice (Indonesia: The International Journal of Accounting 43.

Yu, Fang (2008) Analyst Coverage and Earnings Management, (San Francisco: Journal of Financial Economics 88.

طرد الموريسكيين من إسبانيا: الدوافع والأسباب

(1609-1614م)

خديجة خيري عبد الكريم خيري، كلية الإمام الهادي

مستخلص

موضوع هذه الدراسة هو دوافع وأسباب طرد الموريسكيين من إسبانيا في الفترة (1609-1614م). وتتبع هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي من خلال ما توافر من معلومات وحقائق جاء ذكرها في المصادر والمراجع العربية والأجنبية. خلصت الدراسة إلى أنه لم يكن سقوط غرناطة سنة 1492م – في يد النصارى الأسبان– نهاية لحكم المسلمين في الأندلس فحسب؛ بل أعقبته محاولة للقضاء على الإسلام؛ فعلى مرور أكثر من قرن عمدت السلطات الإسبانية إلى محاربة الإسلام، ففرضت النصرانية على مسلمي الأندلس، ثم لاحقتهم محاكم التفتيش للتأكد من إخلاصهم للعقيدة النصرانية. ولما تبين للسلطات الإسبانية فشل سياسة الاستيعاب تلك ارتأت طرد المسلمين (الموريسكيين) إلى خارج أراضيها واضعة بذلك حدًا نهائيًا للوجود الإسلامي في الأندلس.

Abstract

This study deals with the reasons and factors of expulsion of the Moriscos from Spain during (1609-1614). The study followed the analytical historical method. The study revealed that; the fall of Granada in 1492 didn't only mean the end of Muslim rule in al-Andalus, but also serious official Spanish attempts to eradicate Islam from Spain; not only that, but also to impose Christianity on the Muslims there, and to make sure of their true conversion by subjecting them to the harsh and barbaric measures of the Inquisition. Realizing the failure of their policy of such assimilation, the Spanish authorities decided to expel Muslims (Moriscos) from al-Andalus, putting an end to the Muslims' presence in Spain.

مقدمة

دام الحكم الإسلامي للأندلس (إسبانيا- البرتغال حالياً) حوالي ثمانية قرون(711م-1492م)، وطوال هذه المدة كان هناك صراع مستمر بين المسلمين والنصارى الأسبان، انتهى هذا الصراع بخضوع وتبعية مملكة غرناطة – آخر معاقل المسلمين – لملكي قشتالة وأراغون (فرناندو الخامس وإيزابيلا)، عبر اتفاقية عرفت باتفاقية تسليم غرناطة، وبموجبها خضع المسلمون المتواجدون في المملكتين لحكمهما.

كفلت اتفاقية تسليم غرناطة للمسلمين من الشروط ما يمكنهم من التعايش بسلام مع النصارى الأسبان، حيث ضمنت لهم سلامة أرواحهم ومملكاتهم والسماح لهم بممارسة شعائرهم وغيرها من الشروط التي تؤكد مدى حرص المسلمين على تأمين أنفسهم، حيث لم يُغفلوا مسألة تخص حقوقهم إلا وأكدوا عليها، أضف إلى ذلك أن الملكين تعهدا بأن الاتفاقية ملزمة لهما ولخلفائهما من بعدهما.

وعلى الرغم من أن اتفاقية تسليم غرناطة كفلت للمسلمين الحرية الدينية إلا أن الأسبان سرعان ما نقضوا الاتفاقية وأرغموا المسلمين على اعتناق النصرانية، وسموا بالموريسكيين أي النصارى الجدد؛ وهو الاسم الشائع في الوثائق الإسبانية الخاصة بتلك الفترة كما غدا مصطلحًا متداولًا بين الكتاب والباحثين منذ القرن السادس عشر الميلادي وحتى قرننا هذا.

لم يكتف الأسبان بفرض التنصير فحسب بل أخذوا في ملاحقة المسلمين في عاداتهم وتقاليدهم، فكل فعل مغاير للمعتقدات النصرانية، غدا جرمًا يعاقب عليه الشخص بالقتل والنفي ومصادرة الممتلكات ودفع الغرامات، كل هذا والمسلمون صابرون متمسكون بدينهم في الصدور مظهرين تنصرهم، في محاولة منهم للتعايش مع النصارى الأسبان في أرضهم التي سلبت منهم.

وبمرور الوقت أدرك الأسبان فشل سياسة استيعاب المسلمين في المجتمع الأسباني النصراني كنصارى مخلصين للدولة الإسبانية. فبدأت السلطات الإسبانية تفكر في الكيفية التي ستتخلص بها من المسلمين، فتم طرح عدة مقترحات نحو تجميعهم في أحياء خاصة بهم والسماح لهم باتباع دينهم، أو إبادتهم جميعاً، أو طردهم.

وبعد ثمانية وعشرين عامًا من التفكير في الكيفية التي ستحل بها مشكلة المسلمين المتنصرين (الموريسكيين)، اتخذ الملك **فيليب الثالث** سنة 1608م قرار طردهم من إسبانيا، وتم تنفيذ القرار في العام التالي– أي سنة 1609- واستمرت عملية الطرد لعدة أعوام متتالية حتى أعلن الملك فيليب في العشرين من فبراير عام 1614م اكتمال عملية الطرد. وهكذا تم إنهاء الوجود الإسلامي رسميًا، وذلك بعد تسعة قرون وثلاث سنوات من دخوله لشبه الجزيرة الأيبيرية.

أهمية الدراسة

إن قضية مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة(897هـ/1492م) وطردهم من إسبانيا سنة(1018هـ/1609م)، قضية مطروحة بين الباحثين– في المشرق والمغرب– منذ أواخر القرن الماضي وفي قرننا هذا، ولقد عقدت–خلال تلك الفترة– العديد من المؤتمرات والندوات التي تهدف إلى إعادة تقييم هذه الفترة من تاريخ المسلمين في إسبانيا، وكشف الغامض من جوانبها، ومن هنا برزت أهمية هذه الفترة الأخيرة من تاريخ المسلمين في الأندلس، ومن ثم كان الاهتمام بدراسة الطرد النهائي للموريسكيين من إسبانيا.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تناول الأسباب التي دفعت السلطات الإسبانية لاتخاذ قرار طرد الموريسكيين بين عامي (1609-1614م) وذلك بعد أن فشلت – أي السلطات الإسبانية– في استيعاب المسلمين في المجتمع الأسباني النصراني كنصارى لا شك في ولائهم للدولة الإسبانية.

أسئلة الدراسة

في محاولة لمعرفة الأسباب التي دفعت السلطات الإسبانية لطرد الموريسكيين، تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. إلى أي مدى التزم النصارى الأسبان ببنود تسليم غرناطة؟
2. كيف تعاملت السلطات الإسبانية مع المسلمين بعد زوال سلطانهم وخضوعهم لحكم النصارى الأسبان؟
3. ما هي ردود أفعال المسلمين تجاه السياسات الإسبانية الرامية إلى استيعابهم في المجتمع الأسباني النصراني كنصارى لا كمسلمين؟
4. هل هناك عوامل داخلية وخارجية أثرت في اتخاذ قرار الطرد؟
5. ما هي مبررات الملك فيليب الثالث لاتخاذه قرار طرد الموريسكيين؟

منهج الدراسة

في هذه الدراسة تم اِتباع المنهج التاريخي التحليلي من خلال ما توافر من معلومات وحقائق، جاء ذكرها في المصادر والمراجع العربية والأجنبية، ومن ثم تحليلها وفقًا للمنهج التاريخي.

مصطلحات الدراسة

المدجن؛ لفظ يطلق على المسلم الأندلسي الذي خضع لحكم الأسبان مع بداية التقدم النصراني على الأراضي الإسلامية الأندلسية – في القرن الثاني عشر الميلادي وحتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي– ولم يرغم على اعتناق النصرانية.

الموريسكي؛ لفظ يطلق على مسلمي الأندلس الذين أرغموا على اعتناق الدين النصراني وفقًا لمراسيم تنصير ثلاثة صدرت على التوالي سنة1502م، 1512م، و1525م.

1. سياسة الاستيعاب الإسبانية ما بين قبول الموريسكيين ورفضهم لها:

خضع مسلمو الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة897ه /1492م، للحكم الأسباني وظلوا من رعاياه لمدة قرن وربع، وخلال هذه الفترة عمدت السلطات الإسبانية إلى اتخاذ عدة إجراءات ضد المسلمين، تفاوتت مابين الشدة واللين، وتباينت معها ردود أفعال المسلمين. وتمثلت تلك الإجراءات في:

أ.فرض التنصير

كان من شروط تسليم غرناطة، أن يحتفظ المسلمون بحريتهم الدينية وأملاكهم، على أن يكونوا من رعايا ملكي قشتالة و أراغون (Lea, 1887,1: 109-110) لكن الملكين لم يلتزما بذلك إلا لبضع سنوات، وذلك حتى يتسنى لهما أن يبسطا سيطرتهما وسلطانهما على غرناطة، فخلال السنوات السبع الأولى من سقوط غرناطة، انتهجت السلطات الإسبانية الملكية والكنسية سياسة من اللين والتسامح في محاولة لتنصير المسلمين عن طريق إقناعهم باعتناق النصرانية (Marmol, 1797,1: 104-105).

وبعد انقضاء تلك السنوات السبع وبالتحديد عام 1499م، تغيرت سياسة السلطات الإسبانية تجاه مسلمي غرناطة، وأخذت على إرغامهم على اعتناق النصرانية (مؤلف مجهول، 2002، 44) واستكمالاً لنجاح عملية التنصير، عمدت السلطات الكنسية إلى إحراق عدد كبير من الكتب العربية الإسلامية قدرت بنحو مليوني كتاب (Gaviria, 1861: 45 . Busk, 1833: 183).

ونتيجة لتلك السياسات، وكرد فعل مباشر من قبل المسلمين؛ اندلعت العديد من الثورات في مناطق متفرقة من مملكة غرناطة ــ ولم يستطع الموريسكيون بثوراتهم تلك تغيير موقف السلطات الإسبانية من عملية التنصير، فصدر في حق الموريسكيين مرسومان ملكيان؛ صدر الأول في شهر يوليو سنة1501م، تم بموجبه

إلغاء ممارسة الإسلام في جميع أنحاء مملكة غرناطة كما منع الغرناطيين من الاتصال بمقاطعات مملكة قشتالة الأخرى (Gaviria, 1861: 56).

أما المرسوم الملكي الثاني فصدر في الثاني عشر من فبراير سنة 1502م، و يقضي هذا المرسوم بطرد أعداء الدين النصراني من مملكتي **قشتالة** و**ليون**، ويلزم جميع المسلمين الأندلسيين في المملكتين – ممن لم يتعمدوا بعد– بالرحيل فلا يبقى ذكر فوق سن الرابعة عشرة، ولا أنثى يزيد عمرها على الثانية عشرة في قشتالة وليون بعد شهر أبريل من نفس السنة إلا إذا تنصروا، وعلى من يرغب بالرحيل سمح له ببيع العقارات والأملاك وحظر عليه حمل الذهب والفضة (Janer,1857: 23. Also: Scott, 1904,3: 252).

وبمقتضى قانون التنصير، ظهر **(مصطلح موريسكي)** ويعني المسلم الذي قبل اعتناق النصرانية وتعمد في إسبانيا. والتعميد لم يكن مجرد شعيرة دينية نصرانية، بل كان بداية لوضع اجتماعي جديد، تم بمقتضاه تحول الشخص المسلم إلى نصراني بعد تعميده، وعلى ذلك أصبح خاضعًا لسلطة محاكم التفتيش، وهي السلطة المسؤولة عن مراقبة تصرفاته، ومعاقبته إذا ثبت تشبثه بعقيدته الإسلامية، وممارسته لأي طقوس تمت لها بأي صلة (ايبالثا، 2005: 70؛ Harvey, 2005: 2-3).

واستكمالًا لسياسة السلطات الإسبانية الرامية إلى فرض التنصير على كل مسلمي مملكة قشتالة؛ صدر سنة 1512م مرسوم قضى بفرض التنصير على المسلمين المدجنين في مملكة نابارا (ايبالثا ، 2005: 113).

وقد اقتصرت سياسة التنصير التي تمت خلال عهد الملكين الكاثوليكيين **فرناندو** Fernando **وايزابيلا** Isabel على مسلمي التاج القشتالي (مملكة قشتالة– مملكة غرناطة– مملكة ليون– مملكة نابارا) أما مسلمي التاج الأراغوني (مملكة أراغون–

مملكة بلنسية) فلم يفرض التنصير عليهم إلا في عهد الملك **كارلوس الأول** حفيد الملكين الكاثوليكيين.

ولما كان الملك **كارلوس الأول** Carlos I (1516م-1556م) قد أقسم سنة1519م لمسلمي أراغون بعدم التدخل في شؤونهم الدينية (Llorente,1827: 94. Also; Lea,1901: 82) وعلى ذلك لم تصدر السلطات الإسبانية في حق مدجني أراغون أي مراسيم تقضي بفرض التنصير عليهم، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى طلب الملك كارلوس الأول سنة 1524م، من البابا **كليمنت السابع** Clemente V11، أن يحله من ذلك القسم، وفي الثاني عشر من مايو سنة 1524م، وقع البابا على قرار يعفي الملك من كل التعهدات التي أخذها على نفسه لصالح رعاياه المسلمين، وأجاز له استعباد من يرفض التنصير ويرفض الخروج، وتحويل المساجد إلى كنائس على أن تعطى أملاكها وأوقافها إلى السادة النبلاء تعويضاً لهم (Lea,1901: 83-84) (حومد، 1988: 237).

وفي الثالث عشر من سبتمبر 1525م أصدر الملك **كارلوس الأول** مرسومًا يقضي بتنصير كل مدجني بلنسية دون استثناء (Also, Danvila,1889: 90-92 .(Gaviria,1861: 89-91

وبصدور مرسوم التنصير هذا يكون الملك **كارلوس الأول** قد حنث بوعده للمسلمين المدجنين الذين كانوا يعيشون في مملكة أراغون، بعدم التدخل في شؤونهم الدينية.

وفي الخامس والعشرين من نوفمبر أصدر الملك **كارلوس الأول** مرسومًا يلزم كل من لم يتعمد من مدجني بلنسية بمغادرتها عبر منافذ معينة في مدة أقصاها آخر شهر يناير لسنة 1526م، على أن تكون عقوبة من يخالف هذا المرسوم الاستعباد (Gaviria, 1861: 92 Also; Lea, 1901: 82).

أما مدجنو أراغون فقد أخضعوا إلى نفس القوانين التي تم تطبيقها على مدجني بلنسية، وبذلك فرض التنصير على كل مدجني مملكة أراغون (Lea,1901: 90).

وهكذا نجحت السلطات الإسبانية في فرض التنصير على كل مسلمي إسبانيا، وفقًا لمراسيم ملكية بدعم من الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها بابا روما.

ب. قطع صلات الموريسكيين بالإسلام

لم تكتف السلطات الإسبانية في سياستها تجاه الموريسكيين بفرض التنصير على كل مسلمي إسبانيا فحسب بل عمدت إلى إصدار عدة مراسيم ملكية هدفت إلى قطع صلات الموريسكيين نهائيًا بالإسلام، وذلك حتى يتم استيعابهم في المجتمع النصراني كنصارى مخلصين، فبموجب عدة مراسيم صدرت بين عامي1509م-1551م في حق موريسكي التاج القشتالي منع الموريسكيون من اقتناء الكتب الدينية، ومن الزواج الإسلامي، ومن توزيع تركاتهم ومن ذبح حيواناتهم على الطريقة الإسلامية، ومن حمل السلاح إلا بإذن من السلطات الإسبانية، ومن السفر إلى الأراضي الجديدة (أمريكا) ومن التجارة (Janer, 1857: 25-26) (حتاملة، 2000: 718-721. كارداياك، 1983: 147).

أما موريسكيو التاج الأراغوني فقد صدرت في حقهم عدة مراسيم لم تختلف كثيرًا عن تلك التي صدرت في حق موريسكي التاج القشتالي، منها المرسوم الصادر في 16/ نوفمبر سنة 1525م والذي قضى بمنع ممارسة الدين الإسلامي نهائيًا في مملكة بلنسية، ترتب عليه نزع سلاحهم، وإغلاق مساجدهم، ومنعهم من التجمعات سواء للصلاة أو للوعظ أو للدفن، ومنعهم من ممارسة أي شعيرة تمت للإسلام بأي صلة (احتفال بالأعياد- ذبح الحيوانات- ختان الأولاد)، وألزمهم بوضع هلال أزرق على قبعاتهم وأجبرهم على حضور القداس والصلوات والركوع عند مرور الصليب. (Danvila,1889: 92) (حومد، 1988: 241-242. كذلك أنظر: لونغاس، 2010: 28-29).

وفي السابع من ديسمبر سنة 1526م أصدر الملك **كارلوس الأول** في حق موريسكيي مملكة غرناطة مرسومًا تضمن قائمة مطولة بمنع وحظر عادات تلك الأقلية المسلمة –التي تم تنصيرها– حتى لا يكون لها أي صلة بالإسلام، لا من الناحية الدينية فحسب؛ بل من الجانب الثقافي والعادات؛ نحو منعهم من استخدام الأسماء العربية، ومن استخدام اللغة العربية تحدثًا وكتابة، وبتعلم اللغة الإسبانية، وكتابة عقودهم ومعاملاتهم بها، وبلبس الملابس الإسبانية.

وبموجب هذا المرسوم أيضًا حظر على الموريسكيين استخدام الحمامات، واقتناء العبيد والأسرى لخدمتهم، كما حظر على نسائهم الخضاب، ومن الاحتفال بالأعياد الإسلامية سرًا، وأن تقام احتفالاتهم بالطريقة الإسبانية على أن تظل أبوابهم مفتوحة عند الزواج، وإلى غير ذلك من الممنوعات التي تؤكد نية السلطات الإسبانية على إلغاء كل الملامح التي تميز النصراني الجديد الذي كان مسلمًا، وجعله شبيهًا بالنصراني الأسباني (Scott,1904,3:259-260) (حومد، 1988: 250).

ج. محاكم التفتيش

محاكم التفتيش؛ هيئات أنشأتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للقبض على من سموهم المهرطقين المارقين –الأشخاص المعارضين لتعاليم الكنيسة– ومحاكمتهم. وترجع نشأتها إلى القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ)، وقد أقيمت –محاكم التفتيش– في كثير من أجزاء أوروبا– فرنسا إيطاليا ...–، ولكن محاكم التفتيش الإسبانية كانت هي الأكثر شهرة، وأشهرها تلك المحاكم التي أقامها **فرناندو الخامس** وزوجته **إيزابيلا** الكاثوليكيان؛ لملاحقة الموريسكيين الذين فرضت عليهم النصرانية، للتأكد من إخلاصهم للدين النصراني، وملاحقتهم والقضاء عليهم متى ما تبين لها ممارستهم لأي طقوس تمت بأي صلة لتعاليم الإسلام.

وترجع علاقة محاكم التفتيش بالموريسكيين إلى سنة1502م، وهي السنة التي صدر فيها مرسوم تنصير مسلمي مملكتي غرناطة وقشتالة، ومنذ ذلك التاريخ أخذت محاكم التفتيش في ملاحقة الموريسكيين لاجتثاث الشعائر الإسلامية القائمة ودفعهم إلى الإيمان بالنصرانية، ولتحقيق تلك الغاية، تدخلت في جوانب الحياة اليومية كلها (بنثنت، هورتز، 1988: 128)، فغدا كل موريسكي مطارد من قبل محاكم التفتيش – والتي لم تحترم صغيرًا ولا كبيرًا– فالكل مشتبه به متى ما نسبت إليه أية تهمة، وإن لم يكن ثمة دليل يؤكد عليها.

وقد مثل فقهاء الموريسكيين أكثر الفئات المستهدفة من قبل محاكم التفتيش وذلك أن الفقهاء –في نظر السلطات الإسبانية– كانوا هم المعنيين بالحفاظ على تعاليم الإسلام في أوساط الجماعات الموريسكية، ومن ثم كانوا متهمين بإعاقة عملية الاستيعاب، ولذلك أوصى الملك **فيليب الثاني** محاكم التفتيش سنة 1564م؛ بالتشدد مع الفقهاء (Lea, 1901: 103).

وبصورة عامة عانى الموريسكيون الكثير من إجراءات تلك المحاكم، فعذبوا وأحرقوا وشردوا وصودرت أملاكهم– ولم يسلموا من شرها حتى وهم في عرض البحر، وذلك أن محاكم التفتيش قد عمدت إلى ملاحقاتهم من خلال محكمة البحر والتي كانت جزءًا من محاكم التفتيش (ايبالثا، 2005: 94).

تلك كانت السياسات الملكية والكنسية التي صدرت وطبقت على الموريسكيين، لاستيعابهم في المجتمع النصراني، كنصارى جدد لا كالنصارى الأسبان، وعلى الرغم من تنصر الموريسكيين إلا أنهم لم يحظوا بنفس معاملة السلطات الإسبانية للنصارى الأسبان، فكان من البديهي أن يرفض الموريسكيون تلك السياسات، فتباينت ردود أفعالهم فوجد الموريسكيون أنفسهم أمام خيارين:

أ. خيار التفاهم مع السلطات الإسبانية.

لجأ الموريسكيون إلى خيار التفاهم والتفاوض مع السلطات الإسبانية لإقناعها بتخفيف إجراءاتها ضدهم، ففي سبيل الحصول على بعض التنازلات من السلطات الإسبانية – سواء كانت الملكية أم الكنسية– دفعوا الكثير من أموالهم، نحو ما حدث في قانون سنة 1526م حيث نجح موريسكيو غرناطة في تأجيل تطبيق القانون نظير دفع مبلغ مالي على مدى أربعين عامًا (Lea, 1901: 215-217) .

ب. خيار العصيان المسلح

اختار الموريسكيون خيار العصيان المسلح –على مدى قرن وربع– نحو ثلاث مرات، المرة الأولى كانت بين عامي 1499-1501م، وكانت بسبب فرض السلطات الإسبانية التنصير على مسلمي غرناطة فقامت عدة ثورات في مناطق متفرقة من مملكة غرناطة، انتهت كلها بالفشل وترتب عليها صدور مرسوم تنصير كل مسلمي التاج القشتالي بما فيه مملكة غرناطة (انظر: المقري، 1968،ج،4: 527 أيضاً: عنان، 1997: 324-325).

وفي سنة 1526م، كان العصيان المسلح الثاني، وكان سببه أيضًا التنصير القسري الذي فرضته السلطات الإسبانية على المسلمين المدجنين في بلنسية، اندلعت الثورة في المنطقة الجبلية الفاصلة بين **بلنسية** و**أراغون**، انتهت أيضًا بالفشل وبفرض التنصر على كل مدجني التاج الأراغوني (Janer,1857: 24-27) أيضًا: (بنثنت، هورتز، 1988: 18-19).

أما العصيان الثالث فكان بين عامي 1568م–1572م، واندلع في غرناطة، بسبب سوء معاملة السلطات الإسبانية لموريسكيي **غرناطة**، إذ أصدرت السلطات الإسبانية قانوناً كان في فترة سابقة قد أجل تنفيذه (نعني القانون الذي صدر في عهد كارلوس الأول وتم تأجيله لمدة أربعين سنة) فبسبب هذا القانون اندلعت الثورة في ديسمبر سنة

1568م في البشرات، واستمرت لمدة سنتين، كانت تهدف إلى إلغاء ذلك القانون أو على الأقل تخفيفه، لكنها فشلت في تحقيق أي من الغرضين، وعلى ذلك زادت نقمة الملك **فيليب الثاني** على أهل **غرناطة**، فأصدر في أكتوبر 1570م، قرارًا بنفي الموريسكيين من مملكة **غرناطة** وتهجيرهم إلى قرى مملكة **قشتالة**، وأصدر في 24 من فبراير سنة1571م مرسومًا ملكيًا يقضي بمصادرة جميع ممتلكاتهم لصالح جلالة الملك (Janer, 1857: 246. Also; Harvey, 2005: 234-235).

وهكذا فشلت كل حركات المقاومة التي قام بها الموريسكيون ضد السلطات الإسبانية، كما ازداد حالهم من سيئ إلى أسوأ، وأصبح الموريسكيون في نظر السلطات الإسبانية خونة لا بد من وضع حد لوجودهم في الأراضي الإسبانية.

قرار طرد الموريسكيين والعوامل المؤثرة فيه:

بدأت السلطات الإسبانية سنة 1581م، في التفكير في التخلص من الموريسكيين، وذلك لما تبين لها فشل السياسات التي اتبعتها تجاه الموريسكيين لاستيعابهم في المجتمع النصراني كنصارى مخلصين للدولة الإسبانية. فخلال الفترة الممتدة بين عامي 1581-1598م تم طرح عدة اقتراحات كان الهدف منها وضع حد نهائي للوجود الموريسكي على الأراضي الإسبانية وتمثلت تلك الاقتراحات في:

تجمعيهم في أحياء خاصة بهم والسماح لهم باتباع تعاليم دينهم. والاقتراح الثاني يقضي بإبادتهم؛ أي إفنائهم جميعًا – وذلك إما عن طريق إغراقهم في البحر، أو إرسالهم إلى جزر نائية–. أما الاقتراح الثالث فكان يقضي بطردهم من إسبانيا باستثناء بعضهم كالأطفال ومن اثبتوا ولاءهم للنصرانية (Harvey, 2005: 295-296. Also; Lea,1901: 293-296).

وعلى تلك الاقتراحات لم يتخذ الملك **فيليب الثاني** Felipe II أي إجراء بالتخلص من الموريسكيين، ومع أن خيار الطرد أثير في عهده إلا أنه لم يتم تنفيذه إلا في عهد خليفته الملك **فيليب الثالث** Felipe III أي بعد سبعة وعشرين سنة من طرحه.

ومنذ اعتلاء الملك **فيليب الثالث** عرش إسبانيا سنة 1598م، أخذت السياسة الإسبانية في المضي بخطى جادة في شأن التخلص من الموريسكيين، ففي الثالث من يناير سنة1602م، اقترح في اجتماع مجلس الدولة طرد الموريسكيين، إلا أنه لم يتم الإجماع عليه، واقترح أخذ رأي البابا (Danvila,1889: 250-251. Harvey, 2005: 303).

وفي الثلاثين من يناير سنة 1608م اجتمع مجلس الدولة بكامل أعضائه، واستعرض جميع الآراء والمشاريع السابقة، ووافق بالإجماع على طرد الموريسكيين جميعاً من الأراضي الإسبانية (مداولات تلك الجلسة ضمن الأرشيف العام في سمانكاس، وقد أوردها دانبيلا كاملة (أنظر: Danvila, 1889: 267-269).

أما فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة في صدور القرار في هذا الوقت بالذات فمرجعها إلى:

أ. أوضاع إسبانيا السياسية

لا شك في أن أوضاع إسبانيا وعلاقاتها الدولية كان لها دور في صدور قرار طرد الموريسكيين، وذلك أن إسبانيا عمدت إلى مهادنة كل أعدائها ابتداءً بفرنسا سنة 1598م، ثم انجلترا سنة 1604م، وأخيرًا هولندا سنة 1609م، فتلك الأوضاع مكنت الملك **فيليب الثالث** سنة1609م، دون شك من الوسائل العسكرية والبحرية والمالية اللازمة للقيام بعملية الطرد (إيبارا، 2005: 198) (Gaviria,1861: 154).

ب. الكنيسة الكاثوليكية

تباينت آراء رجال الكنيسة ما بين مؤيد لقرار طرد الموريسكيين ومعارض له، فالفريق الذي أيد القرار كان يرى أن الكنيسة فشلت في تنصير الموريسكيين وعليه

فهم ملحدون ويشكل وجودهم في إسبانيا خطراً على الدولة الإسبانية، وهذا ما أشارت إليه بعض تقارير رجال الكنيسة مثل البطريك ريبيرا –رئيس أساقفة بلنسية– والذي أكد في عدة تقارير بعثها للملك **فيليب الثالث**، عدم رغبة الموريسكيين في اعتناق النصرانية، برغم الجهود الكنسية المبذولة لتعليمهم العقيدة النصرانية. فالموريسكيون في نظر البطريك ريبيرا –رئيس أساقفة بلنسية– " عنيدون، ملحدون، أعداء للتاج الملكي" يجب أن يطردوا (Danvila,1889: 242) .

وإلى جانب هذا الفريق المؤيد لقرار الطرد كان هنالك فريق معارض، على رأسه بابا روما والذي كان له رأي معارض لطرد الموريسكيين، ومنذ صدور قرار الطرد من قبل مجلس الدولة عام 1602م، أصبح مطروحًا على الساحة الحصول على إذن بابوي لهذا الإجراء (Lea, 1901: 311).

وطوال الأعوام التالية وحتى صدور قرار الطرد كانت روما مناهضة لأي إجراء عنيف، ولما لم يكن البابا **بولس الخامس** Paulus V (1605م-1621م) مؤيدًا لقرار الطرد لم يتم إعلامه بالقرار إلا بعد اتخاذه (بيانويبا، 2005: 135-136.). ورغم أن البابا كان على علم تام بكل ما يدور في إسبانيا، إلا أن قرار الطرد الذي اتخذته السلطات الإسبانية ربما أخفته عنه لعلمها برفضه (Harvey, 2006: 302). وإلى جانب البابا كان هناك بعض الأساقفة في بلنسية وغيرها، وبعض رجال محاكم التفتيش عارضوا الطرد، فعلى مستوى إسبانيا كلها لم يكن الرئيس العام لمحاكم التفتيش من أنصار الطرد (ايبالثا، 2005: 150 وبنثنت، هورتز، 1988: 198).

ولعل هذا الاختلاف في الآراء الكنسية مرده إلى رؤية كل من الطرفين للموريسكيين، فالمؤيدون للطرد رأوا فيه حلًا لمشكلة فشل اندماجهم في المجتمع النصراني كنصارى حقيقيين من ناحية دينية، ومن ناحية سياسية درءاً لخطر تحالفهم مع جهات معادية لإسبانيا كالدولة العثمانية أو حتى فرنسا أو الدولة السعدية

في المغرب، أما موقف البابا وأعضاء محاكم التفتيش فقد كانوا يرون مواصلة اتخاذ الوسائل التقليدية من وعظ وإرشاد من أجل تنصير الموريسكيين، وإن كان على المدى الطويل، على أساس تجربة تنصير الوثنيين في الإمبراطورية الرومانية، ونجاح إسبانيا في تنصير قارات تابعة لها في العالم الجديد، فالتنصير كان أهمية دينية وذلك ليجنب الموريسكيين وينقذهم من العذاب في الآخرة، كما وضعوا في الاعتبار الآثار الاقتصادية السيئة التي يمكن أن يحدثها الطرد على دخل الكنيسة وتمويل محاكم التفتيش (ايبالثا، 2005: 151-153).

وأيًا كان التأثير الكنسي، فقد تم طرد الموريسكيين كإجراء رسمي، دون أي تدخل من البابا والذي بقي دائمًا في الظل (بيانويبا، 2005: 136).

ج. النبلاء

طبقة النبلاء- في **بلنسية** و**أراغون**- طبقة لها مكانتها في المجتمع الأسباني كان لها دور بارز في التصدي لقرارات الملوك الأسبان التي تضر بمصالح مستخدميهم من الموريسكيين، ولا سيما قرار الطرد الأخير، فقد عمل النبلاء في بلنسية وأراغون على إبطاله -من خلال إرسال ممثلين إلى الملك- إلا أنهم لم يوفقوا (بنثنت، هورتز، 1988: 182-183).

ولم يكن كل النبلاء ضد الطرد، فدوق ليرما -الذي كان سيدًا لعدد من الموريسكيين- كان من أشد المتحمسين لطرد الموريسكيين، مع العلم أنه كان متحفظًا على هذا القرار عندما طرح سنة 1602م، ولعل الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها طبقة النبلاء كانت سببًا في تغيير مواقف بعضهم، لا سيما وأن الملك قد منحهم أملاك المطرودين (بنثنت، هورتز، 1988: 223 وبيانويبا، 2005: 240) وهكذا لم تشكل طبقة النبلاء أي عقبة عند إعلان مرسوم الطرد.

3. أسباب الطرد ومبررات السلطات الإسبانية:

إن الملوك الأسبان كانوا على وعي تام بمسؤوليتهم الدينية، فمستقبل النصرانية كان في رأيهم إحدى قضايا الدولة التي عهد الله بها إليهم. وعند اتخاذ الملك فيليب الثالث لقرار الطرد؛ لعله تأثر بعامل الوحدة الدينية في ممالكه، تحت راية العقيدة الكاثوليكية التي كان يدافع عنها من خلال السياسة الخارجية في أوروبا وفيما وراء البحار، لا سيما وأن هناك من كان ينتقد الوضع المتناقض والمتمثل في ضم شعوب العالم الجديد إلى الكاثوليكية في الوقت الذي لا تزال إسبانيا تحتفظ بأناس ملحدين، كما من الممكن أن يكون قد أثر في سياسته الدينية تدين زوجته (ايبالثا، 2005: 153-154 بنثنت، هورتز، 1988: 198).

ومن الناحية السياسية كان الموريسكيون يشكلون خطرًا على أمن البلاد نتيجة لعلاقاتهم مع أعداء إسبانيا، وهناك وثيقة قدمت للملك **فيليب الثالث** –في مجلس الدولة المنعقد لمناقشة أمر الموريسكيين– توضح العلاقة التي تجمع الموريسكيين بالسلطان المراكشي زيدان السعدي، ويعلق الباحث الأمريكي هارفي على هذه الوثيقة التي يشكك في صحتها، ويعتقد أنها من اختلاق الدوق ليرما ليثير بها مخاوف الملك ويقول: "إذا صدقنا الوثيقة، فإننا لا نملك إلا أن نفهم أن قرار الطرد كان قرارًا صادرًا عن دولة استعمارية ذات قوة، كرد فعل من حاكم يشعر بعدم الأمان والمقدرة على معالجة أزمة متفاقمة..." (Harvey, 2006: 308).

وفيما يتعلق بمبررات الملك **فيليب الثالث** لاتخاذه قرار الطرد فقد أوضحها الملك في رسالة بعثها لنائبه على بلنسية تضمنت –إلى جانب أسباب الطرد– الكيفية التي سينفذ بها قرار طرد موريسكيي بلنسية والذي بدأ بهم لتشكيلهم الخطر الأكبر؛ خلاف غيرهم من موريسكيي المملكة. وأرجع أسباب الطرد إلى:

1) رفضهم الاندماج في المجتمع النصراني، رغم الجهود التي بذلت من أجل تنصيرهم.

2) خطر الغزو الخارجي، المتمثل في تعاون الموريسكيين مع كل من سلطان مراكش زيدان السعدي والسلطان العثماني في **اسطنبول** و**فرنسا** التي يسميها بالجهة الشمالية تحت القطب (Harvey,Muslims,pp.310-311 .(الشهاب الحجري، 2004: 117-118 ورزوق، 1998: 120-121).

فبالنسبة للسبب الأول والخاص برفض الموريسكيين الاندماج في المجتمع النصراني فهو حقيقي وذلك أن السلطات الإسبانية الملكية والكنسية لم تسع لاستيعاب الموريسكيين كأقلية مسلمة؛ بل كنصارى عن طريق فرض التنصير لدمجهم وتقبلهم كنصارى مخلصين، فهل من السهولة بمكان أن يتخلى الشخص عن دينه الذي يؤمن به ليدخل في دين آخر؟ يقول الملك القوطي **ثيودريك** (ملك القوط الشرقيين): "إننا لا نستطيع أن نفرض ديناً لأنه لا يمكن إجبار إنسان على الإيمان رغمًا عنه" (فرح، 2000: 166).

فالسياسة التي طبقت على الموريسكيين لم تكن سياسة دمج، بل كانت اضطهادًا دينيًا وإبادة حضارية (بيانوبيا، 2005: 138).

أما السبب الثاني والمتعلق بتآمر الموريسكيين مع أعداء **إسبانيا**؛ كاناً فعلاً حقيقة، إلا أنه لم يسفر أبدًا عن نتائج عملية، فتخوف الأسبان من الدولة العثمانية لم يكن حقيقة وذلك أن العثمانيين بعد هزيمتهم في معركة ليبانتو Lepante سنة 1571م فقدوا سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم خلا البحر المتوسط من التنافس الأسباني- العثماني. أما الدولة السعدية فكانت تعاني من اضطرابات سياسية منذ عام 1603م وبذلك لم يكن بمقدورها الدخول في صدام مع إسبانيا وعلى ذلك ليس بالصحيح أن **إسبانيا** في عام 1609م، كانت تقع تحت تهديد تحالف

الموريسكيين مع أعداء **إسبانيا** –العثمانيين والسعديين– الأمر الذي استوجب طردهم (بيانويبا، 2005، ص145) بل على العكس فأوضاع كل من الدولتين العثمانية والسعدية في تلك الفترة لم تكن مبررًا مناسبًا للطرد.

ويضيف الشهاب الحجري من معاصري الطرد؛ سببًا ثالثاً للطرد صرح به لصاحب **هولندا**؛ لما سأله عن سبب طرد الملك فيليب الثالث للموريسكيين، فأجابه: "اعلم أن **الأندلس** كانوا مسلمين في خفاء من النصارى، ولكن تارة يظهر عليهم الإسلام، ويحكمون فيهم، ولما تحقق منهم ذلك لم يأمن فيهم، ولا كان يحمل منهم أحدًا إلى الحروب، وهي التي تفني كثيراً من الناس، وكان أيضاً يمنعهم من ركوب البحر لئلا يهربوا إلى أهل ملتهم، والبحر يفني كثيرًا من الرجال، وأيضاً في النصارى كثيرون قسيسون، ورهبان، ومترهبون، ومترهبات، وبتركهم الزواج ينقطع فيهم النسل، وفي الأندلس لم يكن فيهم قسيسون ولا رهبان ولا مترهبات، إلا جميعهم يتزوجون، ويزداد عددهم بالأولاد، وبترك الحروب، وركوب البحر، وهذا الذي ظهر لي حمله على إخراجهم، لأنهم بطول الزمن يتكاثرون" (الشهاب الحجري، 2004: 113-114).

فتخوف الأسبان من تكاثر الموريسكيين، لم يكن نابع من فراغ؛ ففي إحصاء لموريسكيي بلنسية تم سنة 1602م، كشف زيادتهم بنحو عشرة آلاف خلال ثلاث سنوات. كما أشار تقرير كتب عن المشكلة الموريسكية يرجع إلى عام 1604م، إلى مسألة تزايدهم، وعدها من ضمن النقاط غير المناسبة لوجودهم (Scott, 1904, 3: 309) (بنثنت، هورتز، 1988: 208-209).

وإلى جانب تلك الأسباب يضيف الباحث الأسباني مانويل دانبيلا Danvila Manuel، سببًا رابعًا؛ وهو إجماع الشعب الأسباني على طرد الموريسكيين، إذ يقول: "إن المسئولية الأخلاقية وراء الطرد لا يتحملها فيليب الثالث، ولا حتى

أعوانه، ولكنها تقع بالكامل على عاتق الشعور القومي والذي عبرت عنه- في رأيي- المحاكم والرأي العام والأدب والشعر وجميع العناصر الاجتماعية التي وقفت إلى جانب الملك واقترحت عليه تنفيذ هذه الطريقة المبررة تمامًا على الجانبين السياسي والديني، دون نقد الجانب الاقتصادي" (Danvila, 1889: 346).

فبالنسبة للسببين الآخرين (التكاثر وإجماع الشعب الأسباني) هناك دراسات إسبانية حديثة تلغي احتمال أن يكون تكاثر الموريسكيين، وإجماع الشعب الأسباني على الطرد من الأسباب التي دفعت السلطات الإسبانية لاتخاذ قرار طرد الموريسكيين (بيانويبا، 2005: 130-134 وبنشنت، هورتز، 1988: 196-199).

وبإمعان النظر في أسباب الطرد المذكورة نرجح الرأي القائل بأن الأسباب الحقيقية للطرد؛ أسباب خفية لا توجد في الوثائق، وعلى ذلك فإن قرار الطرد كان قرارًا شخصيًا -اتخذه الملك فيليب الثالث-، وليس مفروضًا بضرورة تاريخية (بنشنت، هورتز، 1988: 217) ولم يكن طرد الموريسكيين بسبب أخطائهم، بل لإبقاء **إسبانيا** كدولة تدين بالديانة الكاثوليكية وحسب (بيانويبا، 2005: 182).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة تبين أن السلطات الإسبانية عمدت بعد سقوط غرناطة إلى اتخاذ عدة إجراءات تجاه مسلمي الأندلس، لاستيعابهم في المجتمع النصراني لا كمسلمين بل كنصارى مخلصين لا شك في ولائهم للدولة الإسبانية.

وبعد مضي قرن على سقوط غرناطة، أدركت السلطات الإسبانية عدم جدوى السياسات التي اتبعتها مع الموريسكيين، وذلك بالرغم من تنصيرهم الإجباري، وحرق كتبهم، ومصادرة ممتلكاتهم، وقمع ثوراتهم، ومتابعتهم لأتفه الأسباب، فرغم كل ذلك لم تصل السلطات الإسبانية إلى النتيجة المبتغاة منهم.

وإزاء ذلك الفشل أخذت السلطات الإسبانية في التفكير بالكيفية التي ستحل بها مشكلة الموريسكيين حلًا نهائيًا، وبعد عدة اقتراحات تداولتها –السلطات الإسبانية– على مدى ثمانية وعشرين عامًا خلصت –أي السلطات الإسبانية– إلى اتخاذ الطرد كحل جذري لمشكلة الموريسكيين في الأراضي الإسبانية.

وبتحليل الأسباب التي دفعت السلطات الإسبانية لاتخاذ قرار طرد الموريسكيين من إسبانيا خلص الدراسة إلى:

1. إن السياسة التي اتخذتها السلطات الإسبانية تجاه الموريسكيين لاستيعابهم في المجتمع الأسباني النصراني، لم تكن سياسة دمج بل كانت سياسة ترمي إلى الاضطهاد الديني والإبادة الجماعية.
2. بطرد الموريسكيين تم إنهاء الإسلام بصورة رسمية من شبه الجزيرة الأيبيرية بعد تسعة قرون وثلاث سنوات من دخوله لها.
3. يمثل الطرد الجماعي للموريسكيين آخر فصول مأساة المسلمين في الأندلس بعد زوال سلطانهم.

التوصيات

1. اهتمام المؤسسات البحثية والجامعات بدراسة تاريخ الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية وعلى وجه الخصوص الفترة الموريسكية.
2. بذل الجهد لجمع الوثائق المحفوظة حتى الآن في الأرشيف الإسباني في مدريد ومدن أخرى، وأيضًا المصادر الإسبانية والأوروبية الخاصة بموضوع المسلمين في إسبانيا.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

إيبار، ميغيل انخيل بونيس (2005) الموريسكيون في الفكر التاريخي، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

ايبالثا، ميكيل دي (2005) الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

بنثنت، برنارد- هورتز، انطونيو دومنقير(1988) تاريخ مسلمي الأندلس حياة ومأساة أقلية، ترجمة: عبد العال صالح طه، دار الإشراق، الدوحة.

بيانوبيا، فرانثيسكو ماركيث (2005) القضية الموريسكية من وجهة نظر آخرى، ترجمة: عائشة محمود سويلم، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

حتاملة، محمد عبده (2000) الأندلس التاريخ الحضارة المحنة، عمان الأردن.

حومد، أسعد (1988) محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

رزوق، محمد (1998) الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17) ط3، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

الشهاب الحجري، أحمد بن قاسم بن أحمد (2004) رحلة افوقاي الأندلسي، وفيها كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين وهو السيف الأشهر على كل من كفر، تحقيق: محمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

عنان، محمد عبد الله (1997) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط(4)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

فرح، نعيم (2000) الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط(2)، دمشق.

كارديناك، لويس(1983) الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492م–1640م)، ترجمة: عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغاربية، تونس.

لونغاس، بدرو (2010) حياة الموريسكيين الدينية، ترجمة: جمال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1968) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج(4)، دار صادر، بيروت.

مؤلف مجهول (2002) نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

Busk , M. M (1833) The History Of Spain And Portugal ,London,.

Gaviria, José Muñoz y (1861) Historia Del Alzamiento De Los Moriscos: Su Expulsión De España Y Sus Consecuencias En Todas Las Provincias Del Reino, Madrid.

Harvey ,L.P. (2006) Muslims in Spain, 1500 to 1614 ,Chicago.

Janer ,Florencio (1857) Condicion social de los Moriscos De España, Causas De Su Expulsión , y Consecuencias Que Esta Produjo En El Orden Economico y politico,Madrid.

Lea ,Henry Charles (1901)The Moriscos Of Spain: Their Conversion And Expulsion, Philadelphia.

Manuel Danvila: (1889) La Expulsión De Los Moriscos Españoles, Madrid.

Llorente, D. Juan Antoni (1827) The History Of The Inquisition From The Time Of Its Establishment To The Reign of Ferdinand VII ,Second Edition, London.

Marmol ,Luis Bel Carvajal (1797) Historia Dal Rebelion Y Casigo De Los Moriscos, Vol.1 ,Madrid.

Scott ,S. P. (1904) History Of The Moorish Empire In Europe, vol.3, Philadelphia and London.

إنتاج البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية

محمد بكرى أحمد الشيخ، جامعة الملك عبد العزيز

مستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على إنتاج البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية والتعرف على واقعها، وتقويم سلبياتها للوصول إلى تقديم توصيات، لإنتاج برامج أكثر ثراءً وقوة، وأكثر جذباً وتأثيرًا. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعد مناسباً لطبيعة هذه الدراسة التي تهتم بتحليل عينة من البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية، وخلصت الدراسة لعدة نتائج أهمها: أغلب البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية حوارات رأي ومعلومة، ويعد قالب المقابلة التلفزيونية أكثر الأشكال البرامجية انتشاراً في الفضائيات السودانية، وقد تصدرت الموضوعات السياسية الحوارية معظم الفضائيات السودانية، كم أن أكثر القضايا التي تعرضت لها الفضائيات السودانية هي قضايا التنمية، واحتلت قيمة التنمية المركز الأول من بين القيم المطروحة في مضمون البرامج التي طرحتها الفضائيات السودانية. وقد غابت نتيجة مهمة وهي مشاركة البريد الإلكتروني باعتباره وسيلة متاحة للمشاركة الجماهيرية.

Abstract

This study sought information about production of talk shows programs presented in Sudanese satellite TV channels, in order to be familiar with their reality, rectify their disadvantages and submit recommendations to produce more rich, strong, attractive and effective programs. The study has applied the descriptive and analytic methodology which is suitable for the nature of such a study, which focuses on analysis of a sample of talk shows broadcast by Sudanese satellite channels. Key findings have been that; most of the talk shows in Sudanese satellite channels were focusing on opinion and information. The most common TV format in Sudanese satellite channels was the interview. Political topics were on top of the topics attempted by Sudanese TV channels. However, the most important topic addressed by these channels was the issue of development, with the value of

development ranking number one among other values included in the content of programs aired by Sudanese channels. One of the important findings as well was the lack of email as an important public means of participation.

مقدمة

تُعد البرامج الحوارية من الأشكال البرامجية المهمة، لارتباطها بالقضايا التي تمس حياة المشاهدين مدعومة بالأدلة المباشرة، فضلاً عن الإثارة والجاذبية التي يجدها المشاهدون لدى متابعتها مما يجبرهم على المشاركة والتفاعل معها.

والحوار الإذاعي هو فن التواصل مع الآخر (الشخصيات والأنماط الاجتماعية) وصولاً إلى المعلومات، والآراء، والأفكار والمشاعر التي يتفاعل معها المتلقي مستمعاً كان أو مشاهداً.

يطلق تعبير برامج الحوار أو البرامج الحوارية على تلك البرامج التي يتحاور فيها المذيع مع ضيف أو أكثر بغرض إثارة قضية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية (هاشم، 1993: 72)

هذا النوع من البرامج يحظى باهتمام واسع من الأوساط الإعلامية وغير الإعلامية، وذلك لاعتمادها على تقديم المعلومات والحقائق والآراء للناس، عبر الحوار الذي يعد الأساس في إعداد وتقديم البرنامج كما قد يكون أحد أهم مكونات البرنامج (رزق، 2005)

تُعد هذه الدراسة ضمن الدراسات المطلوبة في هذا المجال والتي تهدف إلى التعرف على أساليب إنتاج البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية، لتقويم سلبياتها وانتاج برامج أكثر ثراء وقوة.

مشكلة البحث

اتسعت وتنوعت مساحات وأشكال البرمجة التي تستخدم الحوار كقالب من القوالب المستخدمة في البرامج التلفزيونية، كونها وسيلة فاعلة لتناول القضايا السياسية

والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الأفكار المعرفية والثقافية وغيرهاــ بطريقة ملفتة للأنظار وجاذبة للمشاهدين لمتابعتها.

من خلال الملاحظة العلمية لما يتم تقديمه في الفضائيات السودانية من برامج حوارية، لاحظ الباحث أن نسبة قليلة مما تقدمه هذه القنوات من برامج يدخل في إطار البرامج الحوارية، خاصة وإنها تشغل ساعات عديدة يومياً من وقت البث والإرسال، والملاحظة العلمية أيضاً تشير إلى أنه رغم كثرة هذا النوع من البرامج إلا أن المشاهد السوداني يقبل بحرص على عدد محدود منها، مما حدا بالباحث لدراستها للتعرف على واقعها، وتقويم سلبياتها للوصول إلى تقديم توصيات وتصورات مستقبلية، لإنتاج برامج حوارية وأكثر جذباً وتأثيراً.

لا شك أن هذا النوع المهم من البرامج يحتاج إلى العديد من الدراسات والبحوث لتحليلها والخروج بنتائج ومؤشرات لتطويرها شكلاً ومضموناً، وهنا تتضح إشكالية بحثنا عبر هذه الدراسة التي تعد واحدة من بين هذه الدراسات المطلوبة في هذا المجال ... وذلك بهدف الإجابة على السؤال الجوهري لهذه الدراسة ما هي أساليب إنتاج البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية؟

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة من كون فن الحوار من الفنون، ذات الصلة الوثيقة بالجمهور، وذلك لاعتماده في تقديم المعلومات والحقائق والآراء للناس، مدعومة بالأدلة المباشرة في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والرياضية والفنية، حيث اتسعت دائرة اهتمام الجمهور في هذا النوع من البرامج لأنها أصبحت تقدم لهم خدمات شتى وتثير قضايا مباشرة تهم حياتهم، فضلاً عن طريقة التقديم المثيرة والمتميزة لبعض البرامج، خاصة التي تقدمها القنوات الفضائية

السودانية حيث يعتمد مقدمو البرامج على الإثارة والجاذبية في الإعداد وأسلوب التقديم والإخراج واستخدام التقنيات المتطورة جداً.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية، وتحليل هذا الواقع للتعرف على ما تقدمه .. وهناك العديد من الأهداف التي تسعى الدراسة لتحقيقها يوجزها الباحث في الآتي:

1-الكشف عن الشكل المعتاد لتقديم البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية.

2- تحديد الموضوعات المطروحة في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية.

3- الكشف عن القيم التي تعرضها البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية.

4-التعرف على ضيوف البرامج الحوارية ومدى ملاءمتهم للمضمون المقدم عبر البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية.

5-الكشف عن مدى وجود مشاركة جماهيرية في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية.

منهج الدراسة

تُعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي تعتمد على منهج المسح والتحليل الذي يقوم على تسجيل الحوادث ووصفها وتحليلها وصولاً إلي حقائق علمية عن طريق عرض خصائص الموضوع بأسلوب علمي دقيق (حسين، 1990: 125).

تعد الدراسات المسحية من الدراسات المهمة التي أسهمت بشكل كبير في بناء البنية التحتية العلمية للتخصصات التي تهتم بالمجتمع وقضاياه (Adams, 1989: 2) كما أنها أيضاW توفر معلومات جيدة من خلال التعرف على الآراء والاتجاهات المتعلقة بمواقف أو قضايا معينة (Bobbies, 1989: 237).

عينة الدراسة

يمكن أن نُعرِّف مجتمع الدراسة بأنه جميع أفراد الموضوع أو الظاهرة المقصود دراستها في حين يمكن أن نعرف العينة بأنها جزء من المجتمع لتطبيق الدراسة عليه.

وحيث أن الهدف الأساس من هذه الدراسة هو تحليل واقع البرامج الحوارية في القنوات الفضائية السودانية .. فقد تم عمل مسح للبرامج الحوارية في فترتي المساء والسهرة .. حيث وجد الباحث أن عدد البرامج الحوارية بلغ نسبتها ما بين 25-30% في هاتين الفترتين.

اختار الباحث عينة الدراسة بطريقة عشوائية منتظمة والتي تضمنت 8 برامج حوارية من 4 قنوات فضائية سودانية تحظى بمشاهدة عالية بلغت 32 حلقة بإجمالي قدره 32 ساعة ومعظم هذه البرامج تذاع على الهواء مباشرة.

وهنا نعرض للبرامج التي أختارها الباحث من الفضائيات محل الدراسة والتي شملت:

1- الفضائية السودانية

أ. برنامج (أكثر من زاوية): وهو برنامج يتناول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية باستضافة الخبراء والمحللين.

ب. برنامج (في الواجهة): وهو برنامج يتناول القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية والخدمية التي تهم المشاهد السوداني في الداخل والخارج.

2- قناة الشروق

أ. برنامج (مقاربات): وهو برنامج فكري يتناول القضايا الفكرية والإسلامية وذلك عبر استضافة المذيع لخبراء ومحللين من داخل وخارج السودان وإجراء مقاربات فكرية حول موضوعات البرنامج.

ب. برنامج (وجهات نظر): وهو برنامج يتناول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، عبر استضافة المذيع لخبراء ومحللين من خلال مناقشة جماعية يتم خلالها اتاحة الفرصة للرأي الآخر.

3-قناة النيل الازرق

أ. برنامج (حتى تكتمل الصورة): هو برنامج أسبوعي يتيح فيه فريق البرنامج الفرصة للرأي والرأي الآخر من خلال ضيوف البرنامج الذين يمثلون فريقاً من المحللين والخبراء والأكاديميين.

ب. برنامج (مراجعات): وهو برنامج تعتمد فكرته على استضافة المذيع لمفكرين وأدباء ورجال السياسة والاقتصاد في المجتمع المحلي والإسلامي والعربي، بتسليط الضوء على بعض القضايا التي يثار جدل حولها.

4-قناة أم درمان

أ. برنامج (الميدان الشرقي): هو برنامج أسبوعي يبث على الهواء مباشرة، وتركز فكرته علي معالجة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ب. برنامج (نادي الاعترافات): هو برنامج يتناول القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الحقب السياسية الراهنة والماضية عبر استضافة المذيع لمحللين ورموز الأحزاب والخبراء.

الدراسات السابقة

هناك بعض من الدراسات التي تناولت موضوع إنتاج البرامج الحوارية التلفزيونية، واختار الباحث منها الدراسات التالية:

1- (دراسة المرسى، 2004): تناولت هذه الدراسة واقع البرامج الحوارية في تلفزيونات دول مجلس التعاون الخليجي، وتحليلها، والتعرف على جوانبها المختلفة للوصول إلى سلبيات وإيجابيات هذه البرامج .. وأشارت أبرز نتائج الدراسة إلى

أن جميع البرامج الحوارية محل الدراسة يقدمها مذيع واحد، كما أشارت النتائج أيضاً إلى أن غالبية ضيوف البرامج محليون وجاءت مشاركتهم من داخل الاستديو وبنسبة ضئيلة عبر ألأقمار الاصطناعية.

2-(دراسة شبيب، 2013): تناولت هذه الدراسة استغلال المعلن لوسائل غير مألوفة للإعلان عن بضاعته، وأهمها البرامج الحوارية وتوظيفها لعرض الإعلانات بطريقة غير مباشرة بجانب استغلالها للأغراض التسويقية، واعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، ولقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أبرزها: توظيف البرامج الحوارية في تسويق العديد من الأفكار والسلع والشخصيات، تركيز البرنامج على التسويق وترويج السلع والمنتجات الاستهلاكية، تمرير العديد من الأفكار التسويقية والترويجية كذلك الاستعانة بنجوم السياسة والرياضة والمشاهير لتقديم الأفكار الترويجية والتسويقية.

3- (دراسة يوسف، 2008): تناولت هذه الدراسة أولويات القضايا المجتمعية لدى الجمهور المصري بالقنوات المصرية الحكومية والخاصة والتي اعتمدت فيها الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي.

توصلت الباحثة إلى لعديد من النتائج أبرزها: تفوق البرنامج الحوارى الحكومي في استخدام قالب الحوار التلفزيوني والحوار في الأستوديو بعكس البرنامج الحواري الخاص الذي زاد استخدامه لقالب الحديث المباشر، نجاح البرامج الحوارية في ترتيب أولويات القضايا التعليمية, والدينية, وقضايا المرافق والخدمات, بينما لم تنجح بالنسبة للقضايا الإعلامية والبيئية، اعتماد الجمهور في الحصول على المعلومات عن القضايا المجتمعية المصرية على القنوات الفضائية العربية تليها القنوات المصرية الخاصة.

تساؤلات الدراسة:

وفقاً لأهداف الدراسة الأساسية والسؤال الرئيس، فقد تم صياغة مجموعة من التساؤلات الفرعية حول البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية والتي تسعي الدراسة للإجابة عليها:

1- ماهي أنواع البرامج الحوارية؟

2- ما شكل تقديم البرامج الحوارية؟

3- ماهي الموضوعات المطروحة في البرامج الحوارية؟

4- ما المشكلات المطروحة في البرامج الحوارية؟

5- ما هو الهدف الواضح من عرض المضمون؟

6- ما نوعية القيم المطروحة في هذا المضمون؟

تحديد المصطلحات والمفاهيم

ولهذه الدراسة عدد من المصطلحات نوجزها في الآتي:

1-البرمجة: (Programming): مصطلح يطلق على الخطط الجزئية المفصلة التي يحدد بمقتضاها البرامج الواجب تنفيذها ضمن الخطة.

2- الإنتاج التلفزيوني (TV Production) : هو تحويل الفكرة التي تمت صياغتها فنياً علي الورق على هيئة نص (Script) أو شبه نص (Semi Script) إلى مادة مسجلة أو مبثوثة على الهواء مباشرة.

3- البرامج الحوارية (Talk- show programmes) : هي تلك البرامج التي يتحاور فيها المذيع مع ضيف أو أكثر في موضوعات له علاقة بها أقلها الإهتمام والمراقبة بغرض إثارة قضية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

أدوات جمع البيانات

صمم الباحث استمارة التحليل وهي إحدى أدوات جمع المعلومات، للإجابة على تساؤلات البحث الأساسية، جمع المعلومات والبيانات اللازمة وتحليل مضمون البرامج الحوارية في القنوات الفضائية السودانية.

قد تضمنت الاستمارة الفئات الرئيسة والفرعية التي صاغها الباحث خلال ملاحظته للبرامج خلال فترة الدراسة، والتي تحقق هذا الغرض، فقد اتبع الباحث الإطار التالي فيما يتعلق بفئات ماذا قيل؟:

1- فئة نوعية البرنامج الحواري: وتضم حوار معلومة، حوار رأي حوار شخصية، حوار معلومة ورأي.

2- فئة نوعية الموضوعات المطروحة في البرنامج: وتضم: سياسية، اقتصادية اجتماعية، ثقافية ،علمية، دينية أمنية ورياضية.

3- فئة المشكلات الأساسية المطروحة في البرنامج: وتضم: قضايا التنمية، قضايا الإرهاب، قضية الانتخابات، قضايا الحوار الوطني، قضية السلام قضايا الإصلاح الداخلي، قضايا صحية، قضايا إعلامية وثقافية، التعصب الرياضي قضايا جامعية.

4- فئة الهدف الواضح من عرض المضمون: وتضم: إثراء الخلفية المعرفية للجمهور عرض الآراء المختلفة تجاه القضية.

6- فئة نوعية القيم المطروحة في المضمون: وتضم حرية الرأي، المشاركة السياسية، السلام، نبذ العنف والإرهاب، تنمية المجتمع، تشجيع الإنتاج المحلى، الإنتاج والعمل الجاد، حسن الأداء، التعاون والتكامل، التسامح، الالتزام بالأخلاقيات، توجيه الأبناء، السعادة الزوجية، الوعي الصحي.

7- فئة المدى الجغرافي للمضمون المقدم: وتضم: مضمون محلي، مضمون على المستوى الإقليمي، مضمون على المستوى الدولي.

8- فئة ضيوف البرنامج الحوارى: وتضم: أعداد وجنسيات الضيوف المشاركين في هذه البرامج.

9- فئة مدى ملاءمة تخصصات الضيوف للمضمون المقدم: وتضم: ملائم إلى حد كبير، ملائم إلى حد ما، غير ملائم.

10-فئة مدى وجود مشاركة جماهيرية في هذه البرامج: وتضم: من داخل الاستديو، من خارج الاستديو، لا يوجد.

11-فئة طبيعة المشاركة الجماهيرية في هذه البرامج: وتضم: إبداء رأي، استفسار، اعتراض.

12-فئة وسائل المشاركة الجماهيرية في هذه البرامج: وتضم: من داخل الاستديو هاتف فاكس، بريد إلكتروني.

13-فئة المدى الجغرافي لمشاركة الجماهيرية في هذه البرامج: وتضم: من داخل الدولة، من الدول العربية، من الدول الأفريقية، من الدول الأخرى.

وفيما يتعلق بفئات كيف قيل؟ اعتمد الباحث الفئات التالية:

1-فئة شكل تقديم البرنامج الحواري: وتضم مقابلة تلفزيونية، المائدة المستديرة/ المناقشة الجماعية، الندوة الأفقية، التحقيق التلفزيوني، برامج الأحاديث (Talk Show).

2- فئة مقدمي البرنامج الحواري: وتضم: عدد مقدمي البرنامج، جنسهم، جنسياتهم.

3-فئة أسلوب استضافة المشاركين في البرامج: وتضم: داخل الاستديو، عبر الأقمار الاصطناعية، عبر الهاتف.

وحدات تحليل مضمون البرامج الحوارية

استخدم الباحث في تحليله لمضمون عينة من البرامج الحوارية محل الدراسة وحدتين للقياس وهما:

أ-**وحدة المفردة:** استخدم الباحث هذه الوحدة للبرنامج الحواري، ولمقدمي البرامج، ولضيوف البرامج، وأيضاً للجمهور المشارك في البرنامج، وكل منهم يعد وحدة مستقلة للقياس والتحليل.

ب-**وحدة الزمن:** وذلك للتعرف على المساحة الزمنية للتعرف على المساحة الزمنية التي شغلتها البرامج بشكل عام، وكذلك المساحة الزمنية لكل برنامج على حدة .. وقد تم استخدام الدقيقة كوحدة للقياس.

وقد قام الباحث بتحليل البيانات والمعلومات الخاصة بتحليل المضمون بعد ترتيبها وتبويبها وجدولتها إحصائياً حتى تكون ملائمة للتحليل والخروج بمؤشرات ونتائج مفيدة علمياً.

الصدق والثبات لأداة الدراسة

يقصد باختبار صدق أداة جمع المعلومات والبيانات مدى قدرتها على أن تقيس ما تسعى الدراسة إلى قياسه فعلاً، ولقياس صدق صحيفة تحليل المضمون فقد قام الباحث بعرض الصحيفة على بعض المحكمين من المتخصصين في مجال البحث والمجالات المرتبطة به، حيث تم عرض الصحيفة على كل من:

1. أ.د عبد النبي عبد الله : أستاذ الإعلام بجامعة جازان – جازان .
2. أ.د مبارك يوسف محمد خير: أستاذ الإعلام بجامعة جازان – جازان.

وتم استبعاد البند الذي لم يحصل على نسبة اتفاق، كما تم تعديل بعض جوانب الصحيفة وفقاً لآرائهما.

ويقصد باختبار ثبات أدوات جمع المعلومات والبيانات التأكد من درجة الاتساق العالية لها، بما يتيح قياس ما تقيسه من ظاهرات ومتغيرات بدرجة عالية من الدقة، والحصول على نتائج متطابقة أو متشابهة إذا تكرر استخدامها أكثر من مرة. وقد تم استخدام طريقة إعادة التطبيق بفارق زمنى 15 يوماً حيث تم تحليل عينة من 3 برامج حوارية لإعادة التطبيق، وكانت النتائج متطابقة تماماً مما يدل على ثبات الأداة

واعتمد الباحث علي معادلة هولستي لاختبار الثبات

$$\frac{2ت}{ن1+ن2}$$

أشارت نتيجة الاختبار عن وجود درجة عالية من الاتساق بين الباحثين القائمين بالتحليل.

الدراسة النظرية

تناولت الدراسة محورين لدراسة البرامج الحوارية دراسة نظرية:

المحور الأول: إنتاج البرامج التلفزيونية الحوارية

الحوار هو أساس العمل في التلفزيون، كما هو الأساس في الحصول على المعلومات والبيانات والحقائق عن موضوع أو قضية معينة. وتعد البرامج الحوارية من أكثر القوالب المستخدمة في البرامج التلفزيونية جذباً للانتباه إذا ما أحسن إعدادها وتنفيذها.

يُعرف الحوار التلفزيوني بأنه أحد أشكال التعبير الأساسية المستخدمة لأخبار المجتمع عن حقيقة جوهر الأحداث والتطورات التي تهم وتمس شرائح اجتماعية واسعة (الحسن، 2003: 296).

ويعرفه يوسف مرزوق على أنه "عرض أفكار بعض الناس وآراءهم في مسألة بعينها أو إعطاء معلومات معينة للناس في موضوع ما، أو تقديم شخصية للمتلقي مثيرة لاهتمامه بشكل أو بآخر (مرزوق، 1986: 87).

الحوار في برامج المنوعات من عناصرها الرئيسة، بل غالباً ما يتصدر غالبية نوعياتها وفقراتها، حتى أن بعض الإذاعات والقنوات التلفزيونية تعده من برامج المنوعات رغم عدم اشتماله في غالبية الأحيان على سائر الفقرات والمقومات التي تجعل منه أو تدخل به إلى عداد برامج المنوعات. على أن تتوافر فيه خصوصية وطبيعة المنوعات التي تنطلق دائماً من حرية وشخصية المحاور فيها واستيعابه لطبيعتها الخاصة التي لا ترتبط بنفس ما ترتبط به سائر الحوارات في كل برامج الإذاعة والتلفزيون الأخرى.

ويُعد الحوار عنصر مشترك في العديد من الأشكال البرامجية، وهو الأساس في الحصول على المعلومات من الضيوف (إبراهيم، 2003: 14)

أنواع الحوار التلفزيوني:

تتنوع برامج الحوار من حيث هدفها إلى أنوع ثلاثة: (إبراهيم، 2003: 96) : هي حوار المعلومات (Information Interview) وحوار الرأي (Opinion Interview) الذى يستهدف التعرف على رأى الضيف في مسالة أو قضية معيَنة، وحوار الشخصية (Personality Interview) الذى يستهدف إلقاء الضوء على جوانبها المختلفة.

كما يمكن تصنيف برامج الحوار على ضوء المشاركين فيه، فهناك الحوار الفردي (Individual) ، والثنائي، والدائري (Circular) ، أو الجماعي، ويجب عدم الخلط بين النوعين الآخرين من الحوار والندوة كشكل مهم من أشكال البرامج الحوارية.

مكونات الحوار التلفزيوني

يتكون الحوار التلفزيوني من مجموعة مكونات متداخلة مع بعضها البعض تبدأ بمقدم البرنامج وضيفه، والقضية التي يتحاوران فيها، والأجهزة المستخدمة، والوقت أو المدة التي يتطلب الحوار أو النقاش، ثم الأسئلة التي يوجهها مقدم البرنامج لضيوفه ومكان إجراء الحوار، والمشاهدين الذين تُعد مراعاتهم والاهتمام بهم البداية الصحيحة لأي اتصال تلفزيوني فعال.

يُعد مقدم البرنامج الحوارى أو ما نسميه بالمحاور (Interviewer) الذي يثير موضوع الحوار وضيفه هو العنصر الرئيس في مجموعة المكونات المتداخلة التي سبق الإشارة إليها، فهو الذي يستخدم الأجهزة ويبحث في موضوعه الذى يجب أن يهم المشاهدين، ويناقش ضيوفه ويوجه إليهم الأسئلة، ويقتضي الأمر أن يتسلح المحاور بمهارات الاتصال بالآخرين، ومنها مهارات التحدث والتفكير ووزن الأمور، والإنصات والتركيز فيما يتحدث فيه ضيفه، والذي يمكنه من التقاط الأفكار المثيرة التي تجذب المشاهدين، وتثرى موضوع الحوار، وقدرته على التعليق والتحليل والاستنباط والتفسير وقيادة مضابط ومنعطفات الحوار بجانب استخدام وسائل الإيضاح والمواد الخلفية المصورة التي تُعد من أهم العناصر التي تؤدى إلى نجاح برامج الحوار والمناقشات (إبراهيم، 2003).

وظائف الحوار التلفزيوني

حدد سعد لبيب مجموعة من وظائف الحوار التلفزيوني أهمها (لبيب، 1972: 88):

1. وظيفة الإعلام والإخبار: وتعني تقديم الحوار على كل ما هو جديد من معلومات وأخبار عن الأحداث المهمة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية.

2. وظيفة الشرح والتفسير: وتعنى شرح وتفسير ما يحدث من أحداث وأمور في جوانب الحياة المختلفة.
3. وظيفة التعليم: وتعنى كل ما يقدمه من معلومات وأفكار جديدة تؤدي إلي زيادة معلومات المشاهدين.
4. وظيفة التثقيف: وتعنى تثقيف المشاهدين عن طريقة الحوار مع قادة الفكر والأدب والفنانين.
5. وظيفة خدمة المجتمع وتنميته: وتعني توعية وتنمية المشاهدين في مجالات تخصصهم عن طريق الحوار مع المتخصصين في المجالات المختلفة.

فيما حدد باحثون آخرون وظائف أخرى للحوار أهمها (خضور، 2002، 252):

1. توضيح فكرة أو ظاهرة أو قانون أو تقييم تجربة.
2. التعريف بالشخصيات وإبراز أفكارها وتجاربها.
3. التأثير في جمهور المشاهدين.
4. إبراز رأي الأفراد المعارضة.
5. تعميق فهم لقضية أو شرح موقف غامض.
6. دحض الشائعات والأفكار المسبقة.
7. كشف الحقائق وإعطاء المعلومات حول موضوعات تهم أكبر شريحة من المجتمع.
8. الاستعانة بالشخصيات المهمة وما تتمتع به من جماهير ومصداقية من أجل تحقيق أهداف معينة .

سمات وخصائص الحوار التلفزيوني

يتميز الحوار التلفزيوني بعدد من الخصائص والسمات أبرزها (خضور، 1998: 9):

1. له سمة الدراما حيث يتضمن الحوار موضوع وإخراج وحركة وإضاءة وديكور وتطور الحدث.
2. له سمة العرض، إذ أن له القدرة على العرض أكثر من أن يروي أو ينقل أو يقص، إذ أن من المهم أن يقول المحاور وهو يعرض أقواله ويؤديها من خلال حركة اليدين والنبرة.
3. يتميز بصعوبة استخدام النص المكتوب في جوانب الأسئلة المطروحة، لأنه يفقد الكثير من فاعليته وعفويته.
4. يقوده فريق عمل كامل خصوصاً داخل الاستديو إذ يواجه المحاور والمعدات والأضواء وتعليمات المخرج والمنتج والمصورين، ومع ذلك على أن يتعرف بعفوية.

معوقات إنتاج البرامج الحوارية في التلفزيون

تناول المحور الأول من الورقة تفاصيل إنتاج البرامج الحوارية في التلفزيون، وسيتناول هذا المحور الربط بين الموضوعين بحيث يمكن الوقوف على الأسباب والمعوقات التي تواجه إنتاجها.

هناك العديد من الأسباب والمعوقات التي تحول دون إنتاج متميز شكلاً ومضوناً قادر على جذب انتباه المشاهد لهذا النوع من البرامج، ومن أهم هذه المعوقات:

مساحة الحرية المتاحة

لا بد من وجود مساحة من الحرية الكافية والتي تعد من أكبر معوقات العمل الإعلامي والإلكتروني عموماً في السودان، لتناول كافة الموضوعات المطروحة على الساحة دون حساسية أو خوف أو خطر، وكلما كبرت مساحة الحرية المتاحة لفريق العمل في البرامج الحوارية، كلما كانت هناك فرصة في اختيار الموضوعات المطروحة والقضايا الهامة والمؤثرة والأكثر حيوية للمشاهد، وهذا لا يعنى

الانفلات الكامل في حرية التناول والطرح، فنحن نعمل –ومهما كبرت مساحة الحرية– في حدود المسؤولية الاجتماعية وفي إطار منظومة قيمية ودينية واجتماعية لها بعض الخصوصية، ولا تعارض إطلاقاً بين الجانبين (المرسي، 2004).

المتتبع للبرامج الحوارية التي تبثها الفضائيات السودانية، يجد أن المشاهد السوداني يتجه غالباً إلى عدد من القنوات العربية، وإلى عدد من البرامج الحوارية تحديداً وهي نوعية من البرامج تتسم بقدر من الحرية في اختيار وتناول وطرح موضوعاتها سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. رغم اعتراض العديد من المختصين وأفراد من المشاهدين على بعض نوعيات مضمون مثل هذه البرامج وتحديداً تلك التي تتناول بشكل فج العلاقات الزوجية المباشرة أو تلك التي تتصل من قريب أو بعيد بالجنس، وقد يخرج هذا التناول من منظومة القيم والعرف والعادات والتقاليد. المطلوب مزيد من الحرية في اختيار الموضوعات المطروحة للنقاش وتناولها بما يتوافق مع تلك المنظومة وبما لا يمثل صدمة اجتماعية للمشاهد أو الأسرة العربية.

يرى الباحث أن هناك العديد من المؤسسات الإعلامية رغم إنها تشير في ميثاق عملها الأخلاقي إلى أنها تعمل في إطار الحرية التي تحدها المسؤولية الاجتماعية، إلا أن واقع البرامج الحوارية في تلك المؤسسات حسب ما يعتقد الباحث من خلال متابعته لها يكذب ذلك حتى على مستوى الدول التي تدعى الليبرالية المفتوحة والحرية، إذ أن الحرية في كل هذه المؤسسات تحدها حدود المالكين ومصالحهم.

الجوانب الأخلاقية في العمل

احترام الضيف: قد يبدو هذا الأمر للبعض أمراً جانبياً أو ليس بذي أهمية كبيرة، ولكنه في واقع الأمر يعد أحد معوقات إنتاج برامج حوارية ناجحة وجاذبة للانتباه،

كما يجب أن تعمل البرامج الحوارية في التلفزيون في إطار ميثاق عمل أخلاقي مكتوب أو غير مكتوب .. وهو جانب مهم يتوقف عليه إلى حد كبير مدى نجاح البرنامج الحواري.

هناك بعض المذيعين يصيبهم الغرور، فيتصرفون في إطار برامجهم وكأنها أصبحت ملكاً خاصاً لهم، وإنهم مهما فعلوا فسوف يقبل المشاهد عليهم –وهذا خطأ كبير– فيجب أن يتذكر المذيع دائماً أن احترام الضيف هو احترام للمتلقي، وإنه قد أتى بهذا الضيف كي يقول ما لديه وأن المشاهد ينتظر بشكل أساسي ما يقوله هذا الضيف.

ومن أهم مظاهر عدم احترام الضيف (المرسي، 2004):

1. تجريم الضيف واتهامه بشكل مباشر وبأسلوب قاسٍ في أحيان كثيرة دون سند أو دليل. وحتي مع وجود سند أو دليل يجب ذكر الاتهام مع منح الفرصة للضيف كاملة وباحترام للإجابة وإبداء وجهة نظره دون الدخول في خصومة مباشرة قد تؤدي بالضيف إلى الخروج من الاستديو.
2. مقاطعة الضيف الدائمة والمتكررة بشكل لافت للنظر، وبشكل يقطع التسلسل الفعلي لأفكار الضيف وعدم استكماله لفكرته، لا تمكن المشاهد من الخروج مما يشاهده بشيء مفيد. بالإضافة إلى أنها تؤدي إلى الملل والضيق من قبل الضيف والمتلقي.
3. تهيب الضيف: الخوف من الضيف أو مكانته في الدولة تجعل كثير من مقدمي البرامج الحوارية في السودان يتهيبون ضيفهم فلا يطرح عليه الأسئلة المقترحة.

قدرات فريق العمل

يتضمن فريق العمل في البرامج الحوارية من الأعضاء من أهمهم المذيع، المخرج، المعد، مدير التصوير، مدير الإضاءة ...إلخ ولكي يخرج البرنامج بأكبر قدر من الحيوية والجاذبية والتميز، لا بد أن يقوم به فريق عمل متكامل متمكن قادر على أداء عمله على أفضل وجه.

التدريب يوفر لهم فرصاً حقيقية لتحسين معارفهم وتنمية مهاراتهم الحوارية، لأن هذا المجال في تطور مستمر، ولا بد من المسايرة المتواصلة لأحدث فنون المحاورات والمناقشات التلفزيونية التي يجب أن تعلم وتثقف المشاهدين (إبراهيم، 2003: 98).

فى السياق ذاته فإن اهتمام مقدمي البرامج الحوارية باللغة العربية المبسطة يعد حتمية وضروة، خاصة وإنها تمثل الرباط الوثيق والشامل للعرب في كل مكان، وذلك بالعناية بالأساليب المستخدمة، واحترام القواعد اللغوية والنحوية خاصة والبعد عن العامية التي لا تقوى أن تكون لغة للاتصال بين العرب في المشرق والمغرب.

اختيار الضيوف

وهو جانب مهم يتوقف عليه أيضاً إلى حد كبير مدى نجاح الحوار. فالاختيار المناسب والموفق للضيف يدخل في إطار الإعداد الجيد للبرنامج الحواري، وهذا يعني أن ما يقوله هذا الضيف في إطار تخصصه واهتماماته سوف يكون مهما ومفيداً وجاذباً للمشاهد.

الإنفاق غير السخي على البرامج الحوارية (المرسي، 2004):

الإنفاق غير السخي ليس مقصود به فقط قدر من الإبهار والجاذبية في شكل ما يتم تقديمه من برامج حوارية وخاصة في برامج المناقشات وبرامج الأحاديث (Talk Show) فهذا جانب مهم بالتأكيد في التلفزيون في إطار المنافسة لجذب عين

المشاهد ... ولكن المقصود به أيضاً قدر الإنفاق على إعداد وتنفيذ هذه البرامج، من اعتماد ميزانيات مناسبة للضيوف، ولفريق العمل، ولإمكانات العمل الفنية ذاتها، ولرحلات فريق العمل لإجراء حوارات خارجية .. وغير ذلك من الأوجه المهمة التي تؤثر على الناتج النهائي لإنتاج هذا النوع من البرامج .. وتمثل عائقاً أمام إنتاج برامج حوارية متميزة شكلاً ومضموناً .. والإنفاق السخي على البرامج الحوارية ليس شرطاً أن يأتي مباشرة من ميزانية محطة التلفزيون، وقد يأتي من دخل الإعلانات المصاحبة لهذه البرامج، أو من خلال رعاية إحدى الشركات أو المؤسسات الكبرى في المجتمع لهذا البرنامج والتي أصبحت متاحة حالياً ن دون الخضوع لأي ضغوط بسبب التمويل.

نتائج الدراسة التحليلية

يعرض الباحث لأهم نتائج الدراسة التحليلية لواقع البرامج الحوارية محل الدراسة في الفضائيات السودانية .. حيث قام الباحث بتحليل 32 حلقة برنامج حواري في القنوات الفضائية السودانية بإجمالي قدره 32 ساعة .. ونعرض النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة والتي تجيب مباشرة على تساؤلات البحث الأساسية:

جدول (1) نوعية البرامج الحوارية

نوعية البرنامج	حوار	الشخصية	حوار	المعلومة	حوار	الرأي	حوار	الرأي والمعلومة	إجمالى	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	2	6.3	2	6.3	1	3.1	3	9.4	8	25
الشروق	1	3.1	2	6.3	2	6.3	3	9.4	8	25
النيل الأزرق	2	6.3	2	6.3	2	6.3	2	6.3	8	25
أم درمان	2	6.3	2	6.3	1	3.1	3	9.4	8	25
إجمالي	7	21.9	8	25	6	18.8	11	34.3	32	100

بالنظر لجدول رقم (1) لدراسة نوعية البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية يتضح أن غالبية البرامج محل الدراسة هي حوارات رأي ومعلومة وبنسبة بلغت (34.3%) يليها حوار المعلومة (25%) ثم الشخصية (21.9%) وأخيراً حوار الرأي (18.8%)، ونشير إلي أن نوعية الحوارات، سواء كانت معلومة، رأي، شخصية أو يجمع بين أكثر من نوعية، يتوقف على موضوع الحوار والهدف منه وإن كان هذا لا ينفي أهمية التعرض لنوعيات الحوار المختلفة، وبصفه خاصة حواري المعلومة والرأي أو الجمع بينهما.

جدول (2) فئة شكل تقديم البرنامج الحواري:

القناة	القناة	السودانية	قناة	الشروق	قناة	النيل الأزرق	قناة	أدرمان	إجمالي	إجمالي
الشكل	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
مقابلة تلفزيونية	5	15.6	6	18.8	6	18.8	4	12.5	21	65.6
مائدة مستديرة /مناقشة جماعية	2	6.3	2	6.3	2	6.3	–	–	6	18.8
ندوة أفقية	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
مناظرة	1	3.1	–	–	–	–	4	12.5	5	15.6
تحقيق تلفزيوني	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
برنامج أحاديث Talk Show	–	–	–	–	–	–	–		–	–
إجمالي	8	25	8	25	8	25	8	25	32	100

بالنظر للجدول رقم (2) لدراسة شكل تقديم البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية يتضح أن أكثر أشكال البرامج محل الدراسة انتشاراً في الفضائيات السودانية هي برامج المقابلة التلفزيونية حيث بلغت نسبتها (65.6%) واعتمدت عليها في تقديم كافة برامجها الحوارية محل الدراسة .. يلي هذا الشكل برامج المائدة المستديرة والمناقشات الجماعية (18.8%) ثم أخيراً شكل المناظرة (15.6%). ويتضح من الجدول أيضاً أن أشكال الندوة الأفقية، التحقيق التلفزيوني وبرنامج أحاديث لا يتم

تقديمها في الفضائيات السودانية، وهى أشكال شبه غائبة فيها، والباحث يرى أن تلك الأشكال تعد من أكثر أشكال البرامج الحوارية جذباً للانتباه حيث إنها تمكن الجمهور من المشاركة داخل الاستديو (الندوة الأفقية) كما أن (برامج الأحاديث والتحقيقات التلفزيونية) لها أهمية حيث يمكن الاستعانة بهما مستقبلاً خاصة مع زيادة مساحة الحرية المتاحة لعرض ومعالجة الموضوعات المختلفة.

جدول رقم (3) جنس مقدمي البرامج الحوارية

الجنس	مذيع	(ذكر)	أنثي	(مذيعة)	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	8	25	–	–	8	25
قناة الشروق	8	25	--	–	8	25
النيل الأزرق	8	25	–	–	8	25
أم درمان	8	25	–	–	8	25
إجمالي	32	100	–	–	32	100

بالنظر للجدول رقم (3) لدراسة جنس مقدمي البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية يتضح أن مقدمي البرامج الحوارية محل الدراسة من الذكور (مذيعين). وأثبتت التجربة نجاح المرأة السودانية في مجال التقديم للبرامج في التلفزيون ومن بينها البرامج الحوارية، ويرى الباحث ضرورة مشاركتها في تلك البرامج على سبيل التنوع وإثراء الحوار والنقاش خاصة في البرامج المجتمعية والسياسية.

جدول رقم (4) جنسية مقدمي البرامج الحوارية

الجنسية	من البلد	ذاتها	من الدول العربية	والإسلامية	من الدول	الأوربية	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	'عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	8	25	–	–	–	–	8	25
قناة الشروق	8	25	–	–	–	–	8	25
قناة النيل الازرق	8	25	–	–	–	–	8	25
قناة أم درمان	8	25	–	–	–	–	8	25
إجمالي	32	100	–	–	–	–	32	100

بالنظر للجدول رقم (4) لدراسة جنسية مقدمي البرامج الحوارية بالفضائيات السودانية يتضح أن مقدمي البرامج الحوارية محل الدراسة يقدمها مذيعون من السودان. ويشير الباحث إلى تجربة قناة الشروق الناجحة في الاستعانة بذوي الخبرة من الكوادر والكفاءات العربية في إثراء البرامج بالقناة خاصة الحوارية.

جدول(5) نوعية الموضوعات المطروحة فى البرامج الحوارية

القناة	الفضائية	السودانية	قناة	الشروق	قناة النيل	الأزرق	قناة	أدرمان	إجمالي	إجمالي
الموضوعات	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
سياسية	3	9.4	2	6.3	2	6.3	2	6.3	9	28.1
اقتصادية	2	6.3	2	6.3	2	6.3	2	6.3	8	25
اجتماعية	2	6.3	1	3.1	2	6.3	1	3.1	6	18.8
ثقافية	–	–	–	–	1	3.1	1	3.1	2	6.3
علمية	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
دينية	–	–	2	6.3	–	–	–	–	–	–
أمنية	1	3.1	1	3.1	1	3.1	1	3.1	4	12.5
رياضية	–	–	–	--	–	–	–	–	–	–
إجمالي	8	25	8	25	8	25	8	25	32	100

بالنظر للجدول رقم (5) لدراسة نوعية الموضوعات المطروحة فى البرامج محل الدراسة في الفضائيات السودانية يتضح أن أكثر الموضوعات التي تعرضت لها البرامج الحوارية محل الدراسة هي الموضوعات السياسية بنسبة (28.8%) والموضوعات الاقتصادية (25%) ثم الموضوعات الاجتماعية (18.8%).

يتضح أيضاً أن الفضائية السودانية احتلت المرتبة الأولى في تقديم الموضوعات السياسية وتساوت القنوات محل الدراسة في تقديم الموضوعات الاقتصادية والأمنية، بينما تساوت الفضائية السودانية وقناة النيل الأزرق في تقديم الموضوعات الاجتماعية وفي الوقت ذاته تساوت قناة النيل الأزرق, وأمدرمان في تقديم الموضوعات الثقافية. ويرجع الباحث هذا التفاوت في عرض الموضوعات المختلفة يعود إلى أولويات الموضوعات المطروحة وإلى طبيعة البرنامج ذاته. ولاحظ الباحث أن هناك بعض الموضوعات المهمة التي تثري الخلفية المعرفية للمشاهدين لم يتم التعرض لها بشكل كبير مثل الموضوعات العلمية ولا شك أن التنوع في تناول ومعالجة الموضوعات المختلفة في البرامج الحوارية شيء مهم ومطلوب ويجب مراعاته في الفضائيات السودانية.

جدول(6) القضايا الأساسية المطروحة في البرامج الحوارية

القناة	الفضائية	السودانية	قناة	الشروق	قناة النيل	الأزرق	قناة	أدرمان	إجمالي	إجمالي
القضايا	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
التعاون الثنائي	–	–	1	3.1	1	3.1	–	–	2	6.3
التنمية	1	3.1	3	9.4	1	3.1	2	6.3	7	21.9
الإرهاب	1	3.1	1	3.1	1	3.1	–	–	3	9.4

الحوار الوطني	1	3.1	–	–	1	3.1	2	6.3	4	12.5
السلام	1	3.1	–		1	3.1	1	3.1	3	9.4
الإصلاح الداخلي	1	3.1	1	3.1	1	3.1	1	3.1	4	12.5
الانتخابات	1	3.1	1	3.1	1	3.1	–	–	4	12.5
قضايا صحية	–	–	–	–	1	3.1	1	3.1	1	3.1
إعلامية وثقافية	1	3.1	1	3.1	–	–	–	–	3	3.1
المرأة	1	3.1	–	–	–	–	–	–	1	3.1
التعصب الرياضي	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
قضايا جامعية	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
إجمالي	8	25	8	25	8	25	8	25	32	100

بالنظر للجدول رقم (6) لدراسة القضايا الأساسية المطروحة فى البرامج محل الدراسة في الفضائيات السودانية يتضح أن أكثر القضايا التي تعرضت لها البرامج الحوارية محل الدراسة هي قضية التنمية بنسبة بلغت (21.9%) وتعد قناة الشروق من أكثر القنوات تعرضاً لهذه القضية تليها قضايا الإصلاح الداخلي والانتخابات والحوار الوطني باعتبارها قضايا مهمة تجد القبول والمتابعة من المشاهدين.

يتضح من الجدول أيضاً أن قضايا السلام والإرهاب رغم أهميتها جاءت بنسبة أقل بلغت (9.4%) وفي السياق ذاته تأتي قضية التعاون الثنائي والتي بلغت نسبتها

6.3%.. ولا شك ان الاهتمام بمثل هذه القضايا يجب أن يتواكب مع أهميتها فضلاً أن طرحها من خلال البرامج الحوارية يساعد في توعية المواطنين بمخاطرها.

جدول (7) فئة الهدف الواضح من عرض المضمون:

هدف البرنامج	إثراء الخلفية	المعرفية	عرض الآراء المختلفة	تجاه القضية	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	3	9.4	5	15.6	8	25
الشروق	5	15.6	3	9.4	8	25
النيل الأزق	5	15.6	3	9.4	8	25
أم درمان	4	12.5	4	12.5	8	25
إجمالي	17	%53.1	15	46.9	32	100

بالنظر للجدول رقم (7) لدراسة الهدف الواضح من عرض المضمون المطروح فى البرامج الحوارية محل الدراسة في الفضائيات السودانية، يتضح هناك شبه توازن في الهدف العام الواضح المطروح في الفضائيات السودانية، حيث جاء إثراء الخلفية المعرفية للجمهور بنسبة (53.1%)، وهي نسبة طيبة تعزز من إقبال المشاهدين على متابعتها لإشباع احتياجاتهم، كما جاء عرض الآراء المختلفة تجاه القضية بنسبة (46.9%). ونشير إلى أنه رغم وضوح الهدف من البرنامج إما إعطاء معلومة أو عرض رأي، إلا أن الهدف الكامن وراء عرض هذه البرامج الحوارية هو تنمية الوعي بموضوع القضية من خلال عرض المعلومات أو الآراء حولها، حيث تبرز أهداف البرامج الحوارية التي تبثها القنوات السودانية موضوع الدراسة تنمية الوعي السياسي، الصحي، مكافحة الإرهاب ...إلخ لدى المشاهدين فيما يعرض من موضوعات.

جدول (8) نوعية القيم المطروحة في مضمون البرامج الحوارية

القناة	الفضائية	السودانية	قناة	الشروق	قناة النيل	الأزرق	قناة	أدرمان	إجمالي	إجمالي
القيم	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
حرية الرأي	1	3.1	1	3.1	–	–	1	3.1	3	9.4
المشاركة السياسية	1	3.1	1	3.1	1	3.1	1	3.1	4	12.5
السلام	1	3.1	–	–	1	3.1	1	3.1	3	9.3
نبذ العنف والإرهاب	1	3.1	1	3.1	–	–	1	3.1	3	9.3
تنمية المجتمع	2	6.3	1	3.1	1	3.1	2	6.3	6	18.8
تشجيع الإنتاج المحلي	1	3.1	1	3.1	1	3.1	–	–	3	9.3
الإنتاج والعمل الجاد	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
حسن الأداء	–	–	–	–	1	3.1	–	–	–	1
التعاون والتكامل	1	3.1	1	3.1	1	3.1	–	–	–	–
التسامح	–	–	–		–	–	1	3.1	1	3.1
الالتزام بالأخلاقيات	–	–	1	3.1	1	3.1	–	–	2	6.3
توجيه الأبناء	–	–	1	3.1	–	–	1	3.1	2	6.3

الوعي الصحي	–	–	–	3.1	1	–	–	1	3.1
إجمالي	8	25	8	25	8	25	8	32	100

بالنظر للجدول رقم (8) لدراسة القيم المطروحة في مضمون البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن هناك العديد من القيم التي عكستها البرامج محل الدراسة في المضمون الذي قدمته، وهذه القيم ترتبط ارتباطاً مباشراً بالموضوعات المطروحة في البرامج حيث اتضح أن قيمة تنمية المجتمع جاءت في المركز الأول بين القيم المطروحة في البرامج الحوارية بشكل عام بنسبة بلغت (18.8%) تليها المشاركة السياسية (12.5%) يليها السلام ونبذ العنف والإرهاب وتشجيع الإنتاج المحلي بنسبة بلغت (9.4%).

ولاحظ الباحث أن هناك بعض القيم المهمة لم يتم التعرض لها إلا نادراً مثل قيم االتسامح، والوعى الصحي، وتوجيه الأبناء والالتزام بالأخلاقيات.

جدول (9) المدى الجغرافي للمضمون المقدم في البرامج الحوارية

المدي	مضمون	محلي	مضمون	إقليمي	مضمون	دولي	مضمون	عام	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	6	18.8	2	6.3	–	–	–	–	8	25
قناة الشروق	3	9.4	2	6.3	2	6.3	1	3.1	8	25
قناة النيل الأزرق	4	9.4	3	9.4	1	3.1	–	–	8	25
قناة أم درمان	8	25	–	–	–	–	–	–	8	25
إجمالي	21	65.6	7	21.9	3	9.4	1	3.1	32	100

بالنظر للجدول رقم (9) لدراسة المدى الجغرافي المقدم فى مضمون البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن نسبة كبيرة من موضوعات ومضمون البرامج محل الدراسة هي موضوعات سودانية صرفة وبنسبة بلغت (65.6%) تليها الموضوعات ذات المضمون الإقليمي بنسبة بلغت (21.9%). ويتضح من الجدول أن البرامج ذات المضمون العام جاءت في مرتبة متأخرة حيث حصلت على نسبة (3.1%).

ويلاحظ الباحث أن الجمهور الذي يشاهد هذه الفضائيات معظمه من السودانيين في الداخل والخارج (المهاجرين لدول الخليج والدول الأوربية) فضلاً عن بعض الأجانب، وبالتالي فإن القضايا والموضوعات المطروحة يجب أن تكون متوازنة ما بين القضايا المحلية والإقليمية والدولية.

جدول (10) اعداد المشاركين في البرامج الحوارية

عدد الضيوف	ضيف	واحد	ضيفان	ضيفان	3ضيوف	3ضيوف	4ضيوف	4ضيوف	أكثر من ذلك	أكثر من ذلك	إجمالى	إجمالي
القناة	عدد	100%	عدد	100%	عدد	100%	عدد	100%	عدد	100%	عدد	100%
الفضائية السودانية	3	9.4	3	9.4	2	6.3	–	–	–	–	8	25
قناة الشروق	5	15.6	3	9.4	–	–	–	–	–	–	8	25
قناة النيل الأزرق	5	15.6	3	9.4	–	–	–	–	–	–	8	25
قناة أم درمان	4	12.5	4	12.5	–	–	–	–	–	–	8	25
إجمالي	17	53.1	13	40.6	2	6.3	–	–	–	8–	32	100

يتضح من الجدول رقم (10) لدراسة أعداد المشاركين في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية أن حوالي نصف البرامج محل الدراسة كان عدد الضيوف ضيف واحد فقط بنسبة بلغت (53.1%) يليها ضيفان في البرنامج بنسبة (40.6%) ثم 3 ضيوف بنسبة (6.3%)، ويتضح من الجدول أنه لا توجد قناة بلغ عدد الضيوف فيها أكثر من ثلاثة ضيوف، رغم أن هناك شكل برامجي حواري قد يستدعي وفقاً لطبيعة الموضوع ضيوفاً أكثر قد يصل عددهم إلى 6 ضيوف في الحلقة. ويرى الباحث أن العدد المثالي للبرامج الحوارية وخاصة الندوات يتحدد وفقاً لطبيعة الموضوع المطروح، وغالباً ما يتراوح بين ثلاثة وأربعة ضيوف في تخصصات مختلفة تغطي جوانب الموضوع، ومثل هذا العدد يتيح الفرصة لمدير الندوة في التحكم في جوانب الموضوع المختلفة والتعمق فيها وإتاحة الفرصة للضيوف للتحدث وإبداء الرأي.

جدول (11) جنسيات ضيوف البرامج الحوارية

الجنسية	ضيف	محلي	ضيف من	الدول الإسلامية والافريقية	ضيف من الدول	الأوربية	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	7	21.9	1	3.1	-	-	8	25
قناة الشروق	6	18.8	2	6.3	-	-	8	25
قناة النيل الأزرق	8	25	-	-	-	-	8	25
قناة أم درمان	8	25	-	-	-	-	8	25
إجمالي	29	90.6	3	9.4	-	-	32	100

بالنظر للجدول رقم (11) لدراسة جنسية ضيوف البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن نسبة كبيرة من ضيوف البرامج محل الدراسة ضيوف سودانيون بنسبة بلغت (90.6%) يلي ذلك الضيوف من الدول الإسلامية والإفريقية بنسبة بلغت (9.4%) .

ولا شك أن الاستعانة بضيوف محليين هو حق مشروع للقنوات الفضائية لتشجيع أبنائها والكفاءات الموجودة بها، ولكن التنوع وهو أمر مهم يقتضي الاستعانة بآراء متعددة وخاصة إذا كان من الدول العربية، والإفريقية والإسلامية التي ينتمي إليها السودان .. خاصة مع تقدم استخدام تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية التي تتيح الفرصة لاستضافة من نريد استضافته وهو في بلده دون أن ينتقل إلى الدولة الباثة.

جدول(12) أسلوب استضافة المشاركين

الموقع	داخل	الاستديو	عبر الاقمار	الاصطناعية	عبر	التلفون	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	7	21.9	1	3.1	-	-	8	25
قناة الشروق	7	21.9	1	3.1	-	-	8	25
قناة النيل الأزرق	8	25	-	-	-	-	8	25
قناة أمدرمان	8	25	-	-	-	-	8	25
إجمالي	30	93.3	2	6.3	-	-	32	100

بالنظر للجدول رقم (12) لدراسة أسلوب الاستضافة في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن النسبة الغالبة من ضيوف البرامج محل الدراسة كانت داخل الاستديو بنسبة بلغت (93.3%) فيما استعانت الفضائية السودانية وقناة

الشروق فقط بضيوف عبر الأقمار الاصطناعية ولم توجد مشاركة للضيوف عبر الهاتف وهو أمر مهم للنقاد والمشاركة والتفاعل الأمر الذي يثري الحوار ولطرح وجهات نظر متعددة ومتنوعة وأحياناً ذات قيمة كبيرة تأتي من مهتم أو مراقب أو مختص صاحب قضية ذات صلة بموضوع الحوار.

جدول(13) مدى ملاءمة تخصصات الضيوف للمضمون المقدم

مدى الملائمة	إلى حد	كبير	إلى حد	ما	غير	ملائم	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	8	25	–	–	–	–	8	25
قناة الشروق	6	18.8	2	6.3	–	–	8	25
قناة النيل الازرق	7	21.9	1	3.1	–	–	8	25
قناة أم درمان	6	18.8	2	6.3	–	–	8	25
إجمالي	27	84.4	5	15.6	–	–	32	100

بالنظر للجدول رقم (13) لدراسة مدى ملاءمة تخصصات الضيوف للمضمون المقدم عبر البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن الغالبية العظمى من الضيوف كانوا ملائمين بالفعل في تخصصاتهم لموضوع ومضمون الحوار وجاء ذلك بنسبة (84.4%) وجاءت نسبة (15.6%) فقط ملائمين إلى حد ما.

ويعد هذا الاتجاه في الفضائيات السودانية محل الدراسة اتجاه إيجابي حيث إن اختيار الضيف المناسب والملائم لموضوع الحوار له جانب مهم في نجاح وإثراء الحوار، وهو جانب مهم أيضاً فى الإعداد الجيد لمثل هذه النوعية من البرامج.

جدول (14) وجود مشاركة جماهيرية

المشاركة	من داخل	الاستديو	من خارج	الاستديو	لا يوجد	لا يوجد	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	1	3.1	3	9.4	4	12.9	8	25
قناة الشروق	–	–	1	3.1	7	21.9	8	25
قناة النيل الأزرق	–	–	4	12.5	4	12.9	8	25
قناة أدرمان	–	–	–	–	8	25	8	25
إجمالي	1	3.1	8	25	23	71.9	32	100

بالنظر للجدول رقم (14) لدراسة مدى وجود مشاركة جماهيرية في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن نسبة المشاركة في البرامج محل الدراسة بلغت (28.1%) من داخل وخارج الأستديو. حيث بلغت نسبة المشاركة الجماهيرية داخل الأستديو (3.1%) فيما بلغت خارج الأستديو (25%).

بهذا نجد أن ربع البرامج الحوارية محل الدراسة توجد به مشاركة جماهيرية .. ولا شك أن هذا جانب إيجابي مهم فالمشاركة الجماهيرية تزيد من حيوية هذه البرامج وتعطي الإحساس لمن يشاهدها أنه مشارك فعلي بها.

جدول (15) طبيعة المشاركة الجماهيرية في البرامج

طبيعة المشاركة	إبداء	الرأي	استفسار	استفسار	اعتراض	اعتراض	لا يوجد	لا يوجد	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	1	3.1	1	3.1	1	3.1	5	15.5	8	25
قناة الشروق	1	3.1	–	–	–	–	7	21.9	8	25
قناة النيل الأزرق	1	3.1	1	3.1	2	6.3	4	12.5	8	25
قناة أم درمان	–	–	–	–	–	–	8	18.8	8	25
إجمالي	3	9.4	2	6.3	3	6.3	24	74.9	32	100

بالنظر للجدول رقم(15) لدراسة طبيعة المشاركة الجماهيرية في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن نسبة المشاركة لإبداء الرأي بلغت (9.4%) وللاستفسار والاعتراض بلغت (6.3%). وهذه تعد نسبة مشاركة ضعيفة لمثل هذه النوعية من البرامج تتطلب المشاركة لإثراء الخلفية المعرفية وعرض الآراء المختلفة تجاه القضايا المطروحة خاصة أشكال برامج المناقشات والمناظرة.

جدول (16) وسائل المشاركة الجماهيرية في البرامج

وسيلة المشاركة	من داخل	الأستديو	هاتف	هاتف	فاكس	فاكس	بريد	إلكتروني	لا	يوجد	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	1	3.1	–	–	–	–	1	3.1	6	18.8	8	25
قناة الشروق	–	–	–	–	–	–	–	–	8	18.8	8	25
قناة النيل الأزرق	–	–	2	6.3	–	–	2	6.3	4	12.4	8	25
قناة أمدرمان	–	–	–	–	–	–	–	–	4	12.4	8	25
إجمالي	1	3.1	2	6.3	–	–	3	9.4	26	81.2	25	100

بالنظر للجدول رقم (16) لدراسة وسائل المشاركة الجماهيرية في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن المشاركة في البرامج محل الدراسة كانت عبر البريد الإلكتروني حيث بلغ نسبة (9.4%) يليها المشاركة عبر الهاتف بنسبة (6.3%) ثم المشاركة من داخل الأستوديو والتي بلغت (3.1%).

لا شك أن استخدام الهاتف هو أبسط وأسهل طرق المشاركة الجماهيرية بالإضافة للمشاركة من داخل الأستديو .. ولكن مع التقدم التكنولوجي واستخدام الإنترنيت على نطاق واسع أصبح من الضروري أن يكون لكافة البرامج الحوارية المباشرة على الهواء وغيرها بريد إلكتروني (E-mail) معروف للمشاهدين ويكتب بصفة مستمرة على الشاشة خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبح الأقبال عليها الآن بصورة كبيرة، بحيث تعرض المشاركات على الضيوف في حينها وهي وسيلة مهمة وجذابة فى الوقت ذاته.

جدول (17) المدى الجغرافي للمشاركة الجماهيرية في البرامج الحوارية

المدي الجغرافي	من داخل	الدولة	من الدول	العربية والاسلامية	من الدول	الأفريقية	لا	توجد	إجمالي	إجمالي
القناة	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100	عدد	%100
الفضائية السودانية	4	12.5	–	–	–	–	4	12.5	8	25
قناة الشروق	5	15.5	–	–	–	–	3	9.4	8	25
قناة النيل الازرق	5	15.5	1	3.1	2	6.3	–	–	8	25
قناة أم درمان	5	15.5	–	–	–	–	3	9.4	8	25
إجمالي	19	59.4	1	3.1	2	6.3	10	31.2	32	100

بالنظر للجدول رقم (17) لدراسة المدى الجغرافي للمشاركة الجماهيرية في البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية يتضح أن غالبية المشاركات الجماهيرية في البرامج محل الدراسة كانت من داخل السودان بنسبة بلغت (59.9%) فيما بلغت المشاركات من الدول الإفريقية نسبة (6.3%) والدول العربية والإسلامية بلغت (3.1%).

هذه النتائج تؤكد ما سبق أن ذكرناه عن وسائل المشاركة الجماهيرية في البرامج الحوارية محل الدراسة حيث ينبغي توفير وسيلة مشاركة فاعلة ومباشرة وبدون تكلفة للجمهور المشارك من خارج الدولة الباثة. ونؤكد ضرورة أن يوفر كل برنامج حواري بريداً الكترونياً (E-mail) خاصاً به.

نتائج الدراسة

نعرض هنا لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلال تحليل مضمون البرامج الحوارية محل الدراسة في الفضائيات السودانية.

1- إن نسبة البرامج الحوارية محل الدراسة تتراوح من (25-30%) من إجمالي البرامج المذاعة في فترتي المساء والسهرة في تلك القنوات.

وكانت هناك بعض الملاحظات الأساسية على تلك البرامج.

أ. أنه ليس هناك انضباط كامل في توقيت إذاعة وانتهاء البرامج الحوارية محل الدراسة خاصة في الفضائية السودانية فهو أمر –غالباً– غائب بنسب متفاوتة.

ب. إن كثيراً من هذه البرامج الحوارية يتم تغيير مواعيدها الرسمية لإذاعة بعض المناسبات الخاصة أو بعض الاحتفالات أو لنقل كرة القدم، ولا يتم الإعلان عن إذاعة البرنامج إو الاعتذار عنه باعتبار البرنامج الحواري أقل وزناً.

2- إن كثيراً من البرامج الحوارية محل الدراسة هي في الأساس حوارات رأي ومعلومة، وهي على قدر عال من الأهمية حيث تساهم في زيادة الخلفية المعرفية للمشاهدين وتشكيل الرأي العام تجاه قضايا معينة.

3- إن أكثر أشكال البرامج الحوارية محل الدراسة انتشاراً في الفضائيات السودانية هي برامج المقابلة التلفزيونية يليها برامج المائدة المستديرة والمناقشات الجماعية ثم أخيراً شكل المناظرة.

4- إن جميع البرامج الحوارية محل الدراسة يقدمها مذيع واحد، وإن معظمهم من جنسيات الدول الباثة.

5- إن جميع البرامج الحوارية محل الدراسة بلغ عدد الضيوف فيها ما بين (1-3)، وإن معظمهم سودانيون رغم وجود إمكانية استضافة ضيوف عبر الأقمار الاصطناعية من بلادهم.

6- إن مشاركة غالبية ضيوف البرامج محل الدراسة جاءت من داخل الأستديو وبنسبة ضئيلة عبر الأقمار الاصطناعية .. واتضح أيضاً أن الغالبية العظمي من الضيوف كانت تخصصاتهم ملائمة إلى حد كبير لموضوع ومضمون الحوار.

7- إن الموضوعات السياسية جاءت في مقدمة موضوعات البرامج محل الدراسة كما اتضح أيضاً أن قضايا التنمية جاءت في مقدمة القضايا التي تم طرحها في هذه الموضوعات.

8- إن الهدف الواضح للبرامج الحوارية محل الدراسة كان إثراء الخلفية المعرفية للمشاهدين وعرض الآراء المختلفة تجاه القضايا المطروحة، والهدف الكامن وراء عرض هذه البرامج هو تنمية الوعي بالقضايا المطروحة في المجالات المختلفة.

9- إن هناك العديد من القيم التي عكستها البرامج محل الدراسة في مضمونها وجاء في مقدمتها تنمية المجتمع. واتضح أيضاً أن موضوعات ومضمون البرامج الحوارية محل الدراسة موضوعات محلية صرفة.

10- إن نسبة كبيرة من البرامج الحوارية محل الدراسة يوجد بها مشاركات جماهيرية من داخل الأستديو أو من خارج الأستديو. كما اتضح غياب البريد الإلكتروني كوسيلة مهمة حديثة للمشاركة الجماهيرية. كما اتضح أيضاً أن غالبية المشاركات الجماهيرية كانت محلية من داخل الدولة الباثة.

التوصيات

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة التي عرضناها بالتفصيل؛ فإننا نقدم مجموعة من التوصيات لتلافي سلبيات البرامج الحوارية في الفضائيات السودانية، ورفع كفاءة العمل بهذه البرامج شكلاً ومضموناً:

1-ينبغي إيلاء أهمية قصوى للتخطيط للبرامج الحوارية في القنوات الفضائية السودانية، حتي نتمكن من إنتاج برامج أكثر تميزاً شكلاً ومضموناً ذات معايير علمية ولها قدرة على المنافسة.

2-يتوجب إيلاء أهمية قصوى للالتزام بمواعيد محددة للبرامج الحوارية بالفضائيات السودانية بحيث يكون معروفاً لدى المشاهدين موعد إذاعة ونهاية البرنامج تحديداً، وأهمية الاعتذار عند تغيير مواعيده.

3-ينبغي التأكيد على أهمية استخدام أشكال الندوة الأفقية والتحقيق التلفزيوني والأحاديث في البرامج الحوارية باعتبارها أشكالاً برامجية جاذبة للمشاهدين وتستوعب العديد من الموضوعات والقضايا.

4-يجب الاهتمام بتنوع ضيوف البرامج الحوارية وعدم الاعتماد فقط على الضيوف المحليين من الدولة الباثة فقط، بل يجب الاهتمام باستضافة ضيوف من الدول العربية والإفريقية والإسلامية لإثراء البرامج.

5- ينبغي تنويع الأسئلة لكسر الرتابة وإبداء بعض التداخل والنفاذ للمشاركة والتفاعلية بالتلفون ووسائل التواصل الاجتماعي.

6-يتوجب الاهتمام بتنوع مضمون البرامج الحوارية بحيث يستوعب كافة القضايا والإقليمية والدولية، حتى يكون المشاهد على وعي بكافة أبعادها وبآثارها الواقعية والمحتملة على حياته.

7-يتوجب إيلاء أهمية قصوى وبشكل غير مباشر ببث العديد من القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها من خلال مضمون البرامج الحوارية.

8-يجب تخصيص بريد إلكتروني (E-mail) لكل برنامج حواري على الفضائيات السودانية، بما يضمن مزيداً من المشاركة من المشاهدين داخل وخارج حدود الدولة الباثة.

9-يجب الاهتمام بإجراء البحوث والدراسات على مستوى الفضائيات السودانية حول البرامج الحوارية وغيرها، لوضع قاعدة معلوماتية أمام متخذي القرار لتطوير شكل ومضمون مايتم تقديمه.

10-يتوجب الاهتمام بتدريب الكوادر الإعلامية بالفضائيات السودانية، حتى نشهد تطوراً في شكل ومضمون ما يتم تقديمه عبرها لبناء عقل ووجدان المشاهد لتلك الفضائيات في كل مكان.

الخاتمة

حتى نتمكن من إنتاج برامج حوارية أكثر جودة بالفضائيات السودانية وأكثر تميزاً شكلاً، مضموناً، جذباً للانتباه وأكثر قدرة على المنافسة من حيث التخطيط والإعداد. لا بد من الإعداد الجيد للبرنامج بشكل عام، وحسن اختيار توقيت إذاعته والتصدي لأخطاء البرامج الحية المباشرة والتي يصعب التحكم فيها بسبب طبيعتها المباشرة، فضلاً عن عدم المجاملة في اختيار المذيعين لهذه البرامج غير المؤهلين وتأهيل ما لم يتم تأهيله والاهتمام أكثر بالتدريب .. إلى غير ذلك من المعوقات والتي تحتاج إلى إجراء العديد من الدراسات والبحوث لتجاوزها.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

خضور، أديب (1998) دراسات تلفزيونية، سلسة المكتبة الإعلامية.
خضور، أديب (2002) الحديث التلفزيوني، دمشق، سلسة المكتبة الإعلامية، دمشق.
يوسف، ريهام سامى حسين (2008) دور البرامج الحوارية في القنوات الحكومية والخاصة في ترتيب أولويات القضايا المجتمعية لدى الجمهور المصري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاعلام جامعة القاهرة، قسم الاذاعة والتليفزيون، القاهرة.
رزق، سامية سليمان (2005) مهارات إعداد البرامج الحوارية، ورقة عمل مقدمة لدورة إعداد البرامج الحوارية، مملكة البحرين.
الحسن، عبد الدائم عمر (2003) إنتاج البرامج التلفزيونية، الدار القومية للثقافة، القاهرة.
لبيب، سعد (1972) فن الحوار، دار الحرية للطباعة، بغداد.
شبيب، هدى مالك (2013) التسويق فى البرامج التلفزيونية الحوارية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد.
حسين، سمير محمد (1990) بحوث الإعلام، القاهرة، عالم الكتب.
مرزوق، يوسف (1986) المدخل إلى حرفية الفن الإذاعي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة.
المرسى، محمد محمود (2004) البرامج الحوارية فى تلفزيونات الخليج، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية، جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، الرياض.
إبراهيم، محمد معوض (2003) واقع الحوار التلفزيوني وكيفية الارتقاء به في القنوات الفضائية، مجلة الإذاعات العربية، تونس.
هاشم، عوض (1993) تدريب المذيع في الإذاعة والتلفزيون، جهاز تلفزيون الخليج، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية، الرياض.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

Adams, (1989) Social survey methods for mass media research: Lawrence Erlbaum Associates Publisher, New Jersey
Bobbies, Earl, (1989) The practice of social research, Wadsworth Publishing Company, California.